

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلة الرأسخون مجلة عالمية محكمة

ISSN: 2462-2508

Special Issue, August 2025

إصدار خاص - أغسطس 2025



مجلة الراسخون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

أبحاث الإصدار الخاص، أغسطس 2025

أولاً: الدراسات الإسلامية	
البحث	صفحة
1. مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة الإنسانية (سورة سبأ نموذجاً) دراسة تحليلية	20-1
2. الاكتئاب في ضوء السنة النبوية (دراسة تحليلية)	40-21
3. الاستدلال بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في المعايير الشرعية لهيئة المعاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية: دراسة وصفية	67-41
4. تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المصارف الإسلامية وأحكامها بالملكة العربية السعودية	92-68
5. المقارنة بين منهج الرملي ومنهج الهيتمي في مسائل القضاء	114-93
ثانياً: الدراسات اللغوية	
البحث	صفحة
6. الإحالة وأثرها في الاستنباط الفقهي من الحديث النبوي الشريف	142-115
7. اللفظ جوهر الهوية (دراسة وصفية تحليلية)	160-143
8. دور العناصر اللغوية ومهاراتها في التنمية اللغوية لدى الناطقين بغيرها	177-161

أعضاء هيئة تحرير المجلة:



مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب



نائب مدير هيئة التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد الفتاح عبد القوي



سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

- الأستاذ المشارك الدكتور/ إبراهيم توه يالا
- الأستاذ المشارك الدكتور/ أنيس الرحمن منظور الحق
- الأستاذ المشارك الدكتور/ خالد نبوي سليمان حجاج
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصري
- الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد سيد أحمد محمد نجم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ صلاح عبد التواب سعداوي سيد
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الرحمن حسانين
- الأستاذ المشارك الدكتور/ المتولي علي الشحات بستان
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد إبراهيم محمد بخيت
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد رشاد النجار
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد عبد الحميد الشرقاوي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد عبد الرحمن إبراهيم سلامة
- الأستاذ المشارك الدكتور/ نادي قبيصي البدوي سرحان
- الأستاذ المشارك الدكتور/ ياسر عبد الحميد جاد الله

مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة الإنسانية (سورة سبأ أنموذجا)

دراسة تحليلية

د. هند بنت محمد زاهد سردار

أستاذ تفسير القرآن وعلومه المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى

h.aljawda@hotmail.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مقاصد القرآن في بناء حضارة الإنسان بالتركيز على سورة سبأ كونها احتوت على ذكر حضارتين: الأولى: هي المتمسكة بحبل الله تعالى وهي حضارة داود وسليمان أما الحضارة الثانية: فهي الجاحدة نعم الله تعالى البعيد عن المنهج الرباني وهي حضارة سبأ، وينطلق هذا البحث نحو فكرة المقصدية وأهميتها في معرفة الأسباب المؤدية لرفي الإنسان وسعادته، فالمقاصد هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان، وقد جاءت هذه الدراسة لتؤكد أن الحضارة الإسلامية ترتبط ارتباطاً عظيمًا بمقاصد القرآن الكريم، إذ أن الغايات والأهداف التي تفصح عنها الآيات القرآنية داعية إلى البناء والتعمير وسيادة دور العلم والرفي، وتبرز العديد من الفضائل، أهمها أن امتثال المنهج الرباني والحفاظ عليه هو السبيل الأوحى لبقاء الحضارات وتنميتها عبر العصور، فحضارة آل داود التي قامت وفق المنهج الرباني كُتبت لها البقاء، بخلاف حضارة سبأ التي مصيرها الزوال والاندثار والتفكك.

الكلمات المفتاحية: مقاصد - حضارة - سبأ.

Abstract

This research examines the objectives of the Qur'an in building human civilization, focusing on Surah Saba', which references two civilizations: the first, which adhered to divine guidance, namely the civilization of David and Solomon, and the second, which denied God's blessings and deviated from the divine methodology, namely the civilization of Sheba. The study emphasizes the concept of purpose and its significance in understanding the factors leading to human progress and happiness. These purposes represent the aims, objectives, results, and meanings established by the Shari'ah in its rulings and sought to be achieved, created, and attained across all times and places. This study affirms the profound connection between Islamic civilization and the objectives articulated in the Holy Qur'an. The aims and objectives expressed in the Qur'anic verses advocate construction, development, the predominance of knowledge, and advancement. They underscore numerous virtues, foremost among them that adherence to and preservation of the divine methodology is the sole path to the survival and flourishing of civilizations throughout the ages. Consequently, the civilization of the House of David, which was founded according to divine principles, was destined to endure, unlike the civilization of Sheba, which was destined for decline, extinction, and disintegration.

Keywords: Objectives - Civilization - Sheba

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه الأكرمين أما بعد.. حظيت مقاصد الشريعة في العصر الحديث بعناية خاصة من قبل العلماء والباحثين؛ وذلك لأهميتها ودورها في عملية الاجتهاد الفقهي، وفي معالجة قضايا الحياة المعاصرة في ضوء الأدلة والنصوص والقواعد الشرعية، والأموال إحدى المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى لأغراض متعددة، ولقد وجد المال وارتبط بالتعاملات مع البشر منذ زمن بعيد، حيث إنها الأداة التي تحقق للفرد التعامل مع غيره، فتعددت صورته وتعددت سبب التعامل معه، من أهم احتياجات الحياة، فهو إحدى الضروريات المهمة للحياة.

ولما كان القرآن الكريم ذلك الدستور العظيم لم يغادر كبيرة ولا صغيرة فإنه تناول المال بالتحليل والتفصيل، في غير موضع، موضحاً ومفصلاً ومبيناً مشروعية خلقه وسبل تحقيقه وطرق التعامل معه وآفاقه، وقد استنباط العلماء من خلال آيات القرآن العديد من العلل المقاصدية لآيات القرآن؛ ومن هنا اخترت أن يكون لي اجتهاد في بيان مقاصد آيات القرآن في البناء الحضاري، وذلك من خلال دراسة سورة جليلة مرتبطة بالحضارات ألا وهي سورة سبأ لتكون محطاً للتأمل والنظر والبحث في أسرارها ودلالاتها بغية استنباط مقومات بناء حضارة الإنسان مع ربط ذلك بواقع المسلم المعاصر؛ لضمان استمرارية النهضة الحضارية وفق الهدي الرباني.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تجيب الدراسة عن تساؤل رئيس هو: ما مقاصد القرآن في بناء حضارة الإنسان التي تضمنتها سورة سبأ؟

ومنه تنبثق التساؤلات الفرعية الآتية:

س/ كيف أصلت سورة سبأ للبناء الحضاري للإنسان؟

س/ ما مقاصد سورة سبأ في بناء حضارة الإنسان؟
س/ ما مقومات النهضة الحضارية للأمة وسبل استمراريتها؟

أهداف الدراسة:

- 1- إبراز أهمية المقاصد القرآنية وعلاقتها بالبناء الحضاري للإنسان.
- 2- الكشف عن المقاصد القرآنية في سورة سبأ مما يبني حضارة الإنسان.
- 3- الوقوف على مقومات النهضة الحضارية للأمة وسبل استمراريتها.

أهمية الدراسة:

- 1- تعلق الدراسة بكتاب الله تعالى، وشرف الموضوع بشرف متعلقه.
 - 2- تحقيق عبادة التدبر التي أمر الله بها عباده ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24] من خلال الغوص في معاني ودلالات سورة سبأ.
- تعد الدراسة نموذجاً تطبيقياً على مقاصد القرآن من خلال سورة حملت اسم حضارة من الحضارات ألا وهي حضارة سبأ، كما تحدثت السورة في المقابل عن حضارة مملكة سليمان عليه السلام.

منهج الدراسة:

- 1- **المنهج التحليلي:** لتحليل آيات سورة سبأ وبيان ما تضمنته من معان ودلالات وسمات.
- 2- **المنهج الاستنباطي:** لاستنباط مقاصد سورة سبأ وبيان دورها في بناء حضارة الإنسان واستمرار نخضة الأمة.

الدراسات السابقة:

الدراسات التي تناولت مقاصد القرآن الكريم والبناء الحضاري متعددة، ومنها ما يلي:

دراسة بعنوان: "مقاصد القرآن الكريم في بناء وتنمية حضارة الإنسان: الكرامة الإنسانية نموذجًا: دراسة تطبيقية" للباحث: حامد محمد حامد عثمان، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، ع1، مج2، مصر 2017م، هدف البحث إلى التعرف على مقاصد القرآن الكريم في بناء وتنمية حضارة الإنسان، واعتمد البحث على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل للنصوص القرآنية واستنباط المقاصد المعنية بالكرامة الإنسانية. تناول المقاصد القرآنية وعلاقتها بالكرامة الإنسانية، وتناول الكرامة الإنسانية وعلاقتها بالمبادئ الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، اشتمل على (علاقة الكرامة الإنسانية بالحرية، علاقة الكرامة الإنسانية بالعدالة والمساواة، علاقة الكرامة الإنسانية بالمسؤولية). وتطرق للحديث عن الكرامة الإنسانية وحماية الكليات الخمس في ضوء القرآن الكريم، وتضمن (الكرامة الإنسانية وحماية الدين، الكرامة وحماية النفس،

الكرامة وحماية العقل، الكرامة وحماية النسل والعرض، الكرامة وحماية المال). وجاءت النتائج مؤكدة على أن الكرامة الإنسانية في الأصل قيمة محورية تتعلق بذات الإنسان بقطع النظر عن دينه أو جنسه أو لونه. واختتم بالتوصية على الاهتمام بدراسة معضلة الكرامة الإنسانية.

دراسة بعنوان: "مفهوم العمران في ضوء مقاصد القرآن" لحنان خياطي، مجلة جامعة سرت العلمية - العلوم الانسانية، جامعة سرت - مركز البحوث والاستشارات، مج13، ع1، ليبيا، 2023م. أظهرت الدراسة أن كل نشاط يتصل بالقرآن الكريم ينبغي أن يسترشد بمقاصده وغاياته الكبرى، فهذه المقاصد والغايات هي وجهة كل نشاط حياتي أو حضاري يستمد من القرآن الكريم منهجه، ويروم تحقيق رسالته في هداية الناس للتي هي أقوم. تعالج هذه الورقة موضوع المقاصد العليا الحاكمة في القرآن الكريم ودورها في بناء الحضارة والعمران، من خلال تحليل مفهوم مقاصد القرآن، واستجلاء أهميتها، وتبيان الصلة الوثقى بين المقاصد والعمران، فلمقاصد القرآن دور حيوي في استجلاء المكانة العليا للقرآن الكريم، وإسهام بارز في بناء الحضارة والعمران، بيد أنها لم تنل حقها من التنظير والتأصيل.

دراسة بعنوان: "المقومات التشريعية للحضارة الإسلامية: دراسة تحليلية شرعية" للباحث: أياد كامل إبراهيم الزبياري، مجلة دراسات العلوم الإسلامية، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح) بالتعاون جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم بالسودان، ع10، الأردن 2023م، وهذا البحث

المبحث الأول: مفهوم المقاصد والحضارة والتعريف بسورة سبأ:

المطلب الأول: مفهوم المقاصد القرآنية وأهمية العلم بها.

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة.

المطلب الثالث: التعريف بسورة سبأ والحضارات المذكورة بها.

المبحث الثاني: مقاصد سورة سبأ بالبناء الحضاري للإنسان.

المطلب الأول: الإيمان بالله وإقامة التوحيد له ونبذ ما يضاده.

المطلب الثاني: التزام القيم الإسلامية.

المطلب الثالث: شكر المنعم على نعمه.

المطلب الرابع: المحاسبة.

المبحث الثالث: إدراك السنن الإلهية في الحضارات المطلب الأول: أهمية العمل

المطلب الثاني: تحقيق العلم والعمل به

إجراءات الدراسة:

1- استقراء آيات سورة سبأ وتحليلها بالوقوف على المعاني والدلالات مما قاله المفسرون في تفسيرها، ومن ثم استنباط المقاصد المتعلقة بالبناء الحضاري للإنسان وتقسيم الآيات وفقاً لتلك المقاصد.

2- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وبيان أرقامها في المتن، وتخرج الأحاديث من مظانها فإن كانت في الصحيحين أكتفي بهما وإن كانت عند غيرهما بينت حكم العلماء ما أمكن، ويكون ذلك في الهامش.

3- الرجوع إلى المصادر الأصلية والكتب المعتمدة قديماً وحديثاً في مجال التفسير وغيره وتوثيقها في

يعد دراسة في المقومات التشريعية للحضارة الإسلامية، والهدف منها دراسة مظاهر بناء الحضارة الإسلامية وانحيارها من خلال الإشارة إلى أبرز ملامح ومظاهر بناء الحضارة وأفولها؛ لأن حركة الوجود تخضع لسنن ونواميس إلهية، والتي تحكم حركة الوجود حفظاً له من الفوضى والفساد، ولما كان عمران الأرض مقصداً من مقاصد الرسالات السماوية كانت سنن المداولة والمدافعة والاستبدال والاستندراج وغيرها من السنن الحضارية هي الحاكمة على الواقع، ومن ثم فإن السيورة الحضارية للأفراد والأمم محكومة بهذه السنن والقواني المضطردة، وكذلك الإشارة من خلال الدراسة إلى أبرز مقومات التشريعية لحضارتنا عبر القرون السابقة. ولا تقوم الحضارة إلا بها، وعلى رأسها، الإيمان بالله تعالى هو الأساس الذي تبنى عليه الحضارة، ومنه ينبثق التصور الصحيح للحياة، والكون، والإنسان؛ لأن الحضارة وليدة الأفكار والتصورات.

ورغم أن هذه الدراسات أجادت علينا بمادة محكمة حول تأصيل الفهم المقاصدي لآيات الحضارة والعمران في القرآن الكريم، إلا أنها لم تظهر سبل بقاء الحضارات ووجودها، ولم تهتم بمبدأ المقارنة بين الحضارات الباقية والحضارات البائدة، وهذا القصور في تلك الدراسات كان منطلق الدراسة الحالية، ليكون ذلك هو الجديد الذي تضيفه تلك الدراسة.

خطة الدراسة:

المقدمة: وفيها بيان مشكلة الدراسة وتساؤلاتها، وأهميتها، وأهدافها، ومنهجها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة، وإجراءاتها.

الهامش بالطريقة العلمية المتبعة.

4- التعريف بالكلمات الغريبة.

المبحث الأول: مفهوم المقاصد والحضارة والتعريف

بسورة سبأ

المطلب الأول: مفهوم المقاصد القرآنية وأهمية

العلم بها:

المقاصد لغة:

المقاصد لغة جمع مقصد، من قصد الشيء وقصد له، والقصد والمقصد هو طلب الشيء أو إثبات الشيء، أو الاكتناز في الشيء أو العدل فيه⁽¹⁾، والقصد: إتيان الشيء، تقول: قصدته وقصدت له وقصدت إليه⁽²⁾.

المقاصد اصطلاحاً:

هي المباني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام؛ ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها⁽³⁾.

فالمقاصد هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسعت

إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان، وذلك من خلال المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئية، أم مصالح كلية، أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين⁽⁴⁾.

ومن خلال ما سبق يمكننا صياغة التعريف الإجرائي للمقاصد على أنها الغايات والأهداف التي أتت بها الشريعة، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها، وذلك من خلال المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، ليحصل من خلالها تحقيق المنافع وتجنب الضرر.

وارتباط اللفظ بكونها "مقاصد قرآنية" يجعل هذه المصالح المقصودة مردها إلى آيات القرآن الكريم، وذلك لبيان الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها.

حيث يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها، فالوسيلة إلى المقاصد أفضل من سائر الوسائل، فالتوسل إلى معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته أفضل من التوسل إلى معرفة أحكامه، والتوسل إلى معرفة آياته، والتوسل بالسعي إلى الجهاد أفضل من التوسل بالسعي إلى الجمعات، والتوسل بالسعي إلى الجمعات أفضل من التوسل

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م. ج 2 ص 35.

(4) الخادمي، نور الدين مختار، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، الأولى 1421 هـ - 2001 م. ج 1، ص 16.

(1) الفيروز أبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، لسنة 1426 هـ. 2005 م، مادة قصد ج 2 ص 327.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري التوفيقي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، لسنة 1414 هـ. ج 3 ص 353.

دور العلم والرقى، واستنادا لذلك غرست الحضارة الإسلامية في أعماق الإنسان مفاهيم جديدة في العقيدة، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق مما لم يألفه العرب في جاهليتهم، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحضارة، انعكس أثرها على اللغة إذ هي وعاء الفكر ودليله والخلق الذي يُستمد من أخلاق الأنبياء عليهم السلام، ومن الطبيعي أن تتطلب هذه الحضارة الإسلامية مادة لغوية جديدة - تغاير معاني الألفاظ المعهودة للتعبير عن المعاني التي تعبر عن تلك المقاصد⁽⁶⁾.

المطلب الثالث: التعريف بسورة سبأ والحضارات المذكورة بها:

سورة سبأ خَمْسُونَ وَخَمْسَ آيَاتٍ فِي الشَّامِيِّ وَأَرْبَعٌ فِي عَدَدِ الْبَاقِيْنَ، اِخْتِلَافُهَا آيَةٌ ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عِدْهَا الشَّامِيُّ وَلَمْ يَعْدْهَا الْبَاقُونَ⁽⁷⁾، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾⁽⁸⁾ فمَدْنِيَّةٌ عَلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِ⁽⁹⁾.

بالسعي إلى الجماعات في الصلوات المكتوبات، والتوسل بالسعي إلى الصلوات المكتوبات أفضل من التوسل بالسعي إلى المندوبات التي شرعت فيها الجماعات كالعبددين والكسوفين، وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة، كان أجراها أعظم من أجر ما نقص عنها، فتبليغ رسالات الله من أفضل الوسائل، لأدائه إلى جلب كل صلاح دعت إليه الرسل، وإلى درء كل فاسد زجرت عنه الرسل⁽¹⁾.

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة:

الحضارة لغة:

الإقامة في الحَضَر⁽²⁾، وحاضرتَه: عاديته من الحضر⁽³⁾، والحاضر: المقيم في المدن والقرى، وعكسه البادي: المقيم بالبادية⁽⁴⁾.

الحضارة اصطلاحاً:

هي مرحلة سابقة من مراحل التَطَوُّر الإنساني⁽⁵⁾. والحضارة الإسلامية ترتبط ارتباطاً عظيمًا بمقاصد القرآن الكريم، إذ أن الغايات والأهداف التي تفصح عنها الآيات القرآنية داعية إلى البناء والتعمير وسيادة

(1) ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ) قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، 1414 هـ - 1991 م. ج 1، ص 123.

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج 2 ص 633.

(3) الزحخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، (المتوفى: 538هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م. ج 1، ص 195.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 197.

(5) أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) وآخرون، معجم

اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، 1429 هـ - 2008 م. ج 1، ص 513.

(6) قلنجي، محمد رواس، وآخرون، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م. ص: 26.

(7) أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (المتوفى: 444هـ) البيان في عدّ آي القرآن، المحقق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م، (ص 209).

(8) سورة سبأ: 6.

(9) الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي أبو جعفر (المتوفى: 708هـ) البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني

والتي قال عنه القرآن: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا مَاضِيًا
يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۖ أَنْ أَعْمَلْ
سَيْعَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ۝١١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ
وَأَسْلَمْنَا لَهُ، عَيْنَ الْقَطْرِ وَمَنْ أَلْجَنَ مِنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ
وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝١٢﴾ يَعْمَلُونَ
لَهُ، مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَافٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَأْسِيَّتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشَّاكِرِينَ ۝١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا
دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَّوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝١٤﴾ (3)

فكانت نموذجًا لحضارة قوية راقية استقرت وانتشرت
لأنها كانت مستسلمة لله تعالى.

أما الحضارة الثانية: فهي الجاحدة نعم الله تعالى
البعيد عن المنهج الرباني والتي عبر عنها القرآن بقوله:
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ
غَفُورٌ ۝١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمُ
بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ
قَلِيلٍ ۝١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا
الْكَافِرِينَ ۝١٧﴾ (4) فهذه الحضارة لأنها لم تسر على
المنهج الرباني القويم كان مصيرها الزوال.

وتبدأ سورة «سبأ» بقوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» تبدأ بهذا الاستفتاح
بحمد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض،
وكأنها بهذا الاستفتاح تضع بين يدي الإنسان المفتاح
الذي يحفظ به ما استودع من أمانات الله.. وهو حمد
الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، فحمد
الله، هو ثمرة الإيمان بالله، والمعرفة بجلاله، وعظمته،
وما له في ذات الإنسان، من آيات الإحسان،
وسوابغ النعم.. فمن آمن بالله حق الإيمان، كان
لسان ذكر وحمد وشكر، لله رب العالمين، وذلك فيما
يرى على ضوء هذا الإيمان من فضل الله،
وإحسانه (1).

ومن أغراض هذه السورة إبطال قواعد الشرك
وأعظمها إشراكهم آلهة مع الله وإنكار البعث فابتدئ
بدليل على انفراده تعالى بالإلهية ونفي الإلهية عن
أصنامهم ونفي أن تكون الأصنام شفعاء لعبادها، ثم
موضوع البعث، وإثبات إحاطة علم الله بما في
السموات وما في الأرض فما يخبر به فهو واقع ومن
ذلك إثبات البعث والجزاء، وإثبات صدق النبي فيما
أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن وأن القرآن شهد
به علماء أهل الكتاب (2).

وفي هذه السورة ذكر لحضارتين: الأولى: هي
المتمسكة بحبل الله تعالى وهي حضارة داود وسليمان

وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار

التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ. ج 22، ص

(3) سورة سبأ: 10 - 14

(4) سورة سبأ: 15 - 17

دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب عام النشر:

1410 هـ - 1990 م (ص 283).

(1) المرجع السابق (ص 283).

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي

(المتوفى: 1393 هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد

المبحث الثاني: مقاصد سورة سبأ بالبناء الحضاري للإنسان

المطلب الأول: الإيمان بالله وإقامة التوحيد له ونبذ ما يضاده

تعريف التوحيد لغة:

هو العلم بأن الشيء واحد، والواحد الأوحد المتوحد: الذي لا ثاني له، ذو الوجدانية، هو ربنا سبحانه وتعالى، والوجدانية: التفرد وعدم المشاركة في الشيء⁽¹⁾.

المطلب الثاني: تعريف التوحيد اصطلاحاً:

عرف علم العقيدة والكلام التوحيد بتعريفات عديدة، أذكر منها:

التوحيد: عدم التعدد في ذاته تعالى وصفاته وأفعاله⁽²⁾.

وعرف التوحيد بأنه: إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفات وأفعالاً، فليس ثمة ذات تشبه ذاته، إذ لا تقبل ذاته الانقسام لا فعلاً ولا وهماً ولا فرضاً مطابقاً للواقع، ولا تشبه صفاته الصفات، ولا تعدد فيها من جنس واحد، بأن يكون له تعالى قدرتان أو علمان مثلاً⁽³⁾.

وقد تضمنت سورة سبأ العديد من المواضع الداعية إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، ونبذ ما يضده، بل

إن السورة افتتحت بالتأكيد على أنه لا معبود مستوجب الحمد والشكر إلا الله تعالى، فجاء في أولها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾⁽⁴⁾ ثم توالى الآيات في السورة التي تدعو إلى توحيد الله، وتنزيهه عن الشركاء، والتأكيد على أنه لا يدخل في أفعاله الاشتراك، إذ لا فعل لغيره سبحانه خلقاً أو إيجاداً، وقد "ثبت بنصوص الوحي إبطال إلهية غير الله، فثبت أن للناس إلهاً واحداً لا شريك له"⁽⁵⁾.

هذا المنهج الرباني الداعي للتوحيد ينطلق من منهجية عقلية منطقية، فدائماً ما يخاطب الله تعالى عباده بما تفهمه عقولهم، ويقبله منطقهم، فإذا كان المعبود من شروطه عقلاً أن يكون صاحب العلم المطلق فقد قال الله تعالى عن نفسه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾⁽⁶⁾ وقال أيضاً: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾⁽⁷⁾ وفي هذا دلالة أنه لا يشاركه في أحاديته في ذاته وفعله أحد، "وإذا كان المحدود لا يدرك ما هو أوسع منه حدًا، فكيف يدرك غير المحدود"⁽⁸⁾.

(4) سورة سبأ: 1

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (14/ 127)

(6) سورة سبأ: 2

(7) سورة سبأ: 3

(8) ينظر: السيد محمد علوي المالكي، جلاء الإفهام في شرح عقيدة

العوام، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط2، سنة 2004. ص24، 25.

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (الواحد) 3، ص450، إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، د ط، د ت. ج 2، ص1017.

(2) العدوي، حاشيته على شرح الشيخ الدردير: ص37.

(3) الباجوري، إبراهيم بن محمد، شرح جوهرة التوحيد، تحقيق: أ د: مصطفى ديب البغا، دار المصطفى، دمشق، ط1، لسنة 2010م. ص17.

إن التوحيد الذي تدعو له سورة سبأ هو إفراد الله سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولاً، وعملاً؛ لأنه يوم القيامة لا يملك الإنسان لنفسه مفراً من بطش الله وغضبه، وهذا يقتضي أن يذكر الله تعالى عباده العصاة بأن دعوتهم غيره لا نفع منها ولا طائل فيقول: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (٢٢) وهذا يقتضي نفي العبادة عن كل من سوى الله سبحانه وتعالى كائناً من كان⁽⁶⁾، ويقول أيضاً: ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٧) فهذا يجعل العبد "يعترف على وجه العلم، واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة"⁽⁸⁾.

فعندما يتم تأسيس التوحيد السليم في الإنسان، يكون سلوكه صحيحاً في حياته، وعندما يظل التوحيد سليماً في المجتمع البشري، يتم تنظيم ذلك المجتمع ويصل إلى ذروة الكمال البشري؛ لهذا السبب كان التوحيد الركيزة الأساسية التي شكل الإسلام من خلالها شخصية المسلم، تلك الركيزة الداعية

وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه القادر الذي يملك التصرف في كافة الأمور فقال: ﴿إِنْ شَاءَ خَسَفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (١) كما قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (2)، والإدراك الإحاطة بكنهه وهو سبحانه، لا يحيط بحقيقة ذاته وصفاته وأفعاله، وهذا يقتضي إفراد الله سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته وأفعاله.

ثم يضرب الله تعالى الأمثلة الواقعية المثبتة أن وحده المستوجب للعبادة ونبذ ما يدونه، فيقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ (٣) فالمطالع للتاريخ يجد أن الله تعالى وهب قوم سبأ ما لا يستطيعه غيره فكانوا إذا خرجوا من مأرب إلى البلاد الشامية قوافل للتجارة وبيع الطعام سلكوا طريق تهامة ثم الحجاز ثم مشارف الشام ثم بلاد الشام، فكانوا كلما ساروا مرحلة وجدوا قرية أو بلدة أو داراً للاستراحة واستراحوا وتزودوا. فكانوا من أجل ذلك لا يحملون معهم أزواداً إذا خرجوا من مأرب⁽⁴⁾.

والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1422 هـ ص 51.

(7) سورة سبأ: 27

(8) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774 هـ) تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، هـ - 1999 م ج 3، ص 48، و ينظر: ابن سعدي، الحق الواضح المبين، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1407 هـ 1987 م، الرياض. ص 112_113.

(1) سورة سبأ: 9

(2) سورة الأنعام: 103.

(3) سورة سبأ: 18

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 22، ص 174.

(5) سورة سبأ: 22

(6) ينظر: الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (الكتاب نشر - أيضاً - بعنوان: 200 سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية) (المتوفى: 1377 هـ) تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية

على سبيل الوجوب، وذلك عند ما يتوب المشرك عن شركه، فإذا كان قوله: إن الله لا يغفر الشرك هو أنه لا يغفره على سبيل التفضل، وجب أن يكون قوله: ويغفر ما دون ذلك هو أن يغفره على سبيل التفضل، حتى يكون النفي والإثبات متواردين على معنى واحد. ألا ترى أنه لو قال: فلان لا يعطي أحدا تفضلا، ويعطي زائدا فإنه يفهم منه أنه يعطيه تفضلا، حتى لو صرح وقال: لا يعطي أحدا شيئا على سبيل التفضل ويعطي أزيد على سبيل الوجوب، فكل عاقل يحكم بركاكة هذا الكلام، فثبت أن قوله: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء على سبيل التفضل⁽⁵⁾. فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٨٢)، والمعنى: أن الذين حصل لهم الأمن المطلق هم الذين يكونون مستجمعين لهذين الوصفين: أولهما: الإيمان وهو كمال القوة النظرية. وثانيهما: ولم يلبسوا إيمانهم بظلم وهو كمال القوة العملية⁽⁷⁾. أي صدقوا وأذعنوا بأنه الرب الملك المعبود وحده لا شريك له في ربوبيته وملكه وعبادته ولا في أسمائه وصفاته وأنه قيم السموات والأرضين ومن فيهن، وأنه عالم الغيب، كما في قوله: ﴿قُلْ إِنْ رَجَيْ قَذْفُ بِالْحَقِّ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾^(٨٤) وأنه قائم بذاته فهو الغني عمن

لتنزيه الله تعالى كونه المنعم والرازق، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَجَيْ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣١) ليصبح المسلم بالتوحيد مستند للركيزة الأساسية التي تحرك عواطفه وتوجه إرادته وعليه أن يتحكم في جميع أنواع السلوك، وأن يستخدمها في اتجاه منع الأذى والألم والخسارة الآنية والمستقبلية، وما يعود عليه بالنفع الفوري والمستقبلي والسرور والمنفعة، ويجنبه الوعيد الذي توعد الله عباده العصاة في قوله: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِزُّونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣٠) وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾⁽³⁾ وهذا الحذر هو ما يطلبه الإسلام من كل أفراد.

ولقد دلت آيات القرآن على فضل التوحيد وتكفيره للذنوب؛ لأن من أتى به تآمرا فله الأمن التام والاهتداء التام، ودخل الجنة بلا عذاب، ومن أتى به ناقصا بالذنوب التي لم يتب منها، فإن كانت صغائر كفرت باجتناب الكبائر، وإن كانت كبائر فهو في حكم المشيئة، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، ومآله إلى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٤٨). معناه لا يغفر الشرك على سبيل التفضل؛ لأنه بالإجماع لا يغفر

التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ. ج 10، ص 98.

(6) سورة الأنعام: 82.

(7) الرازي، التفسير الكبير ج 13، ص 49.

(8) سورة سبأ: 48.

(1) سورة سبأ: 36

(2) سورة سبأ: 30

(3) سورة سبأ: 40

(4) سورة النساء: 48.

(5) فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (المتوفى: 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء

والأمطار، وترك في خروقا على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم، فما كان منهم إلا أن ﴿فَاعْرَضُوا﴾⁽⁴⁾ وامتنعوا عن منهج الحق، بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيا يدعوهم إلى الله ويذكروهم نعمته عليهم⁽⁵⁾، فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الجزان، فنقبه من أسفله فغرقهم، وهكذا يظهر أن اتباع أساس الإسلام والمنهج القويم كانت المنجى الوحيد لهم من الدمار والهلاك.

المطلب الثالث: شكر المنعم على نعمه:

إنَّ الله سبحانه وتعالى قد أنعم على خلقه وتفضل عليهم بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، كما فضل بني آدم على سائر المخلوقات وحباهم بكافة النعم، والنعمة لا بد لها من منعم، وهذه النعم الكثيرة على الإنسان إنما هي من صنع الله الواحد لا شريك له، وهذا النعم تستوجب من العباد شكر الله عليها، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾⁽⁶⁾، وقد نبه سبحانه وتعالى، في كتابه الكريم إلى كثير من النعم فأكثر الحديث عنها، وسورة سبأ شاهدة على ذكر العديد من تلك النعم، فقد وجه الله تعالى أنظار عباده نحو التفكير في مصدرها وموجدتها وأنه جدير بالعبادة، ولما يثير شكر هذه النعم في أنفسهم من محبة المنعم عليهم بها، لاسيما أن هذه النعم ليست في طاقة البشر.

سواء وقوم بالخلق والخلق فقراء إليه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾⁽¹⁾، وأيضاً وآمنوا بملائكته على ما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: التزام القيم الإسلامية:

تدعو المقاصد القرآنية إلى ضرورة استظهار الرأي الغالب الظاهر، والتي تدعو إلى ترسيخ القيم الإسلامية الحقيقية المتمثلة في شكر المنعم على إنعامه، ويضرب لنا القرآن في سورة سبأ مثلاً للحضارة التي لم تلتزم بالقيم الإسلامية، وهي حضارة سبأ، والتي كان مصيرها الزوال والهدم، فبالنظر إلى تلك الحضارة نجد أنها كانت زاخرة بجميع صنوف الخيرات والطيبات، حيث تخرج المرأة وعلى رأسها المكتمل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر، فيمتلئ المكنل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة، لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وقد عبر عن ذلك قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾⁽²⁾ ثم أمره بشكر النعمة والعمل وفق المنهج الرباني فقال: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾⁽³⁾ حتى ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار، فحققت به ماء العيون

لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار

الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964

م.ج. 14، ص 285.

(6) سورة سبأ: 13.

(1) سورة فاطر: 15

(2) سورة سبأ: 15

(3) سورة سبأ: 15

(4) سورة سبأ: 16

(5) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج

الأَنْصَارِي الخَزْرَجِي شمس الدين (المتوفى: 671هـ) الجامع

الدارين لا لانتفاعه تعالى به، وإنما قيل لعبادة لا لكم لتعميم الحكم، إلا أن كثيراً من الخلق لا يهتمون بذلك فصديق فيهم قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٢) لتقوم الحجة على الإنسان الظالم الجاحد فيستحق العقاب (6).

تتجلى أيضاً أهمية شكر النعمة في اقترانه بالإيمان، حتى قال جل ذكره: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ (7) وذكره معه، وجعلهما معاً سبباً للأمن من العذاب، يقول تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (١٤٧) (8). فالشكر أمان من عذاب الله، فالشكر يحصل له الأمان من عذاب الله تعالى بخلاف المنافق المعرض بعذاب الله - عز وجل -.

جعل الله تعالى كفر النعمة وعدم شكرها سبباً في وجود الجوع والخوف في المجتمع يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٣) (9).

لذلك دعا الله تعالى عباده في كثير من المواطن في القرآن الكريم إلى أداء شكر هذه النعم، وجعل

والتذكير بنعم الله يوقظ القلب الغافل وينبهه إلى ما يرتفع فيه الإنسان من خيرات عظيمة ونعم جليلة، تجعله دائماً يهدف إلى العمل الصالح الذي أمر الله به آل داود فقال: ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١) (1) فيكون ذلك أدعى للاستجابة لهدي الله والدخول في طاعته، والنعمة تذكر في القرآن الكريم كثيراً، أحياناً مفصلة وأحياناً وعطائه ليحسب العاقل إله الحق المنعم عليه، ولتقوم الحجة على الإنسان الظالم الجاحد فيستحق العقاب، وقد بين الله تعالى عجزنا عن إحصاء نعمه يأتين هما قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٨) (2). وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٢٤) (3).

ومما يدل على أهمية شكر النعمة أنه من أهم الأسباب لحصول رضا الرب تبارك وتعالى فالشكر يرضاه الله سبحانه وتعالى؛ لأن النفع حاصل لهم: قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، فقوله تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (4). أي يرضى الشكر لأجلكم ومنفعتكم؛ لأنه سبب لفوزكم بسعادة

عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية -

بيروت، ج 1، ص 111.

(7) سورة سبأ: 15

(8) سورة النساء آية 147.

(9) سورة النحل آية 112.

(1) سورة سبأ: 11

(2) سورة النحل آية 18.

(3) سورة إبراهيم آية 34.

(4) سورة الزمر آية 7.

(5) سورة سبأ: 13

(6) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري

البغدادي، (المتوفى: 450هـ) النكت والعيون، المحقق: السيد ابن

تنفع شفاعة شافع كائنا من كان الشافع لمن شفع له، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدا إلا لمن أذن الله في الشفاعة له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من المشركين به، وأنتم أهل شرك، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعما منكم أنكم تعبدونه، ليقربكم إلى الله زلفى، وليشفع لكم عند ربكم⁽⁵⁾.

ونتيجة لمنهج المحاسبة ارتقت حضارة داود وسليمان، وانحطت حضارة سبأ بانحدام سد مأرب، فقد حقق آل داود منهج المحاسبة وأتمروا بأمر الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾⁽⁶⁾ ليرز قيمة العمل وفق المنهج الرباني، هذا المنهج الحقيقي الذي اتبعته الحضارة التي قامت على أسس سليمة هو الذي كُتب له البقاء والدوام.

وهذا كله ناتج من تربية المسلم على ثقافة المحاسبة؛ فبنيت الشخصية القوية الحرة المبدعة القادرة على الانتقاء والأخذ والترك في ضوء معارف عامة يؤمن بها، وهذا هو المطلوب التنوع الثقافي والمعرفي الهادف

الشكر من عادات عباد الله الصالحين فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾⁽¹⁾ حتى "إننا لو استقصينا النعمة الواحدة لوجدنا فيها نعما كثيرة"⁽²⁾. ثم إنه تعالى يدبر أحوال بدن الإنسان على الوجه الأكمل الأصلح، مع أن الإنسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بكيفية مصالحه ولا بدفع مفسده، فليكن هذا المثال حاضرا في ذهنك، ثم تأمل في جميع ما خلق الله في هذا العالم من المعادن والنبات والحيوان، وجعلها مهياة لا تتفاعدك بها، حتى تعلم أن عقول الخلق تفنى في معرفة حكمة الرحمن في خلق الإنسان فضلا عن سائر وجوه الفضل والإحسان⁽³⁾.

المطلب الرابع: المحاسبة:

لقد دعا المنهج الرباني البشر إلى غايات ومقاصد وأهداف معينة، وأمرهم أن يسيروا تجاه تحقيق تلك المقاصد، ومكنهم من مراجعة النفس دائما للتأكد من أنهم لا يزالوا على المنهج الصحيح، فشرع لهم المحاسبة ومراجعة أحوال النفس مع الله تعالى، محذرا إياهم بأن الحياد عن المنهج المرسوم - وهو المنهج الحق - فيه هلاكهم وفسادهم، وعندها لا يملك أحد لهم الشفاعة إلا من أذن له تعالى فقال: ﴿وَلَا تُنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ﴾⁽⁴⁾ والمعنى ولا

خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ - ج2، ص 194.

(4) سورة سبأ: 23

(5) تفسير الطبري، جامع البيان، ج19، ص 274.

(6) سورة سبأ: 13

(1) سورة سبأ: 19

(2) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: 465هـ) لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة، ج2، ص 290.

(3) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي

طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبوا كسرهما ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريب على ذلك برعي الغنم وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها⁽³⁾.

عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ زَكْرِيَاءُ نَجَّارًا»⁽⁴⁾.

دل هذا الحديث على مقصد ضروري وهو العمل؛ فلا بُد من العمل لأن الاشتغال بالكسب والتسبب إلى الغنى عن الناس يحفظ الدين، ويمنع من الرياء، ويكون أدعى إلى قبول القول، وقد مدح الكسب والمال كل عاقل، وفيه مقصد حاجي وهو جواز الصنائع وأن التجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة وفيه فضيلة لذكرياء صلى الله عليه وسلم فإنه كان صانعاً يأكل من كسبه⁽⁵⁾، فأفضل طرق الاكتساب عمل الرجل بيده؛ لأنه سنة الأنبياء كان داود يعمل السرد وكان زكريا نجاراً.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن خياطاً دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام

إلى بناء شخصية إسلامية قوية ورائدة وإيجابية ونافعة ومجددة على جميع المستويات المعرفية والثقافية.

المبحث الثالث: إدراك السنن الإلهية في الحضارات:

المطلب الأول: أهمية العمل

إن أعظم ما يمكن إدراكه من السنن الإلهية في الحضارة أن العمل الجاد القائم على المنهج الرباني هو الذي تدوم آثاره وترتقي حضارته، فقد اعتبر الإسلام الإنتاج والإنتاجية ضرورة مشروعة، واعتبر أن مكافأة العامل المنتج هي مكافأة المناضل في سبيل الله، العمل حق من حقوق الإنسان، وذلك أن الأنبياء والمرسلين أحوالهم في تواضعهم غير أحوال الملوك والجبارين وكذلك أحوال الصالحين⁽¹⁾، كأنه يشير بهذا إلى أن الأنبياء لم يكونوا ملوكاً، وإنما كانت النبوة عند المتواضعين من أصحاب الحرف⁽²⁾.

فالحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق وعلموا اختلاف

(3) القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، 1323 هـ (4/ 127)

(4) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضائل زكرياء عليه السلام، برقم 2379 (4، ص 1847)

(5) النووي، شرحه على صحيح مسلم (15، ص 135)

(1) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب عام النشر: 1387 هـ، ج 24، ص 344.

(2) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ) كشف المشكل من حديث الصحيحين، المحقق: علي حسين البواب دار الوطن - الرياض، ج 3، ص 9.

صنعه⁽¹⁾.

وفي الحديث جواز العمل بالدباغة؛ وهي كل شيء ينشف فضلات الجلد، ويطيئه ويمنع من ورود الفساد عليه كالشث⁽²⁾، والقرظ⁽³⁾، وقشور الرمان، وغير ذلك من الأدوية الطاهرة، والحديث دليل على وجوب استعمال الماء في أثناء الدباغ أو بعد الدباغ لإزالة الدرن ووضر الدبغ.

وَعَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ يَخْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُرْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ»⁽⁴⁾.

والله يقول في ذلك ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾⁽⁵⁾، فالقوي هو الذي يملك العمل، ويجد وينشط في طلب الرزق الحلال، وعندها تحصل الخبرة فيكون "استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة"⁽⁶⁾. وقد ثبت عن ابن عباس، رضي الله

عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه، فقد خان الله ورسوله، وجميع المسلمين"⁽⁷⁾. وكل ما يندرج تحت المحافظة على الدين وسياسة الدنيا به فهو من الواجبات الملقة على الحاكم خاصة التي تتعلق بالضروريات والحاجيات في حياة الأمة فتكون من واجبات الحاكم الأساسية.

المطلب الثاني: تحقيق العلم والعمل به:

اتفق العلماء على أن مقاصد الشريعة هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان، وذلك من خلال المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئية، أم مصالح كلية، أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين⁽⁸⁾.

لقد دعت سورة سبأ إلى العلم والعمل به، والذي عبر عنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾⁽⁹⁾ وهذا الفضل فسرهُ سليمان عليه السلام في سورة

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب ذكر الخياط، (3، ص 61) حديث رقم (2092)، وكتاب الأطعمة، باب المرق، (7، ص 78) رقم الحديث (5436)، وباب من ناول أو قدم إلى صاحبه على المائدة شيئاً (7، ص 79) رقم الحديث (5439).

(2) ضرب من الشجر، طيب الريح، مَرَّ الطَّعْمُ، يدبغ به. ابن منظور، لسان العرب (2/ 159).

(3) شجر يدبغ به الأدم، منسوب إلى بلاد القرظ، وهي اليمن، لأنها منابت القرظ، والقارظ: الذي يجمع القرظ. ابن منظور، لسان العرب، (7/ 454).

(4) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، برقم 2074 (3، ص 57).

(5) سورة القصص 26.

(6) الماوردي، الأحكام السلطانية (ص: 40).

(7) أخرجه الطبراني، وفيه أبو محمد الجزري وحمة ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد (5، ص 212) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المستدرک على الصحيحين للحاكم (4، ص 104).

(8) الخادمي، نور الدين مختار، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، الأولى 1421هـ - 2001م. ج 1، ص 16.

(9) سورة سبأ: 10.

عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾⁽⁸⁾ في الآخرة، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة⁽⁹⁾، ثم جعل سليمان عليه السلام الجن يصنعون ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرُوبٍ﴾ أي مساكن ومجالس شريفة أو مساجد وتماثيل أي صور ونقوش متنوعة على الجدر والسقوف والأعمدة، جمع (تماثيل) وهو كل ما صوّر على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان، ولم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرماً⁽¹⁰⁾.

ونتيجة لذلك كان من الضروري شكر هذه النعم بالعمل الجاد فأمر الله آل داود بالعمل الذي فيه صلاح الدنيا والآخرة فقال: ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁽¹¹⁾ ثم أكد هذا الأمر مرة أخرى بقوله: ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾⁽¹²⁾ ليرز قيمة العمل وفق المنهج الرباني.

وهذا المنهج الحقيقي الذي اتبعته الحضارة التي قامت على أسس سليمة هو الذي كُتب له البقاء والدوام، لذا حضّ الله تعالى على طلب العلم الذي هو أداة التقدم والرفعة، فهلا نفر في أثناء النهضة من كل

النمل فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مِّنْطِقِ الطَّيْرِ﴾⁽¹⁾ فكان فضل الله تعالى على سليمان وداود متمثل في تعليمهم ما خفي على كثير من خلق الله، فعلم الله تعالى داود صناعة الحديد وطلب منه أن يعمل في صناعة الدروع، وأمره أن يحكم الصنع⁽²⁾، فقال: ﴿وَأَلْتَمَسَ لَهُ الْحَدِيدَ﴾^(١٠) أَنْ أَعْمَلَ سَيْغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرَدِ⁽³⁾ كما علم سليمان عليه السلام طريقة التعامل مع الريح، لتسهيل نقله من مكان لمكان، فقال: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ﴾⁽⁴⁾ وإن كان قد علم داود عليه السلام صناعة الحديد، فإنه تعالى أسال لسليمان النحاس، فقال تعالى: ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْفِطْرَ﴾⁽⁵⁾ أي أجرينا له ينبوعه لكثرة ما توفر لديه منه من سعة ملكه⁽⁶⁾.

ثم علم الله تعالى سليمان عليه السلام طريقة التعامل مع الجن فقال: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرُوبٍ وَتَمَثِيلٌ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ⁽⁷⁾ والمعنى: ومن يزل ويعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ

(6) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: 1332هـ) محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ. ج 8، ص 131، ج 8، ص 136.

(7) سورة سبأ: 12، 13

(8) سورة سبأ: 12

(9) الطبري، جامع البيان ط هجر ج 19، ص 229.

(10) القاسمي، محاسن التأويل ج 8، ص 137.

(11) سورة سبأ: 11

(12) سورة سبأ: 13

(1) سورة النمل: 16

(2) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن ممامة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م، ج 19، ص 207. ج 19، ص 223.

(3) سورة سبأ: 10، 11

(4) سورة سبأ: 12

(5) سورة سبأ: 12

- أبرزت الدراسة أن العمل الجاد القائم على المنهج الرباني هو الذي تدوم آثاره وترتقي حضارته، فالإنتاج والإنتاجية ضرورة مشروعة، فقد عد الشرع مكافأة العامل المنتج كمكافأة المناضل في سبيل الله، فالعمل حق من حقوق الإنسان، ودليله أن الأنبياء والمرسلين كان لكل منهم عملاً يؤديه.

- أوضحت الدراسة أن الحضارة الإسلامية غرست في أعماق الإنسان مفاهيم جديدة في العقيدة، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق مما لم يألفه العرب في جاهليتهم، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحضارة، انعكس أثرها على اللغة إذ هي وعاء الفكر ودليله والخلق الذي يُستمد من أخلاق الأنبياء عليهم السلام، فالحضارة الإسلامية ترتبط ارتباطاً عظيماً بمقاصد القرآن الكريم، إذ أن الغايات والأهداف التي تفصح عنها الآيات القرآنية داعية إلى البناء والتعمير وسيادة دور العلم والرفي.

- بينت الدراسة أنه من الضروري شكر النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده بالعمل الجاد؛ فأمر الله آل داود بالعمل الذي فيه صلاح الدنيا والآخرة، وفي هذا إخلاص العبادة لله تعالى، وكما توحيده، فعندما يتم تأسيس التوحيد السليم في الإنسان، يكون سلوكه صحيحاً في حياته، وعندما يظل التوحيد سليماً في المجتمع البشري، يتم تنظيم ذلك المجتمع ويصل إلى ذروة الكمال البشري.

التوصيات:

توصي الباحثة بإجراء العديد من الدراسات التي تبرز

جماعة كالقبيلة أو البلد طائفة قليلة منهم للتفقه في الدين، ومعرفة أحكام الشريعة وأسرارها، حتى إذا ما رجع المجاهدون من المعركة، أنذروهم من الأعداء، وحذروهم من غضب الله وعرفوهم أحكام الدين، لكي يخافوا الله، ويحذروا عاقبة عصيانهم، ومخالفة أمره⁽¹⁾.

الخاتمة:

نتائج البحث:

- أبرزت الدراسة أهمية المقاصد القرآنية وعلاقتها بالبناء الحضاري للإنسان، فاتباع مقاصد القرآن التي هي في أصل الأوامر الربانية التي لا تختلف باختلاف العصور والأزمان هي التي مكنت الحضارات العظيمة من البقاء على مر العصور، وحضارة سليمان وداود أبرز هذه الحضارات.

- كشفت الدراسة عن المقاصد القرآنية في سورة سبأ، وبينت أوجه البناء الحضاري وذلك بإبطال قواعد الشرك، وإنكار البعث، ونفي الإلهية، وقوي ذلك من خلال المقارنة بين حضارتين: الأولى: هي المتمسكة بجبل الله تعالى وهي حضارة داود وسليمان أما الحضارة الثانية: فهي الجاحدة نعم الله تعالى البعيد عن المنهج الرباني وهي حضارة سبأ.

- استطاعت الدراسة الوقوف على مقومات النهضة الحضارية للأمة وسبل استمراريتها، وهذه المقومات تنطلق من إقامة التوحيد له ونبذ ما يضاده، ثم التزام القيم الإسلامية، ومن ثم شكر المنعم على نعمه، ثم بعد ذلك المحاسبة.

(1) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط. دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى - 1422 هـ. ج1، ص 931.

(7) ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ) قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة) طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، 1414 هـ - 1991 م.

(8) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، هـ - 1999 م.

(9) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري الرؤفيعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، لسنة: 1414هـ.

(10) أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (المتوفى: 444هـ) البيان في عدّ آي القرآن، المحقق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994 م.

(11) أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008 م.

(12) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ) كشف المشكل من حديث الصحيحين، المحقق: علي حسين البواب دار الوطن - الرياض.

(13) الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي، أعلام

مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارات من خلال التطبيق على سور القرآن، تأكيداً على أن لكل سورة مقاصدها التي لو أعملناها بحق لكان ذلك تأسيساً لحضارة راقية لا تفتى.

قائمة المراجع:

(1) إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، تحقيق: أ د: مصطفى ديب البغا، دار المصطفى، دمشق، ط1، لسنة 2010م.

(2) إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط2، د ت.

(3) ابن سعدي، الحق الواضح المبين دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م، الرياض.

(4) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: 1393هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ.

(5) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(6) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب عام النشر: 1387 هـ.

والإعلان الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
 (20) الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي أبو جعفر (المتوفى: 708 هـ) البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية — المغرب عام النشر: 1410 هـ - 1990 م.

(21) الفيروز أبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، لسنة: 1426 هـ - 2005 م.

(22) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: 1332 هـ) محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

(23) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671 هـ) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م.

(24) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: 465 هـ) لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.

(25) قلنجي، محمد رواس، وآخرون، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

(26) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (المتوفى: 450 هـ)

السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (الكتاب نشر - أيضا - بعنوان: 200 سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية) (المتوفى: 1377 هـ) تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1422 هـ.

(14) الخادمي، نور الدين مختار، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، الأولى 1421 هـ - 2001 م.

(15) الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (المتوفى: 606 هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.

(16) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط. دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

(17) الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، (المتوفى: 538 هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

(18) السيد محمد علوي المالكي، جلاء الإفهام في شرح عقيدة العوام، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط2، سنة 2004.

(19) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر (المتوفى: 310 هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع

النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن
عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
27) المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، تفسيره
(المتوفى: 1371هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى
البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، 1365
هـ - 1946 م.

الاكتئاب في ضوء السنة النبوية (دراسة تحليلية)

د. ريم عبدالله صالح العواد

أستاذ مساعد، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.

raawad@uqu.edu.sa

المخلص

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على ظاهرة الاكتئاب من وجهة نظر السنة النبوية، في ضوء التحديات النفسية المتزايدة التي يعاني منها الأفراد والمجتمعات في العصر الحالي، وتمثلت مشكلة البحث بالكشف عن تأثير السنة النبوية على تحقيق التوازن النفسي والاستقرار الاجتماعي والحد من ظاهرة الاكتئاب، استندت الباحثة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي، من خلال استنباط الأحاديث النبوية المتعلقة بالاكتئاب وتحليلها في ضوء المعطيات النفسية الحديثة، والمنهج التحليلي الوصفي في عرض الظاهرة وتحليلها وفق الدراسات السابقة، ومنهج المقارنة لبيان أوجه التشابه والتفاوت بين التوجيهات النبوية والعلاجات النفسية الحديثة، واستشفاء دلالاتها النفسية والسلوكية والاجتماعية والروحية، وربطها بالدراسات النفسية الحديثة التي تناولت العلاقة بين التدين والصحة النفسية، ويكشف البحث أن السنة النبوية تناولت الاكتئاب من خلال مفاهيم متعددة مثل: الحزن، الهم، الغم، الكرب، وإرشادات عملية لمواجهة عبر تعزيز الإيمان بالقضاء والقدر، واللجوء إلى الصلاة والذكر والدعاء، والرضا، والصبر، والصحة الصالحة، والعمل، والنشاط البدني. كما تم تحليل الأبعاد الوقائية والعلاجية في السنة النبوية، من خلال نماذج نبوية حقيقية عالجت مشاعر الحزن والاضطرابات النفسية ضمن سياق علاجي شامل يجمع بين الروحي والنفسي والاجتماعي والسلوكي، وتوصلت الباحثة إلى نتيجة أن المنهج النبوي يمثل نموذجاً متكاملًا لتعزيز الصحة النفسية، من خلال مقارنة تجمع بين الإيمان العميق بالله، والتوازن العاطفي، والسلوك الإيجابي، والمساندة الاجتماعية، مما يعزز الطمأنينة ويقلل من حدة مشاعر الاكتئاب. ويوصي الباحث بتفعيل هذا المنهج في البرامج النفسية والاجتماعية الحديثة، لا سيما في المجتمعات الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الاكتئاب، السنة النبوية، الصحة النفسية، الذكر، الدعاء، التوازن النفسي، العلاج النبوي، الدعم الروحي، الوقاية النفسية، الإيمان بالقضاء والقدر.

ABSTRACT

This study aims to shed light on the phenomenon of depression from the perspective of Prophetic tradition, in response to the growing psychological challenges faced by individuals and societies today. The researcher analyses prophetic texts that address aspects of depression, exploring their psychological, behavioural, social, and spiritual implications, and draws connections to contemporary psychological studies on the relationship between religiosity and mental health. The findings reveal that the Prophetic tradition addresses depression through various concepts such as sorrow, anxiety, distress, and anguish. It offers practical guidance for coping, including strengthening faith in divine decree, engaging in prayer, remembrance (dhikr), supplication (du'a), cultivating contentment and patience, seeking righteous companionship, maintaining productivity, and engaging in physical activity. The study further examines the preventative and therapeutic dimensions found within the Prophetic model, highlighting authentic examples in which emotional distress and psychological disturbances were addressed holistically—blending spiritual, emotional, behavioural, and social elements. The research concludes that the Prophetic approach offers a comprehensive model for promoting mental well-being by integrating deep faith in God, emotional balance, positive behaviour, and social support. This, in turn, fosters inner peace and alleviates symptoms of depression. The study recommends incorporating this Prophetic framework into modern psychological and social programs, particularly within Muslim communities.

Keywords: Depression, Prophetic tradition, Mental health, Remembrance (Dhikr), Supplication (Du'a), Emotional balance, Prophetic healing, Spiritual support, Psychological prevention, Faith in divine decree.

المقدمة

يعتبر الاكتئاب من أكثر الاضطرابات النفسية انتشارًا وتأثيرًا على الصحة العقلية للأفراد، حيث تبين تقارير منظمة الصحة العالمية أن أكثر من 280 مليون شخص حول العالم يعانون من هذا الاضطراب، مما يجعله أحد التحديات الصحية الرئيسية في العصر الحديث (World Health Organization [WHO] 2022). ويُعرف الاكتئاب بأنه اضطراب نفسي يؤثر سلبًا على التفكير والمزاج والسلوك، وقد يؤدي في بعض الحالات إلى العزلة الاجتماعية و ضعف الأداء الوظيفي أو حتى الأفكار الانتحارية (American Psychiatric Association, 2022). وعلى الرغم من توفر العديد من الأساليب العلاجية الحديثة، إلا أن التركيز على الجانب الروحي والديني لا يزال محدودًا، على الرغم من أهميته في التخفيف من آثار الاكتئاب وتقوية الصحة النفسية (الخاطر، 2011).

لقد جاء الإسلام بمنهج متكامل يعالج جميع جوانب حياة الإنسان، بما في ذلك الجانب النفسي، حيث أولت السنة النبوية بمعالجة مشاعر الحزن والاكتئاب بوسائل متعددة، تشمل الجوانب الروحية والاجتماعية، والسلوكية، والغذائية. وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الممارسات الدينية، مثل الصلاة والذكر والتأمل والدعاء، لها دور كبير في تحسين الصحة النفسية، وهو ما أكدته السنة النبوية منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا (Koenig, 2012). قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)،

مما يشير إلى أهمية الذكر والعبادات في تحقيق الطمأنينة النفسية. كما وجّه النبي ﷺ إلى أهمية التفاؤل والصبر عند مواجهة المصائب، فقال: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له" (مسلم، 2999).

مشكلة البحث

على الرغم من زيادة الاهتمام الدولي باضطرابات الصحة النفسية، يظل الاكتئاب أحد أكثر المشاكل شيوعًا وخطورة. تشير إحصاءات منظمة الصحة العالمية إلى أن العدد يزيد عن 280 مليون شخص يمتلكون هذا الاضطراب حول العالم. ورغم وجود العديد من طرق العلاج الحديث، إلا أنها غالبًا ما تغفل الجوانب الروحية والدينية، وهي جزء أساسي في معالجة المسلم. لذلك، تظهر الحاجة لدراسة منهجية النبوة في معالجة الاكتئاب باعتباره مصدرًا شاملاً للعلاج النفسي والروحي، خاصة مع قلة الأبحاث العلمية التي استعرضت الاكتئاب من منظور السنة النبوية مقارنة بالدراسات النفسية الحديثة بشكل شامل، حيث تشير منظمة الصحة العالمية إلى أن الاكتئاب هو أحد أكثر الاضطرابات النفسية انتشارًا. أظهرت دراسة Koenig أن الممارسات الدينية المنتظمة تساهم في تقليل معدلات الاكتئاب، وأوضح Al-Karam أن السنة النبوية تحتوي على نماذج علاجية نفسية وروحية فاعلة. كما تناولت دراسة Koenig العلاقة بين التدين والصحة النفسية، حيث وُجد أن الأفراد الذين يمارسون العبادات

ظاهرة الاكتئاب، وكيف يمكن الاستفادة من التوجيهات النبوية في الوقاية والعلاج النفسي لهذه الظاهرة في ضوء المعطيات النفسية الحديثة؟
أسباب اختيار موضوع البحث.

جاء اختيار هذا الموضوع بناءً على عدة أسباب رئيسية، منها:

1. الانتشار الواسع للاكتئاب عالمياً: تشير الإحصائيات الحديثة إلى أن الاكتئاب يعد من الأسباب الرئيسية للإعاقة على مستوى العالم، مما يجعله قضية ملحة تستدعي البحث والدراسة من منظور متكامل يجمع بين العلاج النفسي التقليدي والتوجيهات النبوية (WHO, 2022).

2. غياب المنظور النبوي المتكامل في الدراسات النفسية الحديثة: على الرغم من وجود العديد من الدراسات حول الاكتئاب من منظور علم النفس والطب النفسي، إلا أن الدراسات التي تتناول هذا الموضوع من منظور السنة النبوية لا تزال محدودة، مما يبرز الحاجة إلى تسليط الضوء على الرؤية النبوية لهذا الاضطراب النفسي وطرق معالجته (مرسي، 2000).

3. التوجيهات النبوية كبديل أو مكمل للعلاج النفسي التقليدي: تُعد السنة النبوية مصدراً غنياً بالتوجيهات التي تساعد على تعزيز التوازن النفسي وتقليل مشاعر الحزن والاكتئاب، حيث قال النبي ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال" (البخاري، 2893)، مما يدل على أهمية الاستعانة بالدعاء والعبادات في مواجهة المشاعر السلبية.

4. دمج الطب النبوي في الحلول العلاجية الحديثة:

بشكل منتظم لديهم مستويات أقل من الاكتئاب والقلق، مع رضا أكبر عن الحياة. تدعم نتائجه فكرة دمج الدين في استراتيجيات العلاج النفسي. وأكدت دراسة Al-Karam على أهمية التوجيهات الدينية، وخاصة النبوية، في معالجة الاضطرابات النفسية، ودعت إلى نموذج علاجي تكاملي يجمع بين العلاج النفسي الحديث والتوجيه النبوي، موضحة أثر الإيمان في تعزيز الصحة النفسية. وأشار ابن القيم في مؤلفه إلى عدة نماذج علاجية مستمدة من السنة مثل التلبينة والعسل والحبة السوداء، مبيّناً فوائدها النفسية والجسدية، وتأكيد الدراسات الحديثة على صحة بعض هذه الطرق. كما ذكرت منظمة الصحة العالمية أن الاكتئاب يعد أحد الأسباب الرئيسية للإعاقة النفسية على مستوى العالم، وتتزايد معدلاته في المجتمعات الحديثة رغم تنوع الوسائل العلاجية، مما يوضح الحاجة إلى أساليب شاملة تأخذ في الاعتبار البعد الروحي والديني. حللت دراسة نشرت في مجلة Journal of Religion and Health تأثير الذكر والدعاء على تخفيف أعراض الاكتئاب، حيث بينت أن هذه الممارسات تلقى تأثيراً إيجابياً على التوازن النفسي والضغط النفسي، خصوصاً لدى المسلمين الملتزمين دينياً. (Koenig, 2012؛ Ibn Qayyim al-Jawziyya, 1999؛ World Health Organization, 2022؛ Al-Karam, 2018k؛ and Health, 2016) وعليه يمكن للباحثة إختصار مشكلة البحث بالسؤال الرئيس التالي: ما الذي تقدمه السنة النبوية لمعالجة

النبوية المتعلقة بهذا الموضوع وربطها بالمعطيات العلمية الحديثة. ويمكن تلخيص الأهداف الرئيسية لهذا البحث فيما يلي:

1. تحديد مفهوم الاكتئاب من منظور السنة النبوية، وذلك من خلال استقراء الأحاديث النبوية التي تناولت مشاعر الحزن والضيق النفسي، وربطها بالمفاهيم النفسية الحديثة.

2. تحليل الأسباب النفسية والاجتماعية والروحية للاكتئاب كما وردت في السنة النبوية، وبيان العوامل المؤدية إليه، مثل فقدان الأمل، والتعرض للضغوط النفسية والاجتماعية، والتقصير في العبادات، كما أشار النبي ﷺ إلى أهمية الاستعاذة بالله من الهم والحزن، حيث قال: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال" (البخاري، 1423هـ، حديث رقم 2893).

3. دراسة الوسائل العلاجية التي قدمتها السنة النبوية للتعامل مع الاكتئاب، والتي تشمل العلاج الروحي، مثل الذكر والدعاء والتضرع إلى الله، والعلاج السلوكي، مثل تعزيز الصبر والتفاؤل، والعلاج الاجتماعي من خلال التفاعل الإيجابي مع المجتمع، حيث قال النبي ﷺ: "المؤمن الذي يحافظ الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم" (ابن ماجه، 1403هـ، حديث رقم 4032).

4. تحليل أثر العبادات الإسلامية، مثل الصلاة والذكر والتأمل، في تحسين الصحة النفسية والتقليل من أعراض الاكتئاب، حيث قال الله تعالى:

أشارت بعض الدراسات إلى أن بعض الأطعمة والأعشاب التي وردت في السنة النبوية، مثل التلبينة والعسل والحبة السوداء، لها تأثير إيجابي على الحالة المزاجية والنفسية، مما يستدعي دراستها في ضوء الأدلة العلمية الحديثة والاستفادة منها في العلاج النفس (ابن القيم، 1999).

أسئلة البحث

ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما مفهوم الاكتئاب في ضوء السنة النبوية، وكيف يتقاطع هذا المفهوم مع التعريفات النفسية الحديثة؟

2. ما الأسباب النفسية والاجتماعية والروحية للاكتئاب كما وردت في النصوص النبوية؟

3. ما الوسائل العلاجية التي قدمتها السنة النبوية لمواجهة الاكتئاب، وكيف تتنوع بين البعد الروحي والسلوكي والاجتماعي؟

4. ما أثر العبادات الإسلامية - كالصلاة والذكر والتأمل - في تحسين الصحة النفسية والتقليل من أعراض الاكتئاب من منظور السنة؟

5. ما دور التوجيهات الغذائية في الطب النبوي - كالتلبينة - في علاج الحزن والاكتئاب، وكيف تفسرها الدراسات العلمية الحديثة؟

6. ما ملامح النموذج العلاجي المتكامل المستمد من السنة النبوية الذي يمكن اعتماده في الإرشاد النفسي لمواجهة الاكتئاب؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الاكتئاب من منظور السنة النبوية، من خلال تحليل النصوص

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: 45).

5. بيان دور الطب النبوي في علاج الاكتئاب من خلال التوجيهات الغذائية النبوية، مثل تناول التلبينة التي أوصى بها النبي ﷺ لعلاج الحزن، حيث قال: "التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن" (البخاري، 1423هـ، حديث رقم 5417)، وتحليل الدراسات العلمية الحديثة التي تناولت تأثير هذه الأغذية على الصحة النفسية.

6. تقديم نموذج علاجي متكامل مستمد من السنة النبوية يمكن أن يُستفاد منه في الإرشاد النفسي ومعالجة الاكتئاب في المجتمعات الإسلامية.

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من الحاجة إلى تقديم نظرة شاملة حول مفهوم الاكتئاب ومعالجته في ضوء السنة النبوية، وذلك من خلال تحليل النصوص النبوية المتعلقة بالصحة النفسية وربطها بالمعطيات العلمية الحديثة. وتبرز أهمية البحث في المحاور التالية:

1. الأهمية العلمية: يساهم البحث في إثراء الدراسات النفسية الإسلامية من خلال إبراز الرؤية النبوية لمفهوم الاكتئاب، وعرض الأساليب العلاجية التي وردت في السنة النبوية، مما يساعد في تقديم منهج متكامل يجمع بين العلاج النفسي الحديث والهدي النبوي (Al-Karam, 2018).

2. الأهمية التطبيقية: يمكن الاستفادة من نتائج البحث في تطوير برامج علاجية قائمة على التوجيهات النبوية، خاصة في المجتمعات الإسلامية، حيث يكون للعلاج الديني تأثير قوي على الصحة

النفسية للأفراد.

3. الأهمية الاجتماعية: تؤكد السنة النبوية على أهمية الروابط الاجتماعية في تخفيف مشاعر الحزن والاكتئاب، حيث قال النبي ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (البخاري، 6011). وهذا يؤكد الدور المحوري للترابط الاجتماعي في تعزيز الصحة النفسية.

4. الأهمية الصحية والعلاجية: يوضح البحث دور الطب النبوي في علاج الاكتئاب، حيث تشير النصوص النبوية إلى استعمال بعض الأطعمة الطبيعية كوسائل علاجية، مثل التلبينة التي أوصى بها النبي ﷺ لعلاج الحزن، حيث قال: "التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن" (البخاري، 5417). وقد أثبتت الدراسات الحديثة فعاليتها في تحسين المزاج والتخفيف من أعراض الاكتئاب (ابن القيم، 1999).

مصطلحات البحث.

يمكن للباحثة الإقتصار على تعريفات إجرائية للمصطلحات الرئيسية للبحث وذلك كما يأتي:

- الاكتئاب: هو حالة نفسية تتصف بمشاعر مستمرة من الحزن وفقدان الاهتمام، وضعف النشاط، مما قد يُسبب مشكلات في النوم والشهية والتركيز. توضح السنة النبوية هذه الحالة بعبارات مثل "الهم" و"الغم" و"الكرب".

- السنة النبوية: تشمل كل ما ورد عن النبي محمد من أقوال أو أفعال أو تصرفات، وتعد مصدراً شرعياً وتربوياً يوجه نحو مواجهة الضغوط النفسية.

الْعُسْرُ ٦ (الشرح: 5-6)، وتحليل هذه النصوص في ضوء الدراسات النفسية الحديثة.

4. التحليل المقارن بين السنة النبوية والعلاج النفسي الحديث: لبيان نقاط التلاقي والتخالف بين المنظور النبوي لعلاج الاكتئاب والمقاربات النفسية الحديثة.

الإطار النظري والدراسات السابقة.

شهدت السنوات الأخيرة اهتمامًا متزايدًا بالربط بين الدين والصحة النفسية، حيث تناولت العديد من الدراسات أثر الممارسات الدينية على التخفيف من الاكتئاب وتحسين جودة الحياة. ومن أبرز الدراسات ذات الصلة:

1. دراسة كوينج (Koenig, 2012)، والتي تناولت العلاقة بين الدين والصحة النفسية، وأشارت إلى أن الأشخاص الذين يمارسون الشعائر الدينية بانتظام لديهم معدلات اكتئاب أقل، ومستويات أعلى من الرضا عن الحياة.

2. دراسة الكرم (2018)، والتي ناقشت التكامل بين العلاج النفسي التقليدي والعلاج الديني، وأوضحت كيف يمكن للقرآن والسنة أن يكونا مصدرًا مهمًا في بناء برامج العلاج النفسي المتكاملة.

3. دراسة ابن القيم (1999) في كتابه "الطب النبوي"، والتي تطرقت إلى أهمية بعض الأطعمة والأعشاب في تحسين الصحة النفسية، مثل العسل والحبة السوداء والتلبينة، والتي أثبتت الدراسات الحديثة فعاليتها في تحسين الحالة المزاجية والتخفيف من أعراض الاكتئاب.

• الصحة النفسية: تعبر عن حالة التوازن الداخلي التي تساعد الفرد على التفاعل بشكل إيجابي مع نفسه والمجتمع، وقد عالجتها السنة النبوية عبر توجيهات سلوكية وروحية متنوعة.

• العلاج النبوي: يعتمد على التوجيهات النبوية في معالجة مشكلات النفس والروح، ويشمل الأدعية والأذكار والعلاج النبوي والدعم الاجتماعي.

منهج البحث وأدواته

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والاستنباطي، حيث يتم استنباط الأحاديث النبوية المتعلقة بالاكتئاب وتحليلها في ضوء المعطيات النفسية الحديثة. كما يعتمد على المنهج التحليلي الوصفي في عرض الظاهرة وتحليلها وفق الدراسات السابقة، ومنهج المقارنة لبيان أوجه التشابه والتفاوت بين التوجيهات النبوية والعلاجات النفسية الحديثة.

أدوات البحث:

1. الكتب والمراجع الإسلامية: سيتم الاعتماد على مصادر موثوقة مثل كتب الصحاح (صحيح البخاري، صحيح مسلم)، وشرح الحديث التي تناولت موضوع الحزن والضيق النفسي.

2. الدراسات النفسية الحديثة: سيتم الرجوع إلى الأبحاث العلمية في علم النفس والطب النفسي التي تناولت تأثير الممارسات الدينية على الصحة النفسية.

3. تحليل النصوص القرآنية والحديثية: سيتم استخراج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتناول موضوع الطمأنينة النفسية وعلاج الضيق والاكتئاب، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ

4. دراسة نشرتها منظمة الصحة العالمية (2022)، والتي أكدت أن الاستراتيجيات غير الدوائية، مثل الدعم الاجتماعي والتأمل والتفكير الإيجابي، تساهم في تحسين الصحة النفسية، وهي مبادئ أكدتها السنة النبوية منذ قرون.

5. دراسة عن أثر الذكر والصلاة على الصحة النفسية، والتي نشرتها مجلة Journal of Religion and Health، وأكدت أن ممارسة العبادات الدينية تؤدي إلى تحسن ملحوظ في مؤشرات الصحة النفسية، مثل تقليل التوتر والاكتئاب.

الفصل الأول: الاكتئاب في ضوء السنة النبوية - مفهومه وأسبابه وآثاره

مفهوم الاكتئاب بين الاصطلاح النفسي والتوجيهات النبوية

يُعرّف الاكتئاب في علم النفس بأنه اضطراب نفسي يتميز بمشاعر الحزن العميق، وفقدان الاهتمام أو المتعة في الأنشطة اليومية، واضطرابات النوم والشهية، والشعور باليأس أو الذنب، وقد يصاحبه خلل في الوظائف الإدراكية والجسدية (American Psychiatric Association, 2020). أما في التوجيهات النبوية، فإن الاكتئاب يرتبط بمصطلحات مثل الحزن، الغم، الهم، الضيق، والكرب، وقد تناولت السنة النبوية هذه المشاعر ووضعت أسسًا لمعالجتها والوقاية منها. (بوعود، 2014).

قال النبي ﷺ في دعائه: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال" (البخاري، 1423هـ، حديث رقم 2893)، مما يدل على وعي الإسلام العميق

بالمعاناة النفسية وحرصه على تحصين الإنسان من مسببات الاكتئاب. كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 139)، مما يشير إلى أن الإسلام يحث على مقاومة مشاعر الحزن والتغلب عليها بالإيمان والعمل الصالح.

الأسباب المؤدية إلى الاكتئاب في ضوء السنة النبوية

تناولت السنة النبوية الأسباب المتنوعة التي قد تؤدي إلى الشعور بالاكتئاب، والتي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع رئيسية: الأسباب النفسية، والاجتماعية، والروحية. ومن خلال استقراء النصوص النبوية، نجد أن النبي ﷺ لم يكتفِ بتشخيص الأسباب، بل قدم حلولاً عملية ووقائية لمعالجتها.

الأسباب النفسية كما عالجها النبي ﷺ

تُعد الأسباب النفسية من العوامل الأساسية المؤدية إلى الاكتئاب، ومن أبرزها:

1. التفكير السلبي والمبالغة في القلق: حيث يؤثر التفكير الزائد في المستقبل والمخاوف من المجهول على الحالة النفسية للفرد، ولذلك حث النبي ﷺ على العيش في اللحظة الراهنة، فقال: "أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" (مسلم، 2007، حديث رقم 2664).

2. الإرهاق النفسي وعدم التوازن بين العمل والراحة: أكد النبي ﷺ على أهمية التوازن في الحياة،

توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خصاصًا وتروح
بطانًا" (الترمذي، 1392هـ، حديث رقم 2344).

الأسباب الروحية وسبل الوقاية منها وفق السنة
ترتبط الصحة النفسية بالجانب الروحي ارتباطاً وثيقاً،
وقد حث النبي ﷺ على تعزيز الإيمان كوسيلة
لمواجهة الكدر النفسي، ومن أهم الأسباب الروحية
للاكتئاب:

1. ضعف الصلة بالله وكثرة الذنوب: قال الله
تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً
ضَنْكًا﴾ (طه: 124)، مما يدل على أن الابتعاد عن
الذكر يؤثر سلباً على الصحة النفسية.

2. قلة الذكر والدعاء: فقد كان النبي ﷺ يوجه
أصحابه إلى الاستعانة بالدعاء لتخفيف الهموم، ومن
أدعيته: "اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك،
ناصرتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك،
أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو
أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو
استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن
الكريم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني،
وذهاب همي" (أحمد، 1418هـ، حديث رقم
3712).

3. ضعف اليقين والتوكل على الله: فقد أرشد
النبي ﷺ إلى أن حسن الظن بالله يعزز الراحة
النفسية، حيث قال: "أنا عند ظن عبدي بي، فليظن
بي ما شاء" (البخاري، 1423هـ، حديث رقم
7405).

حيث قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه عندما
بالغ في العبادة: "إن لنفسك عليك حقًا، وإن لعينك
عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا" (البخاري،
1423هـ، حديث رقم 1874).

3. الشعور بالوحدة والانعزال: فقد شجعت
السنة النبوية على تكوين العلاقات الإيجابية مع
الآخرين، إذ قال النبي ﷺ: "المؤمن الذي يخالط
الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط
الناس ولا يصبر على أذاهم" (ابن ماجه، 1403هـ،
حديث رقم 4032).

الأسباب الاجتماعية في ضوء التوجيهات النبوية
تلعب البيئة الاجتماعية دورًا هامًا في نشوء
الاكتئاب، وقد أشار النبي ﷺ إلى بعض العوامل
الاجتماعية المؤثرة:

1. الظلم والاضطهاد: الشعور بعدم العدالة قد
يؤدي إلى الإحباط، وقد قال النبي ﷺ في التحذير
من الظلم: "اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم
القيامة" (مسلم، 2007، حديث رقم 2578).

2. الخلافات العائلية والتفكك الأسري:
أكدت السنة النبوية على أهمية صلة الرحم والتراحم
الأسري، فقال النبي ﷺ: "لا يدخل الجنة قاطع
رحم" (البخاري، 1423هـ، حديث رقم 5984)،
مما يدل على دور العلاقات الاجتماعية الصحية في
دعم الصحة النفسية.

3. الفقر والضغط الاقتصادي: وهو من
العوامل المؤثرة في الحالة النفسية للفرد، وقد أرشد
النبي ﷺ إلى التوكل على الله وعدم القلق المفرط
بشأن الرزق، فقال: "لو أنكم تتوكلون على الله حق

الإنسان نحو الصبر والتفاؤل. ومن خلال دراسة السنة النبوية، نجد أنها قدّمت حلولاً عملية لتعزيز الصحة النفسية، مما يجعلها مصدرًا غنيًا في هذا المجال.

1. التوازن النفسي في ضوء السنة النبوية.

يشير التوازن النفسي إلى قدرة الإنسان على التعامل مع تقلبات الحياة بصورة معتدلة، بحيث لا تغلب عليه مشاعر الحزن، ولا يغمس في القلق والتوتر. وقد أرسّت السنة النبوية مجموعة من المبادئ لتحقيق هذا التوازن، ومن أبرزها:

أ. الإيمان بالقضاء والقدر ودوره في الطمأنينة النفسية يُعدّ الإيمان بالقضاء والقدر أحد الركائز الأساسية التي تساعد الإنسان على تحقيق السكينة والطمأنينة، حيث يدرك أن كل ما يصيبه هو بتقدير الله عز وجل. وقد قال النبي ﷺ:

"احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجُفَّتِ الصُّحُفُ" (الترمذي، 2516).

ب. الذكر والدعاء كعلاج روحي للاضطرابات النفسية.

الذكر والدعاء من أهم الوسائل التي تحقق الطمأنينة القلبية وتساعد في التخلص من التوتر والقلق. يقول الله تعالى: ﴿لَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28).

آثار الاكتئاب على الفرد والمجتمع من منظور السنة النبوية

للاكتئاب آثار كبيرة على الفرد والمجتمع، وقد تناولت السنة النبوية هذه الآثار ووجهت إلى طرق معالجتها، ومن أبرزها:

1. على مستوى الفرد.

- ضعف الإنتاجية والتباطؤ عن العمل، حيث قال النبي ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل" (مسلم، 2007، حديث رقم 2706).
- فقدان الأمل واليأس، وقد نهي النبي ﷺ عن ذلك، فقال: "لا تمارضوا فتمرضوا، ولا تحفروا قبوركم فتموتوا" (ابن ماجه، 1403هـ، حديث رقم 3438).

2. على مستوى المجتمع:

- تفكك الروابط الاجتماعية وزيادة معدلات الطلاق والتفكك الأسري.
- تراجع النشاط الاقتصادي نتيجة انخفاض الإنتاجية.
- زيادة معدلات الجريمة بسبب الشعور باليأس والإحباط (الهو، 2016).

الفصل الثاني: السنة النبوية والصحة النفسية – رؤية متكاملة

تمثل الصحة النفسية عنصرًا جوهريًا في حياة المرء، حيث ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحالته الروحية والعاطفية والسلوكية. وقد أولت السنة النبوية اهتمامًا بالغًا بتحقيق التوازن النفسي للإنسان، من خلال توجيهات نبوية شاملة تضمن الاستقرار النفسي، وتساعد في التعامل مع الأحزان والشدائد، وتوجيه

ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة" (البخاري، 5776).

3. التواصل الاجتماعي والتفاعل الإيجابي: فقد قال النبي ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً" (البخاري، 2446).

3. نماذج نبوية في التعامل مع الأحزان والشدائد:

تظهر السيرة النبوية العديد من المواقف التي عانى فيها النبي ﷺ من الأحزان والشدائد، لكنه واجهها بثبات وحكمة، مما يجعلها نماذج يُقتدى بها في التعامل مع الأزمات النفسية.

أ. النبي ﷺ عند وفاة أحب الناس إليه: عندما توفي ابنه إبراهيم، بكى النبي ﷺ وقال: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون" (البخاري، 1303).

ب. النبي ﷺ في مواجهة الأذى والابتلاءات: تعرض النبي ﷺ للأذى في رحلة الطائف، لكنه لم ييأس، بل لجأ إلى الله بالدعاء، قائلاً: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس..." (ابن هشام، السيرة النبوية).

4. التوجيهات النبوية للصبر عند المصائب

قدّم النبي ﷺ مجموعة من التوجيهات العملية لأصحابه لمساعدتهم على التعامل مع المصائب والشدائد النفسية.

أ. الصبر والاحتساب عند البلاء: قال النبي ﷺ: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة

كما أوصى النبي ﷺ بالدعاء عند الشعور بالحزن والهم، فقال: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين وقهر الرجال" (البخاري، 6369).

ج. التوسط والاعتدال في العواطف والمشاعر. أكدت السنة النبوية على أهمية التوازن العاطفي، وعدم الإفراط في الحزن أو الفرح. فقد قال النبي ﷺ: "يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا" (البخاري، 43).

2. موقف السنة النبوية من الحزن والاكتئاب

تقر السنة النبوية بأن الحزن والاكتئاب مشاعر طبيعية يمر بها الإنسان، لكنها تقدم حلولاً عملية للتعامل معها بطريقة إيجابية تحول دون تحولها إلى اضطرابات نفسية دائمة.

أ. الحزن كحالة إنسانية في ضوء السنة النبوية: لقد مرّ النبي ﷺ بمواقف حزينة عديدة، أبرزها وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها وعمه أبي طالب، حتى سُميت تلك الفترة بـ "عام الحزن". ومع ذلك، لم يكن الحزن عند النبي ﷺ حالة مستديمة، بل كان يعبر عنه بتوازن دون أن يغرق في اليأس.

ب. العلاج النبوي لمشاعر الحزن والاكتئاب: قدّمت السنة النبوية حلولاً عملية للخروج من دائرة الحزن والاكتئاب، منها:

1. الاستعانة بالصلاة والتضرع إلى الله: قال النبي ﷺ: "كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر، فرع إلى الصلاة" (أبو داود، 1319).

2. التفاؤل وعدم الاستسلام للمشاعر السلبية: قال النبي ﷺ: "لا عدوى ولا طيرة،

النبوية وتوجيهاتها في علاج الاكتئاب، وذلك من خلال النقاط التالية:

1. العلاج الإيماني والروحاني في السنة النبوية.
يُعدّ الإيمان من أهم العوامل التي تعزز الصحة النفسية، حيث يمنح الإنسان شعوراً بالطمأنينة والثقة في حكمة الله تعالى. وقد ركّزت السنة النبوية على غرس العقيدة الصحيحة في النفوس، مما يساهم في تقليل القلق والتوتر وذلك من خلال:

أ. الإيمان بالقضاء والقدر كمصدر للطمأنينة النفسية: إن الإيمان بأن كل ما يصيب الإنسان مقدّر عند الله يمنحه راحة نفسية ويبعد عنه مشاعر القلق والكآبة. قال النبي ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له" (مسلم، 2999). وهذا الحديث النبوي يؤكد أن المؤمن لا يصاب بالجزع أو اليأس، بل يرى في كل ما يصيبه خيراً ورحمة.

ب. الرضا والتوكل على الله كوسيلة لمواجهة الحزن: حث النبي ﷺ على التوكل على الله والرضا بما قسمه، فقال: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً" (الترمذي، 2344). فالتوكل على الله يخفف من القلق النفسي، ويعزز الشعور بالأمان والطمأنينة.

2. أثر الصلاة والذكر في تهدئة النفس.

تمثل الصلاة والذكر أدوات قوية في علاج الاضطرابات النفسية، حيث تمنح الإنسان راحة روحية وتبعد عنه الهموم، ويمكن توضيح ذلك من خلال النقاط التالية:

يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها" (البخاري، 5641).

ب. الدعاء والاستعانة بالله: أوصى النبي ﷺ أصحابه بالدعاء عند المصائب، وقال: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنى في مصيبي وأخلف لي خيراً منها" (مسلم، 918).

ج. تجنب الجزع والتسخط: نهى النبي ﷺ عن السلوكيات التي تعكس الجزع، فقال: "ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية" (البخاري، 1294).

الخاتمة

تؤكد السنة النبوية على أن الصحة النفسية تقوم على التوازن العاطفي والروحي، والتعامل الإيجابي مع المصائب. كما قدم النبي ﷺ نماذج عملية لكيفية مواجهة الأحزان والشدائد، مما يعكس رؤية نبوية متكاملة تعزز الاستقرار النفسي للمؤمن.

الفصل الثالث: التوجيهات النبوية في علاج الاكتئاب - نظرة شمولية

اهتمت السنة النبوية بصحة الإنسان النفسية، ووضعت منهجاً متكاملًا لعلاج الكآبة والضييق النفسي، يقوم على أسس إيمانية وروحية تعزز الاطمئنان والسكينة، وقد تعددت وسائل العلاج النبوي بين الإيمان بالقضاء والقدر، والاعتماد على الذكر والدعاء، وأداء الصلاة، وتلاوة القرآن الكريم. ومن خلال هذه التوجيهات النبوية، يجد المسلم وسائل ناجعة للتغلب على مشاعر الحزن والاضطراب، مما يؤكد تكامل المنهج النبوي في معالجة القضايا النفسية، ويمكن بيان منهج السنة

السلام عندما فقد ابنه يوسف، فقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^{١٨} وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ (يوسف: 18). فهذه القصص تعطي المؤمن طمأنينة بأن الفرج قريب، وأن الله لا يضيع عباده.

4. الدعاء والتضرع إلى الله كوسيلة علاجية.

الدعاء من أقوى الوسائل التي تعالج القلق والكآبة، فقد أوصى النبي ﷺ أصحابه بالدعاء عند وقوع المصائب، ويتحدد ذلك من خلال:

أ. الأدعية النبوية في مواجهة الحزن والهم، جاء في الحديث أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين وقهر الرجال" (البخاري، 6369). فهذا الدعاء يشمل الاستعاذة من الهموم التي تؤدي إلى الكآبة.

ب. الاستغفار والتوبة كوسيلة روحية للراحة النفسية: فالاستغفار من أعظم أسباب انشراح الصدر، فقد قال النبي ﷺ: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب" (أبو داود، 1518)، فالسنة النبوية تؤكد على أن علاج الكآبة لا يقتصر على الجانب النفسي فقط، بل يشمل الإيمان، والعبادة، والذكر، والدعاء، مما يعكس نظرة شمولية للصحة النفسية. ويُعدّ هذا المنهج النبوي نموذجاً متكاملًا للعلاج النفسي، حيث يجمع بين العوامل الروحية والسلوكية في تحقيق الطمأنينة والسكينة.

5. العلاج النفسي والاجتماعي في السنة

النبوية.

اهتمت السنة النبوية بالصحة النفسية من خلال

أ. الصلاة كوسيلة روحية لعلاج الكآبة: أكدت السنة النبوية على دور الصلاة في تهدئة النفس، فقد كان النبي ﷺ إذا حزبه أمرٌ فرع إلى الصلاة، كما قال في حديثه: "يا بلال، أرحنا بالصلاة" (أبو داود، 4985). فالصلاة تمنح الإنسان طاقة إيجابية، وتساعد في التخلص من المشاعر السلبية.

ب. الذكر كوسيلة لتحقيق الطمأنينة: قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^{٢٨} (الرعد: 28). وقد أوصى النبي ﷺ بالإكثار من الذكر، وقال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت" (البخاري، 6407). فالذكر يبعث في النفس الطمأنينة، ويعمل على تهدئة القلق والتوتر.

3. دور القرآن الكريم في علاج الحزن والكآبة.

القرآن الكريم مصدر رئيسي للراحة النفسية، وقد وردت فيه العديد من الآيات التي تعالج الحزن والضيق، ويمكن إبراز ذلك من خلال الآتي:

أ. القرآن الكريم كدواء روحي للكآبة: يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^{٢٩} (الإسراء: 82). فالقرآن الكريم يبعث الأمل في النفس، ويمنح الإنسان قوة لمواجهة الصعاب.

ب. لقصاص القرآني ودوره في التخفيف من المعاناة النفسية: من أساليب القرآن الكريم في علاج الحزن، ذكر قصص الأنبياء الذين تعرضوا للشدائد، فصبروا واحتسبوا. ومن ذلك قصة النبي يعقوب عليه

النفسية والتغلب على مشاعر الكآبة، ويتمثل ذلك من خلال أن:

أ. الصبر مفتاح الفرج: قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 155). وقد أكد النبي ﷺ على أن الصبر عند الصدمة الأولى هو الأهم، فقال: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى" (البخاري، 1283). وهذا يوضح أهمية تقبل الأقدار بصبر واحتساب، مما يساعد في تخفيف المعاناة النفسية.

ب. الرضا بالقضاء والقدر وعلاقته بالصحة النفسية: حثت السنة النبوية على الرضا بقدر الله، لما له من أثر في تحقيق الطمأنينة، فقال النبي ﷺ: "أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل" (مسلم، 2664). فالرضا بالقضاء يزيل مشاعر الندم والحزن، ويمنح الإنسان قوة لمواصلة الحياة بثقة وإيجابية.

8. أهمية الصحة الصالحة ودورها في تجاوز الأزمات النفسية.

للصحة الصالحة أثر كبير في دعم الصحة النفسية، وقد أكدت السنة النبوية على أهمية اختيار الرفقة الطيبة، لما لها من تأثير في تخفيف الضغوط النفسية وتشجيع الفرد على تجاوز الأزمات.

أ. تأثير الصحة الصالحة على النفس: قال النبي ﷺ: "مثل المجلس الصالح والمجلس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير..." (البخاري، 2101). وهذا يبين أن الصديق الصالح يُعين على الخير، ويؤثر إيجابيًا على نفسية الإنسان، مما يخفف

توجيهات عملية تساعد الفرد في التغلب على الضغوط والمشكلات النفسية. ومن أبرز هذه التوجيهات الحث على التفاؤل، الصبر، الرضا بالقضاء والقدر، وأهمية الصحة الصالحة في تجاوز الأزمات النفسية.

6. الحث على التفاؤل والأمل في الأحاديث النبوية.

يُعدّ التفاؤل والأمل من أهم العوامل النفسية التي تساعد الإنسان على مواجهة الأزمات والابتلاءات، وقد ركزت السنة النبوية على ترسيخ هذه القيم في نفوس المسلمين يمكن بيان ذلك من خلال الآتي:

أ. التفاؤل كمنهج نبوي في التعامل مع الأزمات: كان النبي ﷺ محبًا للتفاؤل، ويحث الأمل في نفوس أصحابه، فقال: "يُعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة" (البخاري، 5315). وهذا يدل على أهمية تبني النظرة الإيجابية للحياة، وتأثيرها على الصحة النفسية.

ب. الأمل في رحمة الله والتخفيف من مشاعر اليأس: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ (يوسف: 87). وهذه الآية تدعو المؤمن إلى التمسك بالأمل حتى في أصعب الظروف، وهو ما أكدته السنة النبوية ﷺ في أحاديثه التي تحث على حسن الظن بالله، كما قال: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي" (مسلم، 2675).

7. الصبر والرضا بالقضاء والقدر في السنة النبوية.

الصبر والرضا من القيم الأساسية في الإسلام، وهما من أقوى العوامل التي تساعد على تجاوز المحن

من مشاعر الحزن والكآبة.

ب. الدعم الاجتماعي في السنة النبوية: حث النبي ﷺ على التراحم والتآزر بين المسلمين، فقال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" (البخاري، 2446). وهذا يشير إلى أهمية العلاقات الاجتماعية الإيجابية في تعزيز الصحة النفسية وتقديم الدعم العاطفي وقت الشدائد. فالمنهج النبوي يؤكد أن علاج الكآبة والضيق النفسي لا يعتمد على العلاج الروحي فقط، بل يشمل أيضاً العوامل النفسية والاجتماعية التي تساعد الإنسان في التغلب على مشاكله. ومن خلال التوجيهات النبوية التي تدعو إلى التفاؤل، الصبر، الرضا بالقضاء والقدر، والتمسك بالصحة الصالحة، يمكن تحقيق التوازن النفسي والتغلب على الاكتئاب.

9. العلاج السلوكي والبدني في السنة النبوية. إلى جانب العلاج الروحي والنفسي، اهتمت السنة النبوية بالعلاج السلوكي والبدني كوسائل فعالة في تحسين الصحة النفسية والتغلب على مشاعر الكآبة، وقد تضمنت التوجيهات النبوية إرشادات واضحة حول أهمية النشاط البدني، والتوازن في الغذاء والنوم، والانخراط الاجتماعي كوسائل لتعزيز العافية النفسية والجسدية.

10. النشاط البدني والعمل وأثره على الصحة النفسية.

يُعَدُّ النشاط البدني والعمل من الوسائل الفعالة في تقليل التوتر النفسي والاضطراب، وهو ما أكدته السنة النبوية من خلال الحث على ممارسة الأنشطة المختلفة التي تسهم في تحسين المزاج وتعزيز الصحة

العامّة، وذلك من خلال:

أ. الحث على العمل والنشاط البدني، كان النبي ﷺ قدوة في النشاط والعمل، وحث أصحابه على الاجتهاد والسعي، فقال: "لَأَنْ يَخْتَطِبَ الرَّجُلُ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ فَيَحْمِلَهَا عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ" (البخاري، 2074). وهذا يوضح أهمية الانشغال بالعمل والنشاط كوسيلة لصرف الذهن عن الأحزان والمشاعر السلبية.

ب. المشي والرياضة في حياة النبي ﷺ، أوصى النبي ﷺ بالمشي كعادة صحية، وكان يطبق ذلك في حياته، فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "كان النبي ﷺ يزور قباء راكباً ومشياً" (البخاري، 1193). كما كان النبي ﷺ يشجع على الفروسية والرمية، وهي من الرياضات التي تعزز الصحة الجسدية والنفسية.

11. التوازن في الغذاء والنوم وفق التوجيهات النبوية.

حيث يعتبر التوازن في الغذاء والنوم من أهم العوامل التي تؤثر على الصحة النفسية، وقد جاءت السنة النبوية بتوجيهات واضحة حول الاعتدال في الأكل والنوم لتحقيق الراحة الجسدية والنفسية، ويمكن توضيح ذلك من خلال:

أ. التوازن في الغذاء وأثره على النفس: فقد حث النبي ﷺ على الاعتدال في الأكل وعدم الإفراط، فقال: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أُكْلَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبُهُ، فإن كان لا محالة فثُلُثٌ لَطْعَامِهِ، وَثُلُثٌ لَشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ" (الترمذي، 2380). وهذه القاعدة الذهبية في

التغذية تساهم في الحفاظ على صحة الجسم والعقل، مما يساعد في الوقاية من الاضطرابات النفسية.

ب. النوم الكافي وعلاقته بالصحة النفسية: فقد أكدت السنة النبوية على أهمية تنظيم النوم والابتعاد عن السهر غير الضروري، فقد قال النبي ﷺ: "اللهم بارك لأمتي في بكورها" (أبو داود، 2606)، مما يشير إلى فوائد الاستيقاظ المبكر على النشاط والطاقة الإيجابية، وكان النبي ﷺ ينام مبكراً ويستيقظ لصلاة الليل، مما يعزز التوازن النفسي، وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: اللهم باسمك أحيا وأموت" (البخاري، 7394). وهذا يبين أهمية الأذكار في تهدئة النفس قبل النوم، مما يساهم في تحسين جودة النوم والتقليل من التوتر والاضطراب.

12. تجنب العزلة والانخراط في المجتمع وفق السنة.

حيث تعد العزلة من الأمور التي قد تزيد من الاكتئاب والغم العزلة والانطواء، وقد أتت السنة النبوية بالتأكيد على أهمية التواصل الاجتماعي والانخراط في المجتمع لدعم الصحة النفسية ويمكن بيان ذلك من خلال:

أ. الحث على الاجتماع والتآلف بين الناس: فقد حث النبي ﷺ على الاجتماع مع الناس وعدم الانعزال، فقال: "المؤمن الذي يُخالطُ الناسَ ويصيرُ على أذاهم، خيرٌ من المؤمن الذي لا يُخالطُ الناسَ، ولا يصيرُ على أذاهم" (ابن ماجه، 4032). وهذا الحديث يؤكد أهمية التواصل الاجتماعي في تقوية النفس وتحمل الضغوط.

ب. فضل المجالس الصالحة وأثرها على النفس: ولقد حثت السنة النبوية على الجلوس مع الصالحين وأهل الخير لما لذلك من أثر في دعم الصحة النفسية، فقد قال النبي ﷺ: "لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي" (أبو داود، 4832). وهذا يدل على أن الصحبة الصالحة تحمي الإنسان من مشاعر الحزن والاكتئاب، وتشجعه على التفاؤل والعمل الإيجابي.

وعليه فإن لدى السنة النبوية رؤية متكاملة لعلاج الاكتئاب من خلال الجمع بين العلاج الإيماني، النفسي، الاجتماعي، والسلوكي. وتشمل هذه التوجيهات الحث على العمل والنشاط البدني، تحقيق التوازن في الغذاء والنوم، والاندماج الاجتماعي، وهي كلها وسائل مثبتة علمياً في تحسين الصحة النفسية والحد من الاكتئاب.

13. العلاج النبوي للاكتئاب من خلال الطب النبوي

اهتمت السنة النبوية بالطب الوقائي والعلاجي، وقدمت توجيهات شاملة تعزز الصحة النفسية والجسدية. فقد أوصى النبي ﷺ باستخدام بعض الأطعمة والأدوية الطبيعية التي ثبت علمياً أن لها دوراً في تحسين المزاج وعلاج الاكتئاب، مثل العسل، الحبة السوداء، والتلبينة، وبيان ذلك كآتي:

أ. مفهوم الطب النبوي وعلاقته بالصحة النفسية: الطب النبوي هو مجموعة التوجيهات التي أوصى بها النبي ﷺ للعلاج والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية. وقد أورد ابن القيم رحمه الله في كتابه الطب النبوي أن: "العلاج النبوي قائم على

ج. التلبينة وفوائدها في تخفيف الاكتئاب من منظور السنة النبوية: فالتلبينة هي حساء من دقيق الشعير يوصى به في السنة النبوية لعلاج الحزن والاكتئاب، فقد قال النبي ﷺ: "التَّلْبِينَةُ مُجَمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تُذْهِبُ بَعْضَ الْحُزَنِ" (البخاري، 5689). وجاء في حديث آخر: "عليكم بالبغيض النافع: التلبينة، فوالذي نفسي بيده، إنها لتغسل بطن أحدكم كما تغسل إحداكن وجهها من الوسخ بالماء" (ابن ماجه، 3442). ولقد أثبتت الأبحاث أن للتلبينة تأثير صحي ونفسي للإنسان حيث تحتوي على مركبات تحفز إنتاج السيروتونين، وهو الناقل العصبي المسؤول عن تحسين المزاج وتقليل الاكتئاب. كما أن الشعير الموجود في التلبينة يحتوي على الألياف التي تساعد في تنظيم مستويات السكر في الدم، مما ينعكس إيجاباً على استقرار الحالة النفسية وتقليل مشاعر القلق والتوتر.

وإجمالاً يمكن القول أن السنة النبوية تظهر اهتماماً بالغاً بالصحة النفسية من خلال التوجيهات الإيمانية والسلوكية والغذائية. وقد قدم الطب النبوي وسائل علاجية فعالة لتحسين المزاج وعلاج الاكتئاب، مثل العسل، الحبة السوداء، والتلبينة، والتي أثبتت الدراسات الحديثة فعاليتها في تعزيز الصحة النفسية والجسدية، وبشكل عام فإن السنة النبوية قدمت حلولاً متكاملة لعلاج الاكتئاب والوقاية منه، من خلال العبادات، والتوازن النفسي، والتوجيهات الاجتماعية والغذائية. ومن خلال تطبيق هذه التوجيهات، يمكن تحسين الصحة النفسية للأفراد والمجتمعات، مما يستدعي المزيد من البحث والتطبيق

الجمع بين الأسباب الروحية والمادية، مما يساهم في تحقيق التوازن الصحي والنفسي" (ابن القيم، 1998، ص 45).

وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: "ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً" (البخاري، 5678)، مما يدل على أن السنة النبوية قدمت إرشادات علاجية تنفع البدن والعقل معاً.

ب. أثر العسل والحبة السوداء في تحسين المزاج: حيث يعتبر العسل والحبة السوداء من الأطعمة التي أوصى بها النبي ﷺ لعلاج العديد من الأمراض، وقد أثبتت الدراسات الحديثة دورها في تحسين الصحة النفسية وتقليل أعراض القلق والاكتئاب، والعسل من الأغذية التي جاءت التوصية بها في القرآن الكريم والسنة، قال الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (النحل: 69). وفي الحديث الشريف قال النبي ﷺ: "الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهي أمتي عن الكي" (البخاري، 5681). وقد أكدت الأبحاث العلمية أن العسل يحتوي على مضادات الأكسدة التي تحسن وظائف الدماغ وتساعد في تقليل القلق والتوتر، وأن الحبة السوداء لها تأثيرها في تهدئة النفس، فالحبة السوداء أو حبة البركة من الأغذية التي أوصى بها النبي ﷺ، حيث قال: "إن في الحبة السوداء شفاءً من كل داءٍ إلا السام" (البخاري، 5688). وقد أشارت الدراسات الحديثة إلى أن الحبة السوداء تساهم في تحسين المزاج وتقليل التوتر، لاحتوائها على مواد مضادة للالتهاب تساعد في تحسين أداء الجهاز العصبي.

العملي لهذه الإرشادات في العلاج النفسي الحديث.
خلاصة لأهم نتائج البحث توصياته ومقترحاته
أولاً: أهم نتائج البحث.

بعد استعراض النصوص النبوية ذات الصلة بالصحة النفسية، وتحليل الأحاديث النبوية التي تناولت الحزن والاكتئاب، ومناقشة التوجيهات النبوية في العلاج، توصلَ البحث إلى عدد من النتائج المهمة، أبرزها:

1. شمولية السنة النبوية في معالجة الجوانب النفسية للإنسان: فقد أوضحت الدراسة أن السنة النبوية قدّمت منهجاً متكاملًا للعلاج النفسي، حيث اهتمت بالجانب الروحي، والسلوكي، والاجتماعي، والغذائي، وأثبتت فعاليتها في التخفيف من حالات الاكتئاب وتعزيز الطمأنينة.

2. التوجيهات النبوية في تعزيز التوازن النفسي: ولقد أكدت السنة النبوية على أهمية التوازن النفسي من خلال الإيمان بالقضاء والقدر، والتحلي بالصبر، والتفاؤل، والرضا، مما يساهم في تقليل المشاعر السلبية والوقاية من الاكتئاب.

3. دور العبادات في التخفيف من الاكتئاب، حيث أظهر البحث أن الصلاة، والذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن الكريم، من أهم الوسائل العلاجية في السنة النبوية لمواجهة الحزن والاكتئاب، حيث تساعد على تهدئة النفس وتعزيز الاتصال بالله.

4. أهمية الصحة الصالحة في الدعم النفسي: حيث أوضحت السنة النبوية أن الصحة الصالحة تساهم في تخفيف الضغوط النفسية، حيث وجّه النبي ﷺ أصحابه إلى أهمية التأزر الاجتماعي والتعاون في مواجهة الأزمات النفسية.

5. الاهتمام بالصحة البدنية والتغذية كعوامل مؤثرة على الحالة النفسية: لقد كشف البحث عن الدور الكبير الذي تلعبه التوجيهات النبوية في تعزيز الصحة النفسية من خلال التوازن في الغذاء، والنوم، والنشاط البدني، حيث أوصى النبي ﷺ بأطعمة معينة مثل العسل، والحبة السوداء، والتلبينة، التي أثبتت الأبحاث الحديثة فعاليتها في تحسين المزاج.

ثانيًا: التوصيات العلاجية المستمدة من السنة النبوية

بناءً على النتائج السابقة، يوصي البحث بعدد من الإرشادات العلاجية التي يمكن الاستفادة منها في العلاج النفسي والوقاية من الاكتئاب، مستمدة من الهدى النبوي وذلك كما يأتي:

1. تعزيز الإيمان والتوكل على الله: قال النبي ﷺ: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله" (الترمذي، 2516). فالتوكل على الله والثقة برحمته يساعدان في تقليل القلق والخوف، مما يساهم في تحسين الصحة النفسية.

2. الالتزام بالصلاة والذكر وقراءة القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَظْمِينُ الْقُلُوبِ﴾ (الرعد: 28). وقد أكد النبي ﷺ على أن الصلاة والذكر وسائل فعالة لتهدئة النفس وتخفيف الهموم.

3. استخدام الطب النبوي كوسيلة علاجية: فالعسل والتلبينة والحبة السوداء لها دور في تحسين الحالة النفسية، كما ورد في الحديث: "التلبينة مُجَمَّةٌ لِقُودِ الْمَرِيضِ، تُذْهِبُ بَعْضَ الْحُزَنِ" (البخاري،

(5689).

- الصحة النفسية لمرضى الاكتئاب.
6. دور القيم الإسلامية في تعزيز المناعة النفسية والوقاية من الاضطرابات النفسية.
7. أثر العمل التطوعي والمساعدة الاجتماعية على تحسين الصحة النفسية وفق التوجيهات النبوية.
- المراجع:

1. أحمد بن حنبل. (1418هـ). المسند (تحقيق أحمد محمد شاكر). بيروت: مؤسسة الرسالة.
2. البخاري، محمد بن إسماعيل. (2001). صحيح البخاري (تحقيق مصطفى ديب البغا). بيروت: دار ابن كثير.
3. بوعود أسماء (2014) العلاج النفسي للاضطرابات النفسية من منظور إسلامي "الاكتئاب نموذجًا"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 19.
4. الترمذي، محمد بن عيسى. (1998) سنن الترمذي (تحقيق بشار عواد معروف). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
5. أبو داود، سليمان بن الأشعث. (2008). سنن أبي داود (تحقيق شعيب الأرناؤوط). بيروت: مؤسسة الرسالة.
6. الخاطر عبدالله (2011)، الحزن والاكتئاب، المنتدى الإسلامي للترجمة والطباعة والنشر، جامعة الملك سعود، والرياض، المملكة العربية السعودية.
7. سعدات، محمود فتوح محمد. (2015 م). الإرشاد النفسي الديني في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ط 1. القاهرة.

4. تنمية التفاؤل والإيجابية في الحياة: فقد قال النبي ﷺ: "يُعْجِبُنِي الْقَالُ الصَّالِحُ" (مسلم، 2223).
5. التشجيع على النظرة الإيجابية للحياة، والبعد عن التشاؤم واليأس، وذلك يساهم في تقليل الاكتئاب وتحقيق الاستقرار النفسي.
6. تعزيز العلاقات الاجتماعية والاندماج في المجتمع: قال النبي ﷺ: "المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشُدُّ بعضُهُ بعضًا" (البخاري، 2446).
7. الانخراط في المجتمع، وتكوين علاقات إيجابية، يعزز الدعم النفسي ويقلل من مشاعر العزلة والاكتئاب.
8. ممارسة النشاط البدني والعمل: فقد أظهرت التوجيهات النبوية أن العمل والرياضة يساهمان في تحسين المزاج، حيث قال النبي ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" (مسلم، 2664).

ثالثًا: مقترحات البحث

- لإثراء الدراسات في هذا المجال، تقترح الباحثة مجموعة من الموضوعات التي يمكن دراستها مستقبلاً أهمها ما يأتي:
3. دراسة مقارنة بين التوجيهات النبوية والعلاجات النفسية الحديثة في التعامل مع الاكتئاب.
 4. تطبيق برنامج علاجي قائم على السنة النبوية وقياس فعاليته في التخفيف من أعراض الاكتئاب.
 5. تحليل أثر الرقية الشرعية والدعاء في تحسين

- Conshohocken, PA: Templeton Press.
18. American Psychological Association. (2020). *Diagnostic and statistical manual of mental disorders* (5th ed.). Washington, DC: American Psychological Association.
19. American Psychological Association. (2020). *Publication manual of the American Psychological Association* (7th ed.). Washington, DC: American Psychological Association.
20. Al-Karam, A. (2018). *Islamic psychology: Human behavior and experience from an Islamic perspective*. Routledge.
21. Ibn Qayyim al-Jawziyya. (1999). *Medicine of the Prophet (الطب النبوي)*. Beirut: Dar al-Ma'rifa.
22. Journal of Religion and Health. (2016). Effects of spiritual practices on depression and mental health. *Journal of Religion and Health*, 55(4), 1436–1452. <https://doi.org/10.1007/s10943-016-0200-1>
23. Koenig, H. G. (2012). Religion, spirituality, and health: The research and clinical implications. *ISRN Psychiatry*, 2012, Article ID 278730. <https://doi.org/10.5402/2012/278730>
24. World Health Organization. (2022). *Depression*. <https://www.who.int/news-room/fact-sheets/detail/depression>
25. American Psychiatric Association. (2022). *Diagnostic and statistical manual of mental disorders* (5th ed., text rev.; DSM-5-TR). Washington, DC: American Psychiatric Publishing.
26. Koenig, H. G. (2012). Religion, spirituality, and health: The research and clinical implications. *ISRN Psychiatry*, 2012, Article 278730. <https://doi.org/10.5402/2012/278730>
27. World Health Organization. (2022). *Depression fact sheet*. Retrieved from <https://www.who.int>
8. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (1999). الطب النبوي (تحقيق محمد عبد القادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية.
9. الكرم، شوقي. (2018). التكامل بين العلاج النفسي والتوجيهات الدينية. القاهرة: دار الفكر العربي.
10. ابن ماجه، محمد بن يزيد. (2009). سنن ابن ماجه (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي). بيروت: دار الفكر.
11. مرسى، كمال ابراهيم. (2000 م). الارشاد والعلاج النفسي من منظور إسلامي. ط 1. الكويت: دار القلم.
12. مسلم، مسلم بن الحجاج. (2006). صحيح مسلم (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
13. منظمة الصحة العالمية. (2022). النشرة الخاصة بالاكتئاب. متاح على: <https://www.who.int>
14. ابن هشام، عبد الملك. (1990). السيرة النبوية (تحقيق طه عبد الرؤوف سعد). بيروت: دار الفكر.
15. الهور علاء صبح حموده (2016)، فاعلية برنامج إرشادي نفسي إسلامي لخفض أعراض الاكتئاب النفسي، رسالة ماجستير غير منشودة،
16. وعود، عبد الله. (2014). الاكتئاب بين الطب النفسي والهدي النبوي. مجلة العلوم النفسية، 9(2)، 33-51.
17. Al-Karam, C. (2018). *Islamically integrated psychotherapy: Uniting faith and professional practice*. West

الاستدلال بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في المعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية : دراسة وصفية

بوبكر داكيساغا

طالب في مرحلة الدكتوراة ، جامعة قطر ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

dakissboubacar@gmail.com

الملخص

شهد هذا العصر الحديث تقدما ملحوظا في استثمار الأموال في جميع المجالات، في الصناعة والشراسة والمعاملات المصرفية وغيرها، وهذا المشهد يستدعي العلماء إلى الاجتهاد في بيان الأحكام وإيجاد الحلول. وكتاب المعايير الشرعية تصدى للمهمة، واستدل بجملة من القواعد الفقهية، وجاء هذا البحث مساهمة في خدمة هذا الكتاب، مع إيضاح وتقويم الاستدلال بقاعدة الحاجة في اختياراته. وذلك باتباع منهج استقراء مواطن الاستدلال بقاعدة الحاجة، وللوقوف على أقوال العلماء وأدلتهم، والمنهج التحليلي؛ لدراسة الأدلة وبيان مناسبتها للمدلول، وكذلك المنهج المقارن للوصول إلى الترجيح. واستقرأ الباحث كتاب المعايير الشرعية، ودرس المسائل التي تم الاختيار فيها مستندا إلى الحاجة، مع بيان قوة المدرك والاستناد وضعفهما، في المعاملات المالية. وتوصل الباحث إلى عدم جواز الإسهام في الشركات التي أصل نشاطها حلال، ولكنها تتعامل بالربا إيداعا واقتراضا، وأنه لا يجوز بيع وشراء أسهمها. وأنه يغفر في المعاملات المالية المجتمعة الغرر؛ لعدم إمكان مقابلة النقود بالنقود، والحقوق والديون والآلات بمثلهن. وكذلك يجوز عند الحاجة للبنك المتحول أداء العمليات السابقة غير الشرعية، بعد اتباع جميع الوسائل في الامتناع. ويوصي الباحث بوجه عام مواصلة دراسة كتاب المعايير وخدمته علميا؛ لاعتماد كثير من المؤسسات المالية الإسلامية عليه، برجوع كثير من هيئات الرقابة إليه، والاستفادة منه.

الكلمات المفتاحية: الاستدلال، قاعد الحاجة تنزل منزلة الضرورة، المعايير الشرعية.



Abstract

The modern era has witnessed significant growth in investment across various sectors, including industry, partnerships, banking transactions, and more. This development necessitates scholarly “ijtihad” to clarify rulings and propose appropriate solutions. The book called “Shari'ah Standards” addresses this task by invoking a set of jurisprudential principles. This study contributes to the analysis of the book “Shari'ah Standards” by clarifying and evaluating the reasoning based on the “rule of need” as applied in its various selections. The study adopts an inductive approach to identify instances of reasoning based on the “rule of need”, examines scholarly views and supporting evidence, and applies analytical methods to assess the relevance of this evidence to the intended legal meaning. A comparative approach is also employed to determine the strongest or most preferred legal opinion. The researcher examined the book “Shari'ah Standards” and analyzed the issues justified by the “rule of need”, assessing the strength and weaknesses of the evidence used in financial transactions. The researcher concluded that it is impermissible to invest in companies whose core business is lawful but that engage in interest-based transactions (riba) through deposits and loans, and that trading their shares is likewise prohibited. He further concluded that a degree of gharar (uncertainty) is tolerated in financial transactions where it is impractical to exchange money for money, or rights, debts, and equipment for equivalents. Similarly, in cases of necessity, an Islamically converted bank may carry out previously impermissible transactions, provided all means to avoid them have been exhausted.

Keywords: Reasoning, the rule that need takes the ruling of necessity, Shari'ah Standards.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. وبعد.

إن أحكام الشريعة الإسلامية الخالدة ميسرة، ومبيّنة بياناً شافياً، لا يلتبس الحلال بالحرام، ومن رحمة الله تعالى على عباده أنه قدّر جميع حالات الناس في التشريع، وفرّق بين حال الاختيار وحال الاضطرار، وشرع ما يوافق كلي الحالين من الأحكام، وفي أوامره ونواهيه، وتحليله وتحريمه، وذلك مراعاة لمصالح العباد، واعتبرت الأحكام الإسلامية الحاجة الشرعية مرخصةً، ونزلها منزلة الضرورة، بحيث إذا كان المكلف في حاجة، وإن لم يراعها لحقه مشقة شديدة وخرج فادح خارج عن المؤلف، فإنه يشرع له أحكاماً خاصة تخالف الأحكام الأصلية مراعاةً لحاجته رخصةً ومخرجاً، فمراعاة الحاجة مقصدٌ من مقاصد الشريعة.

ولهذا عني العلماء بدراسة مباحث الحاجة قديماً وحديثاً، فقواعد الحاجة معروفةٌ، في كتب الفقه وأصوله، وكتب القواعد الفقهية وغيرها، وذلك للآثار الكثيرة المترتبة عليها. وليس كل من ادّعى الحاجة يسلم له ادّعاؤه، فللحاجة حد محدد، وضوابط معينة، وحالات محصورة، فإذا لم تتوفر ضوابط الحاجة بالمعنى الذي أبانه الفقهاء، ضاعت حكمة مراعاتها في الأحكام الشرعية، وقد تتخذ حيلة وتحايلاً لارتكاب المحظور. ويكثر الاحتجاج بالحاجة وما يماثلها كالضرورة والمشقة ورفع الحرج في المعاملات المالية، وخاصة المعاصرة منها، وقد بحثت المعايير الشرعية كثيراً منها؛

فرأيت أفراد قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة الواردة في المعايير الشرعية بالدراسة؛ لصلة القاعدة قديماً وحديثاً بالمعاملات المالية.

إشكالية البحث وأسئلته.

استند كتاب المعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة إلى قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في بعض اختياراته في المعاملات المالية المعاصرة، للتوافق مع الشريعة الإسلامية، وهذه الاختيارات قابلة للنظر والتعديل والتقييم، وإمكان الرجوع عنها أو عن بعضها بمقتضى الترجيح فقهاً ومقصداً. ولهذا يجب البحث عن الأسئلة الآتية:

1- كيف وظّف كتاب المعايير الشرعية قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في تخرج المسائل المالية التي اختارها وقررها؟

2- ما تقييم هذا التوظيف في تقريره للمسائل المالية المعاصرة؟ وما مدى أهمية مراعاة مقاصد الشريعة العامة في توظيف القواعد الفقهية وإعمالها والاستدلال بها.

3- ما النتائج العامة التي يمكن الوصول إليها، وما السبيل إلى تعديل وتقويم ما يمكن تعديله وتقويمه؟

أهداف البحث.

تتمثل أهداف البحث في الآتي:

1- جمع المسائل التي تناوّلها كتاب المعايير الشرعية مستنداً إلى الحاجة التي في معنى الضرورة، واختار أحكاماً مناسبة لها، كالرخصة والتخفيف.

2- دراسة هذه الأحكام المتعلقة بالرخصة والتخفيف، تحليلها، وتقويمها، ونقداً.

منهج البحث.

اتبعت المنهج الاستقرائي؛ للوقوف على الأحكام التي قررها واختارها كتاب المعايير الشرعية مستندا إلى الحاجة، وللوصول كذلك إلى أقوال علماء المذاهب. والمنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك في معرفة صحة الأدلة وقوتها ودرجتها، ومناقشة ما قد يورد عليها من الأسئلة والنقد ونحوه. والمنهج المقارن بين هذه الآراء بعد معرفة مستند ودليل كل رأي؛ للوصول إلى الترجيح.

الدراسات السابقة والإضافة العلمية.

فضل الباحث تقسيم الدراسات السابقة إلى قسمين: قسم يتعلق بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة، وآخر بكتاب المعايير الشرعية. وذلك على النحو الآتي:

ما يتعلق بالحاجة والضرورة:

1- ابن بية، عبد الله بن الشيخ محفوظ، الفرق بين الضرورة والحاجة مع بعض التطبيقات المعاصرة، دراسات اقتصادية إسلامية، 2000م، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، بحث محكم، المجلد 8، العدد 1، في سبعين صفحة تقريبا. والشيخ لم يرتب بحثه على المباحث، وإنما وضع عناوين رئيسة للبحث. وسع الشيخ في التعريفات، وبين أوجه الشبه بين الضرورة والحاجة، وأوجه الاختلاف، وأجاد في بحث تطبيقات الضرورة والحاجة في المعاملات المالية المعاصرة، ولا شك أن هذا له تعلق بموضوع بحثي؛ حيث إنه تناول أثر الضرورة والحاجة في المعاملات المالية المعاصرة. ووجه التشابه بين بحث الشيخ ابن بية وهذا البحث

3- التنويه خلال الدراسة إلى المقترح أو المخرج أو التعديل إن وجد؛ لاعتماد معظم المؤسسات المالية على كتاب المعايير الشرعية.

أهمية البحث.

تكمن أهمية البحث في الآتي:

1- تعلقت المعايير الشرعية بكلٍّ من كليات الشريعة، وهو حفظ المال، والمكانة التي يحظى بها تدعو إلى العناية به، ولعل في دراسة قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة واستناد المعايير الشرعية إليها في اختياراتها تكون من أهم أوجه العناية؛ لما يترتب عليه من أثر فقهي يتمثل في مدى تحقق الحاجة الشرعية بشروطها، وضوابطها، وحدودها عند الفقهاء في كتاب المعايير الشرعية.

2- كثير من مسائل المعاملات المالية يتسع مجال النظر فيها؛ لتغير مناط الحكم تبعاً لمتغيرات تحتف بالواقعة، مما يستدعي إعادة النظر في المستند، خاصة الاستناد إلى الحاجة؛ لأنها تتغير من وقت إلى آخر، ومن مكان إلى آخر.

3- الحاجة تدعو إلى تناول هذه المعايير الشرعية بالدراسة تدريسا وتحليلا ونقدا واستدراكا؛ لاعتماد أغلب المؤسسات المالية عليها.

حدود البحث.

هذا البحث موسوم بحدوده، فإنه في الاستدلال بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في المعايير الشرعية، وسوف لا تخرج دراسة مباحثه عن المذكور إلا بقدر الحاجة.

2018م، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، العلوم الإنسانية والإدارية، محكمة. وهذا البحث في ثلاثين صفحة تقريبا. بحث في معنى القاعدة، وذلك بشرح مفردات القاعدة لغة واصطلاحا، ثم معنى العام للقاعدة، وذكر اختلاف العلماء في العمل بالقاعدة، وحرر محل النزاع، ثم بحث بعد تحرير محل النزاع أدلة حجية القاعدة، ثم ضوابط العمل بالقاعدة. وبعد ذلك بحث في التطبيقات الفقهية للقاعدة.

ووجه التشابه بين بحث حسين وهذا البحث هو أنه تناول دراسة قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة تأصيلا، وتطبيقا بالأمثلة الفقهية من جميع الأقسام الفقهية المعروفة، العبادات، والمعاملات، والمناكحات (فقه الأسرة)، والقضاء والسياسة الشرعية. وهذا البحث تناول أيضا دراسة القاعدة في المعاملات المالية، وفي كتاب معين، كتاب المعايير الشرعية، وبهذا يظهر وجه التشابه والاختلاف بين الباحثين.

ووجه الإضافة العلمية من هذه الأبحاث العلمية ظاهرة، فالبحث الأول في تأثير الضرورة والحاجة في الاقتصادي الإسلامي، والثاني تناول دراسة قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة وتطبيقاتها في فقه الأقلية المسلمة، ومن فقه الأقلية المسلمة المسائل المالية المعاصرة، كالتعامل مع البنوك الربوية في شراء البيت ونحوه. وبحثي يتناول القاعدة ودراسة أحكام المسائل التي استند كتاب المعايير الشرعية على القاعدة في الأخذ بالرخصة، لرفع الحرج والمشقة. وهذا بخلاف الباحثين.

ظاهر، وهو أنه تناول أثر الضرورة والحاجة في الاقتصاد الإسلامي، ومنه المعاملات المالية المعاصرة، وهذا البحث أيضا في الحاجة وأثرها في الترخيص في كتاب المعايير الشرعية، وبهذا يظهر وجه الاختلاف أيضا فالشيخ لم يقيد بحثه بكتاب معين، وهذا البحث التزم بدراسة قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة، ولم يتعرض للفرق بينهما عند الإعمال والاستدلال بها.

2- السعيد، هشام بن محمد بن سليمان، قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة وتطبيقاتها في فقه الأقلية المسلمة، 2016م، مجلة الجمعية الفقهية السعودية، محكمة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، وهذا البحث في تسعين صفحة تقريبا. قسم بحثه إلى التمهيد، ومبحثين. في التمهيد ذكر المراد بالقاعدة، والمراد بالأقلية المسلمة. وفي المبحث الأول: بحث في مفردات ألفاظ القاعدة، ومعناها وأدلتها، وفي المبحث الثاني ذكر تطبيقات القاعدة في فقه الأقلية المسلمة في العبادات، والمعاملات، والأطعمة، والآداب، واللباس، والزينة، ثم الخاتمة.

ووجه التشابه بين بحث السعيد وهذا البحث أن كلا منهما تناول دراسة قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة، وكذلك تدخل المعاملات المالية في فقه الأقلية المسلمة بوجه عام، حيث لا يتوفر لديهم المصارف الإسلامية، وهذا البحث ليس خاصا بالأقلية المسلمة. وبهذا يظهر وجه الاختلاف بينهما.

3- حسين، وليد بن علي بن عبد الله، قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة: دراسة تأصيلية تطبيقية

ما يتعلق بكتاب المعايير الشرعية:

1- الشريف، زكرياء محمد بنور، أصل اعتبار المآل في المعايير الشرعية للآيوفي: معيار التورق أمودجا، 2023م، كلية معارف الوحي والعلوم الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، وهذا البحث في أربع عشرة صفحة، وقسم بحثه ثلاثة مباحث. الأول في المفاهيم الأساسية لأصل اعتبار مآلات الأفعال، والمبحث الثاني بحث في التورق وقام بتعريفه والفرق بينه وبين العينة، وحكم التورق. وفي المبحث الثالث بحث في مراعاة أصل اعتبار مآلات الأفعال في معيار التورق عند الآيوفي في ضوء ضوابطه، وقواعده. وهذا بحث في قاعدة مقاصدية-اعتبار المآل مقصد شرعي صحيح- في المعايير الشرعية، في معيار واحد (التورق)، وبحثي في قاعدة فقهية في أكثر من معيار.

ووجه التشابه والاختلاف بين بحث الشريف وهذا البحث، هو أن كلا منهما بحث في كتاب المعايير الشرعية بدراسة قاعدة. اعتبار المآل مقصد شرعي صحيح، هذه قاعدة مقاصدية، والحاجة تنزل منزلة الضرورة قاعدة فقهية، وتناول هذا البحث دراسة القاعدة في جميع كتاب المعايير الشرعية، بينما اقتصر بحث الشريف على معيار واحد فقط، وهو معيار التورق.

2- داكيساغا، بوبكر، الاستدلال بالقواعد الفقهية في المعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية: دراسة وصفية

تطبيقية، 2023م، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، دولة قطر، وهذا البحث في مئتين وعشرين صفحة تقريبا، قسم بحثه إلى فصل تمهيدي، بين فيه التعريف بالمصطلحات الأساسية، من الاستدلال، والقواعد الفقهية، وغيرها. وفي الفصل الأول بحث في استدلال كتاب المعايير الشرعية بالقواعد الفقهية على قضايا المعاضات، وفي الفصل الثاني بحث في استدلال كتاب المعايير الشرعية بالقواعد الفقهية في المدائيات ونماذج من تطبيقاتها، ثم الخاتمة، واشتمل هذا البحث على قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في حكم المساهمة في الشركة التي أصل نشاطها مباح، لكنها تودع وتستقرض بالربا.

ووجه التشابه بين هذه الرسالة وهذا البحث ظاهر، فالرسالة اشتملت على دراسة قاعدة الحاجة تنزل الضرورة وغيرها، لكنها لم تتبع كل مواضع الاستدلال بالقاعدة في كتاب المعايير الشرعية. ويتميز هذا البحث عن رسالة الماجستير لداكيساغا أنه بحث يستقرئ كل كتاب المعايير الشرعية، ولا يقتصر فقط على المعاضات و المدائيات كما في رسالة الماجستير لداكيساغا، وهذا وجه الاختلاف والإضافة العلمية.

هيكل البحث.

رأى الباحث تقسيم البحث إلى مبحثين، على النحو الآتي:

المبحث التمهيدي: في معنى القاعدة، وتأصيلها، وضوابطها، وفيه المحاور الآتية:

- صيغ القاعدة ومعناها.

كذلك، وأورد مختلف الصيغ للقاعدة، مع ذكر بعض أدلة مشروعية القاعدة، وضوابطها، وذلك في المحاور الآتية:

المحور الأول: في صيغ القاعدة ومعناها.

قبل البحث في صيغ القاعدة ومعناها يحسن الوقوف على معاني أهم المفردات الواردة في القاعدة. وهي الحاجة والضرورة.

الحاجة في اللغة بمعنى المأربة، ويقال أيضاً: الحاجة، وجمع الحاجة حاج، وجوّج، وحوائج، وحاجات،⁽¹⁾ "والحاء، والواو، والجيم، أصل صحيح، وهو الاضطراب إلى الشيء"⁽²⁾ ومن هذا الأصل الصحيح تتفرع المعاني الدالة على الاضطراب إلى الشيء، كالطلب، والفقر⁽³⁾ وأما الحاجة في اصطلاح العلماء فقد لاحظت أنهم يقرنون تعريفها بالمصالح والمقاصد، أو الوصف المناسب في باب القياس، مع اختلافهم في التعبير عن هذه القاعدة الفقهية كما سيأتي.

والجويني عند حديثه عن العلة في القياس، ذكر الوصف المناسب الحاجي، وأنه "ما يتعلق بالحاجة العامة، ولا ينتهي إلى حد الضرورة"⁽⁴⁾ وجاء الشاطبي وأجلى بوجه عام ماهية الحاجة ومتعلقاتها في الفقه وأصوله، فقال: "وأما الحاجيات فمعناها، أنه مفتقر إليها من

-تأصيل القاعدة وأدلتها.

-شروط وضوابط القاعدة وآراء العلماء فيها.

المبحث التقيمي: في الاستدلال بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في المعايير الشرعية، وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: الاستدلال بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في تخلص البنك المتحول إلى المصرف الإسلامي،

وأدائه الفوائد السابقة.

المطلب الثاني: أثر الحاجة في اغتفار الغرر في المعاملات المالية في كتاب المعايير الشرعية.

المطلب الثالث: تقييم الاستدلال بالحاجة في جواز بعض المعاملات المالية التي تختلط بالحرم، أو تشتمل على المحرم.

والخاتمة وأهم النتائج.

المبحث التمهيدي: في معنى القاعدة، وتأصيلها، وضوابطها، وفيه المحاور الآتية:

في هذا المبحث أتناول مفهوم الحاجة والضرورة من حيث اللغة، واستعمال الفقهاء لهما، بحيث يفهم المقصود منهما عند الإطلاق، والمعنى العام للقاعدة

(3) الأزهري: محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م)، 4/88.

(4) الجويني: عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م)، 2/72.

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (د. م: دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت)، 3/259.

(2) ابن فارس: أحمد بن فارس القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دمشق، دار الفكر، د. ط، 1979م)، 2/114.

هذه الحالة أكثر من مرة في القرآن، قال الله تعالى:
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ
الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ
وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
(البقرة: 173).

وعرفت الحنفية الضرورة بأنها: "بلوغه حدا إن لم يتناول
الممنوع هلك أو قاربه، وهذا يبيح تناول الحرام" (5)
والمالكية أيضا يقتضون في تعريف الضرورة على حال
أكل الحرام حفاظا على النفس من الموت، فالضرورة
عند متأخري المالكية هي: "الخوف على النفس علما
أو ظنا" (6)

والضرورة عند الشافعية: "بلوغ الإنسان حدا إن لم
يتناول الممنوع هلك أو قارب، وهذا يبيح تناول الحرام،
وتعتبر حالة الضرورة من أعلى أنواع الحرج الموجبة
للتخفيف" (7)

وأما الضرورة عند الحنابلة: "أن يخاف التلف، إما من

حيث التوسعة، ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى
الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم ترع
دخل على المكلفين-على الجملة- الحرج والمشقة،
ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح
العامة" (1) ولهذا عرفها المتأخرون بتعبير موجز سهل
ضبطه، وهو أن الحاجة: "ما يحتاجه الأفراد أو تحتاجه
الأمة للتوسعة ورفع الضيق، إما على جهة التأقيت أو
التأبين، فإذا لم ترع دخل على المكلفين على الجملة
الحرج والمشقة، قد تبلغ مبلغ الفساد المتوقع في الضرورة"
(2) وهذا هو المختار؛ لكونه جامع ومانع، وبترتيب
حسن، وسهل للحفظ والضبط.

والضرورة في اللغة من الضرر، والضرر، ويدل في الأصل
على خلاف النفع" (3) ثم يحمل على هذا كل ما
جانسه أو قاربه، من النقصان، والهزال، والأذى، وسوء
الحال، والضيق، والحاجة. (4)

وأما الضرورة في الاصطلاح فقد وجدتها غالبا تقتزن
بأكل الحرام كالميتة ونحوها عند الجوع، ولعل ذلك لورود

محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، تحقيق لليازجي وجماعة
من اللغويين، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، 4/ 482
وما بعدها.

(5) الحموي: أحمد بن محمد مكي، غمز عيون البصائر في شرح
الأشباه والنظائر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1985م)،
277/1.

(6) الدسوقي: محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح
الكبير، (دمشق: دار الفكر، د. ط، د. ت)، 2/ 115.

(7) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر في قواعد
وفروع فقه الشافعية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1،
1983م)، 85.

(1) الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات، تحقيق: مشهور
بن حسن آل سلمان، (د. م: دار ابن عفان، ط1، 1997م)،
21/2.

(2) كافي: أحمد، الحاجة الشرعية حدودها وقواعدها، (بيروت: دار
الكتب العلمية، ط1، 2004م)، 33-34.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 3/ 360.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، 6/7-7. والأزهري، تهذيب
اللغة، 11/ 314-317. والجوهري: إسماعيل بن حماد الفارابي،
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور
عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1987م)، 2/ 719-
720. وابن فارس، مقاييس اللغة، 3/ 360. وابن منظور:

وحيثما وقعت الضرورة واستدعت إباحة المحظور فإنه يلزم مع ذلك اعتبار الحاجة، وهذا الذي عبر عنه أيضا "ما دعت الضرورة إليه من المحظور فإنه ساقط الاعتبار على حسب الحاجة وبقدر الضرورة" (5) وبهذا يظهر أن المعنى العام للقاعدة في أن الحاجة تراعى وتعتبر في أحكامها وآثارها، من جلب منفعة أو دفع مفسدة، كما تراعى وتعتبر الضرورة في ذلك. مع وجوب استكمال الشروط والضوابط.

المحور الثاني: تأصيل قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة.

تضافرت الأدلة الكثيرة على مراعاة حال الضرورة، وأنها تعدّ سببا للرخصة والتيسير في ارتكاب المحظور، أو ترك الواجب، وأن الحاجة أيضا تنزل منزلة الضرورة منها الآيات التي تنص صراحة على عدم المؤاخذه في تناول المحرم من الأطعمة عند الضرورة، وعموم الآيات التي تدل على رفع الحرج والعسر في الدين. ومن هذه الآيات ما يأتي:

1- قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَلَئِمَّ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَن

جوع، أو يخاف إن ترك الأكل عجز عن المشي وانقطع عن الرفقة فيهلك، أو يعجز عن الركوب" (1) ولما اطلع العلماء المعاصرون على تعريفات المتقدين، من مختلف المذاهب، حاول كثير منهم صياغة تعريف يراه جامعا ومانعا، وسأكتفي بالتعريف الذي اخترته طلبا للاختصار.

وهو أن الضرورة هي: "الحالة التي تطرأ على الإنسان بحيث لو لم تراعى لجزم أو خيف أن تضع مصالحه الضرورية" (2) وتعريفه جامع للضروريات الخمسة التي جاء بحفظها كل الشرائع، فتعريفه جامع لكل ما يصح أن يطلق على الضرورة في الشرع بعبارة موجزة، وهو مانع لدخول غير الضرورة.

وعبر العلماء عن القاعدة بصيغ متقاربة، وفي كل صيغة قد يستجلى شرط أو ضابط تساهم في فهم وإدراك معنى القاعدة، وإعمالها إعمالا صحيحا. وقال الغزالي: "الحاجة العامة في حق كافة الخلق تنزل منزلة الضرورة الخاصة في حق الشخص الواحد" (3) ويصرح البعض في تعبيرهم عن القاعدة ببيان جواز تناول الممنوع بسبب الحاجة، قال ابن العربي: "اعتبار الحاجة في تجويز الممنوع كاعتبار الضرورة في تحليل المحرم" (4)

(3) الغزالي: محمد بن محمد الطوسي، شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق: حمد الكبيسي، (بغداد: مطبعة الإرشاد، ط1، 1971م)، ص246.

(4) ابن العربي: محمد بن عبد الله المعافري، القبس في شرح موطن مالك بن أنس، تحقيق: محمد عبد الله ولد كريمة، (د. م: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992م)، ص790.

(5) ابن العربي، القبس، ص145.

(1) البهوتي: منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال، (الرياض: مكتبة النصر الحديثة د. ط، د. ت)، 6/ 195.

(2) الباحسين: يعقوب بن عبد الوهاب، قاعدة المشقة تجلب التيسير دراسة نظرية-تأصيلية تطبيقية-، (السعودية: مكتبة الرشد، د. ط، 2003م)، 482.

تَكُونُ بِهَا الْمَحْمَصَةُ فَمَا يَحِلُّ لَنَا مِنَ الْمَيْتَةِ؟ قَالَ: "إِذَا لَمْ تَصْطَبِحُوا، وَلَمْ تَغْتَبِقُوا، وَلَمْ تَحْتَفِقُوا بَقْلًا، فَشَأْنُكُمْ بِهَا"، قَالَ: النَّاسُ يَقُولُونَ: بِالْحَاءِ، وَهَذَا قَالَ: بِالْحَاءِ" (2)

ووجه الاستدلال من الآية والحديث معا أن النبي صلى الله عليه وسلم أباح لهم تناول الميتة في الحال التي لا يجدون غيرها، مما يدل على أن تناول الميتة مباح إلى أن تأخذ النفس حاجتها من القوة. فحفظ نفسهم مقدم على ما يترتب على أكل الميتة من ضرر أو مرض. (3) وهذا ترجمة وشرح منه صلى الله عليه وسلم للصحابة أن هذه الرخصة التي بينها من اليسر الذي أَرَادَهُ اللهُ تعالى بهم.

6- حديث عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال: "من أصاب منه من

أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ أَتَى اللَّهَ عَفْوَرٌ رَجِيمٌ ﴿ (البقرة: 173)

2- قول الله تعالى بعد ذكر جملة مما حرم في سورة المائدة: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ

لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوَرٌ رَجِيمٌ ﴿ (المائدة: 3)

ووجه الاستدلال من الآيتين أن الله تعالى بعدما شرع تحريم هذه الأنواع من الأطعمة بيّن أن "من حلت به ضرورة إلى ما حرم على المكلفين من الميتة والدم وغيرها فلا إثم عليه في أكله إن أكله" (1) ما دام ليس بباغ ولا عاد، حتى تزول الضرورة.

3- قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴿ (البقرة: 185)

4- حديث أبي واقد قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا بَارِضٍ

المستدرك على الصحيحين، مع تضمينات الذهبي في التلخيص والميزان، والعراقي في أماليه، والمناوي في فيض القدير وغيرهم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1990م)، كتاب الأطعمة، 4/ 139، رقم الحديث (7156)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وقال الذهبي فيه انقطاع. والبيهقي: أحمد بن الحسين، في السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2003م)، جماع أبواب ما لا يحل أكله، وما يجوز للمضطر من الميتة وغير ذلك، باب ما يحل من الميتة للضرورة، 9/ 598، رقم الحديث (19636) و(19637) و(19638) (3) الساعدي: أحمد بن عبد الرحمن، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، (د: م، دار إحياء التراث العربي، ط2، د. ت)، 17/ 83.

(1) ابن جرير الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مكة المكرمة: دار الترتيب والتراث، د. ط، د. ت)، 3/ 321-322.

(2) أخرجه الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن التميمي السمرقندي، في مسند الدارمي، (سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، (السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، ط1، 2000م)، في كتاب الأضاحي، باب في أكل الميتة للمضطر، 2/ 1269، رقم الحديث (2039) واللفظ له، وقال: "إسناده منقطع" وأحمد بن حنبل الشيباني، في المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م)، مسند الأنصار، حديث أبي واقد الليثي، 36/ 227، رقم الحديث (21898) وقال شعيب الأرنؤوط: "حديث حسن بطرقه وشواهده" والحاكم النيسابوري: محمد بن عبد الله، في

والضوابط والشروط هي كالاتي:

1- أن يكون الضرر في المحذور الذي يحل الإقدام عليه أقل وأنقص من الضرر المترتب في حالة الحاجة والضرورة، وهذا الضابط بمثابة قاعدة الضرورات تبيح المحظورات بشرط عدم نقصانها عنها؛ لأن الضرر لا يزال بمثله، أو بما يزيد عليه (3)

2- أن تكون الحاجة والضرورة قائمتين محقتين غير منتظرتين أو متوقعتين أو متوهمتين، ويعني الفقهاء بهذا الضابط أن يحصل في الواقع خوف الهلاك أو التلف على أحد الضرورات الخمسة. (4)

3- عدم وجود وسيلة أخرى تدفع بها الحاجة إلا بمخالفة الأحكام الأصلية من ارتكاب المحذور، أو ترك الواجب، فإن وجدت وسيلة أخرى لم تنزل الحاجة منزلة الضرورة، ولم تبح المحظورة. (5)

ومشكلاته، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ)، 12/38. والمباركفوري: محمد عبد الرحمن عبد الرحيم، تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت)، 4/425.

(3) السيوطي، الأشباه والنظائر، ص: 84، و86. وابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1999م)، ص: 73.

(4) الزحيلي: وهبة بن مصطفى نظرية الضرورة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1985م)، ص: 69. والباحسين، قاعدة المشقة تجلب التيسير، ص: 487-488. والسدلان: صالح بن غانم، القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، (السعودية: دار بلنسية للنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ)، ص: 250.

(5) الباحسين، قاعدة المشقة تجلب التيسير، ص: 486. والسدلان، القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، ص: 250.

ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه" (1)

ووجه الاستدلال أن الحديث دلّ على أن المحتاج المضطر يُرخص له، إذا أكل من ثمار معلق، أو من حائط، فلا يعدّ سارقاً "إذا أخذ بفيه لسدّ فاقته، وأن ذلك مباح له؛ لحفظ نفسه عن الهلاك، وأنه يحرم عليه الخروج بشيء منه" (2)

المحور الثالث: شروط وضوابط قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة.

يتضح مما سبق من أهمية العمل بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة، ومكانتها في الشريعة الإسلامية؛ لتعلقها بالضروريات الخمسة، وهذا يستلزم ضبطها بقيود وشروط يجب توفرها؛ لئلا تكون ذريعة، أو مجرد الدعوى إلى ارتكاب ما حرم الله، أو ترك ما أمر.

(1) أخرجه أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني في سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية) كتاب الحدود، باب ما لا قطع فيه، 4/137، رقم الحديث (4390) والترمذي: محمد بن عيسى، في سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م)، أبواب البيوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة للمار بها، 2/575، رقم الحديث (1289) واللفظ له، وقال: "هذا حديث حسن". والنسائي: أحمد بن شعيب في سنن النسائي، تحقيق جماعة من العلماء، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ط1، 1930م). كتاب قطع السارق، باب الثمر يسرق بعد أن يؤويه الجرين، 8/85، رقم الحديث (4958) وابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني في سنن ابن ماجه، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (دار الرسالة العالمية، ط1، 1، 2009م)، كتاب التجارات، باب من مر على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه؟ 2/772، رقم الحديث (2301)

(2) العظيم آبادي: محمد أشرف بن أمير، عون المعبود شرح سنن أبي داود ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله

شركات التأمين التقليدي. وحكم ربا البيوع. وتفصيل المسائل كالآتي:

المطلب الأول: الاستدلال بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في تخلص البنك المتحول إلى المصرف الإسلامي، وأدائه الفوائد السابقة.

الفرع الأول: تأخير التخلص من العمليات السابقة. ذكرت المعايير الشرعية أن مستند جواز التأخير في التخلص المرحلي من العمليات السابقة غير المشروعة لمقتضى الضرورة أو الحاجة بالضوابط الشرعية هو: أنه ليس في إمكان البنك المتحول إنهاؤها فوراً، فيصار إلى إنهاء آثارها؛ لأنه يمكنه ذلك. (4) فالاستدلال هنا بالضرورة في جواز تأخير التخلص من العمليات السابقة غير المشروعة موافق لما ذهب إليه ندوة البركة، وأنه يجب على البنك التقليدي المتحول التزام أمر الله تعالى بتطبيق شرعه، فوراً، "إن أمكن ذلك، وإلا يتم التخلص شيئاً فشيئاً، وبشكل متناقص، إلى خلو جميع أعمال وأنشطة المصرف من أي مخالفات" (5) لأن

4- أن تقدر الحاجة بقدرها؛ لأن ما أبيع للضرورة تقدر بقدرها، فكذلك الحاجة. (1)

5- ألا يكون في ارتكاب المضطر للمحذور بسبب الضرورة إبطال لحق الغير؛ لأن "الاضطرار لا يبطل حق الغير" (2) فكذلك الحاجة عندما تنزل منزلة الضرورة.

6- يشترط في الضرورة المبيحة ألا يكون سببها من فعل المكلف ما يخالف قواعد الشرع، ومثال ذلك قول الشافعية: إن بيع المعاطاة قد غلب في هذا الزمان، ولو رفع إلى حاكم لم يجز له تصحيحه للضرورة؛ لأن ما خالف قواعد الشرع لا أثر فيه للضرورة، (3).

المبحث التقييمي: في الاستدلال بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في المعايير الشرعية.

يتناول هذا المبحث دراسة المسائل التي استند فيها كتاب المعايير على الضرورة والحاجة، وأحصاها الباحث في المسائل الآتية: تحويل البنك التقليدي إلى مصرف إسلامي، وحكم المعاملات المالية إذا اشتملت على الغرر عند الضرورة، وإعادة التأمين الإسلامي مع

(1) بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م، 2/ 325-326.

الزحيلي، نظرية الضرورة، ص: 70.

(4) هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، www.aaof.com الراعي الحصري للنسخة الإلكترونية للمعايير الشرعية ساب، SABB تحول البنك التقليدي إلى مصرف إسلامي، ص: 168.

(5) أبو غدة: عبد الستار. وخوجة: عز الدين محمد، قرارات وتوصيات ندوات البركة للاقتصاد الإسلامي، ندوة البركة السادسة عشرة للاقتصاد الإسلامي، عام 1999م، قرار رقم (7/16)، ص: 278.

(1) الزركشي: محمد بن عبد الله، المنتور في القواعد الفقهية، تحقيق تيسير فائق أحمد محمود، ومراجعة عبد الستار أبو غدة، (الكويت: وزارة الأوقاف، ط2، 1985م)، 2/ 320-321. والسيوطي، الأشباه والنظائر، ص: 84-85. وابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص: 73-74.

(2) علي حيدر: أفندي خواجه أمين، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، تعريب: فهمي الحسيني، (د. م: دار الجيل، ط1، 1991م)، ج: 1/ 42.

(3) الزركشي، المنتور في القواعد الفقهية، ج: 2، ص: 319. والخطيب الشربيني: محمد بن محمد، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود،

الفرع الثاني: أداء البنك المتحول فوائد العمليات السابقة عند الحاجة والضرورة.

ذكر كتاب المعايير الشرعية أنه يجب على البنك بعد التحول الامتناع عن دفع الفوائد الربوية؛ لأنها لا تعتبر ديناً صحيحاً شرعاً، وأنه يجب عليه أن يبذل كل وسعه، وأن يستخدم جميع الوسائل المتاحة في عدم دفع الفوائد، وإن لم يحقق نجاحاً بعد كل ذلك، فإنه يجوز له الدفع عندئذ بسبب الاضطرار والتزامه السابق. (4) وهو كالمكره الملجأ حينئذ. وبهذا قررت ندوات البركة، (5) وأفتت به الهيئة الشرعية للبركة في ندواتها. (6) واستدلال المعايير الشرعية بالضرورة في دفع الفوائد بعد بذل الوسع في عدم الدفع استدلال صحيح، وذلك بالنظر إلى المقصد في رفع أعظم المفسدتين، واقتلاع المنكر من جزوره. ورفع الإثم والمؤاخذه عن المضطر والمكره معلوم وثابت في الشرع.

المطلب الثاني: أثر الحاجة في اغتفار الغرر في المعاملات المالية في كتاب المعايير الشرعية.

الفرع الأول: أثر الحاجة التي تنزل منزلة الضرورة في حكم المعاملات المالية إذا اشتملت على الغرر. الأصل أن بيع الغرر باطل؛ لما ثبت من حديث أبي

الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناها، ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناها هو المشروع (1)، فجاز التأخير إلى زوال الضرورة، ويمكن اعتبار هذا التأخير وسيلة متعينة لتحقيق مقصد شرعي صحيح، وهو التخلص من الحرام، وتوفير المكاسب المباحة للمسلمين.

وجواز التأخير في تغيير المنكر، والتدرج في إزالة المفسدة ثبت في زمن الصحابة، ومن ذلك أن عمر بن عبد العزيز كان يزيل المفاسد والمظالم بالتدرج؛ تجنباً لمخاطر التغيير الفوري الشامل. (2) فأخر بعض الأمور، وتدرج في رفع المظالم، إلى أن أغنى الناس بعدله. (3) فكذلك هنا جاز التأخير في التخلص من العمليات السابقة غير المشروعة لمقتضى الضرورة إلى أن تزول الضرورة.

وبهذا يتضح أن اختيار المعايير الشرعية جواز التأخير استناداً إلى الضرورة يعدّ اختياراً وجيهاً بالنظر إلى صحة الاستدلال، وما يستأنس أيضاً بعمل عمر بن عبد العزيز مع توفر فقهاء الصحابة والتابعين، وكذلك بالنظر إلى المآل الذي يحقق غاية مقصودة في الشرع.

(3) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص: 65.

(4) هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، تحول البنك التقليدي، ص: 170-171.

(5) أبو غدة، وخوجة، قرارات وتوصيات ندوات البركة، قرار رقم (2/16)، ص: 272-273.

(6) أبو غدة، وخوجة، قرارات وتوصيات ندوات البركة، قرار رقم (3/16)، ص: 274.

(1) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم الحارثي، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: علي بن محمد العمران، (الرياض: دار عطاءات العلم، بيروت: دار ابن حزم، ط4، 2019م)، ص: 70.

(2) ابن عبد الحكم: عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصري، سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق أحمد عبيد، (بيروت: عالم الكتب، ط6، 1984م)، ص: 57.

وذكر كتاب المعايير الشرعية جملة من ضوابط وشروط الغرر المفسد للمعاملات المالية. منها: "عدم الحاجة للعقد المشتمل على الغرر؛" (5) لأن الشريعة جاءت برفع الحرج ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (سورة الحج: 78) وسواء كانت الحاجة عامة أو خاصة؛ لأن الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة (6) ومراعاة المعايير الشرعية للحاجة والضرورة في ضابط الغرر المفسد للمعاملة موافق للإجماع. (7) فيجوز للمؤسسات المالية الإسلامية عقد

هريرة "نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر" (1) والمراد به ما كان فيه غرر ظاهر يمكن الاحتراز عنه، فأما ما تدعو إليه الحاجة، ولا يمكن الاحتراز عنه كأساس الدار، وشراء الحامل مع احتمال أن الحمل واحد أو أكثر، (2) ونحو ذلك فهذا يصح بيعه بالإجماع، (3) "فعلة النهي عن الغرر مبعثه الجهالة التي يتعرض بسببها المال لخطر التلف أو الضياع، وتؤدي إلى النزاع بين الطرفين" (4) وعند الضرورة أو الحاجة تحتفي هذه العلة، وتصير ملغاة تجاهها؛ لأن الضرورات تبيح المحظورات.

كأساس الدار..... ونحو ذلك، فهذا يصح بيعه بالإجماع" وينظر في جوار الغرر عند الحاجة في المذهب الحنفي، الكاساني: أبوبكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1987م)، 5/ 154. قال في معرض كلامه عن الخيار: "إن شرط الخيار يمنع انعقاد العقد في حق الحكم في الحال، وإنما جاز بالنص للحاجة إلى دفع الغن" وابن الهمام: محمد بن الواحد السيواسي، فتح القدير على الهداية، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1970م)، 7/ 71. قال في السلم: "إن جوازه على خلاف القياس؛ إذ هو بيع المعدوم- وبيع المعدوم من الغرر- وجب المصير إليه للحاجة من كل من البائع والمشتري". وفي المذهب المالكي ينظر الباجي: سليمان بن خلف القرطبي، المنتقى شرح الموطأ، (مصر: مطبعة السعادة، ط1، 1332هـ)، 5/ 111-112. قال في جواز الجعل: "إنما جاز الجعل في العمل المجهول والغرر للضرورة" وابن رشد الحفيد: محمد أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (القاهرة: دار الحديث، د. ط، 2004م)، 3/ 176. قال: "غير المؤثر من الغرر هو اليسير أو الذي تدعو إليه الضرورة، أو ما جمع الأمرين" وعند الحنابلة ينظر ابن قدامة: عبد الله بن أحمد، المغني، تحقيق طه الزيني وغيره، (القاهرة: مكتبة القاهرة، ط1، 1968-1969)، 4/ 157. بعد أن بين =

- (1) أخرجه مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1955م)، كتاب البيوع، باب بطلان بيع الحصاة والبيع الذي فيه غرر، 3/ 1153، رقم الحديث (1513)
- (2) النووي: يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ)، 10/ 156-157.
- (3) النووي: يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب، تحقيق لجنة من العلماء، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي، 1344-1347هـ)، 9/ 258.
- (4) علي الخفيف، الغرر في العقود، مجلة البحوث والدراسات العربية، 1973م، العدد4، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- معهد البحوث والدراسات العربية، ص: 92.
- (5) هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، ضابط الغرر المفسد للمعاملات المالية، ص: 794.
- (6) السيوطي، الأشباه والنظائر، ص: 88. وابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص: 78.
- (7) نقل الإجماع النووي في المجموع شرح المذهب، 9/ 258. حيث قال: "الأصل أن بيع الغرر باطل، والمراد ما كان فيه غرر ظاهر يمكن الاحتراز عنه، فأما ما تدعو إليه الحاجة ولا يمكن الاحتراز عنه،

فيه غرر كبير مفسد للعقد، ولذا فهو حرام شرعا". (2) وأما التأمين التعاوني الإسلامي فهو جائز، وقد جاء في قرار المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أن "مجلس المجمع قرر بالإجماع الموافقة على قرار مجلس هيئة كبار العلماء من جواز التأمين التعاوني، بدلا من التأمين التجاري المحرم، والمنه عنه آنفا" (3) وخلص مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجمعة بعد البحث والتدقيق، "أن العقد البديل الذي يحترم أصول التعامل الإسلامي هو عقد التأمين التعاوني القائم على أساس التبرع والتعاون، وكذلك الحال بالنسبة لإعادة التأمين القائم على أساس التأمين التعاوني" (4) وبوجه عام فإن إعادة التأمين له حكم أصل التأمين، فيجوز لشركات التأمين التعاوني إعادة التأمين لدى شركات تعاونية أخرى، أما إعادة التأمين لدى شركات التأمين التجاري فيطبق عليه أحكام التأمين التجاري ذاته، فهو عقد تأمين تجاري يكون المستأمن فيه شركات التأمين بدلا من الأفراد. (5)

والأصل عدم جواز إعادة التأمين التعاوني الإسلامي

المعاملات التي تشتمل على الغرر الذي لا يمكن الاحتراز عنه، ولا يستغنى عنها للحاجة إليها، مع استكمال كافة الشروط.

الفرع الثاني: حكم إعادة التأمين التعاوني مع شركات التأمين التقليدي عند الحاجة والضرورة.

التأمين التجاري التقليدي يعدّ من النوازل التي عمّت البلاد الإسلامية، ويلزم به في أنظمة الدول التي صارت تحت وطأة الاستعمار الغربي، وسيطرته على معظم أنظمة الاقتصاد. والشريعة الإسلامية الخالدة كفيلة ببيان حكم كل واقعة ونازلة إلى قيام الساعة، وقد بحث العلماء المعاصرون في حكم التأمين التجاري في مكة المكرمة، بتنظيم رابطة العالم الإسلامي، و"بعد الدراسة الوافية، وتداول الرأي في ذلك، قرر مجلس المجمع الفقهي بالإجماع عدا فضيلة الشيخ مصطفى الزرقا، تحريم التأمين التجاري بجميع أنواعه، سواء على النفس، أو على البضائع التجارية، أو غير ذلك" (1) ونص كذلك مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي على: "أن عقد التأمين التجاري ذا القسط الثابت الذي تتعامل به شركات التأمين التجاري عقد

(2) منظمة المؤتمر الإسلامي بجمعة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، تاريخ النشر بالشاملة، 1431هـ، ج: 2، ص: 563.

(3) رابطة العالم الإسلامي، قرارات وتوصيات المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، الدورات من الأولى إلى السابعة عشر، والقرارات من الأول إلى الثاني بعد المائة، ص: 39.

(4) منظمة المؤتمر الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، 2/ 563.

(5) الزحيلي: وهبة بن مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته، (دمشق: دار الفكر، ط4، د. ت)، 5/ 3429-3430.

عدم جواز بيع اللبن في الضرع قال: "وأما الظفر فإنما جاز للحضانة؛ لأنه موضع حاجة" وسبق كلام ابن تيمية، القواعد النورانية الفقهية، ص: 172، أن مفسدة الغرر أقل من الربا، وأنه يرخص فيما تدعو إليه الحاجة.

(1) رابطة العالم الإسلامي، قرارات وتوصيات المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، الدورات من الأولى إلى السابعة عشر، والقرارات من الأول إلى الثاني بعد المائة، 1398-1424هـ / 1977-2004م، ص: 33-34.

Archive.org/details/FP116. استعرض بتاريخ

2024/09/20م.

نشاطها حلال ومباح، كشركة صناعة الملابس ونحوها، لكنها تتعامل بالربا إيداعا واقتراضا، وسواء كانت الشركة عادية أم حديثة (الشركة المساهمة).

وذهبت المعايير الشرعية إلى جواز التعامل أو المساهمة في هذا النوع من الشركات، بشروط فصلتها. وذلك تحريجا على مبدأ الضرورة، ورفع الحرج، ودفع المشقة، وأن الحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة، أي أن الحاجة في حق الناس كافة تنزل منزلة الضرورة في حق الواحد المضطر، وعموم البلوى⁽³⁾ وبيان ذلك " أن حاجة الناس إلى أسهم الشركات في عالمنا الإسلامي ملحة، فالأفراد لا يستغنون عن استثمار مدخراتهم، والدول كذلك بحاجة إلى توجيه ثروات شعوبها إلى استثمارات طويلة الأجل بما يعود بالخير على الجميع"⁽⁴⁾ والاستدلال بمبدأ الضرورة هنا غير دقيق، وليس هناك حرج ولا ضرورة يقتضي المساهمة في هذه الشركات المختلطة، وذلك أن الاستدلال بالضرورة والحاجة العامة التي تنزل منزلة الضرورة يشترط أن يتعين على المضطر ارتكاب المحرم، كما مر آنفا، وألا يوجد وسيلة أخرى لدفع الضرر الواقع⁽⁵⁾ وهذه الشركات المختلطة

مع شركات التأمين التجاري التقليدي، لكن المعايير الشرعية ذهبت إلى جوازه استدلالا بالضرورة العملية؛ لإمكانية قيام شركات التأمين الإسلامي، أو الحاجة العامة التي تنزل منزلة الضرورة.⁽¹⁾ وإذا استقام أمر شركات التأمين التعاوني الإسلامي، أو قامت شركات التأمين التعاوني بالتنسيق فيما بينها وأنشأت شركة إعادة التأمين التعاوني الإسلامي فإنه يجب التوقف فورا إعادة التأمين مع شركات التأمين التجاري. وبهذا أفتت هيئة الرقابة الشرعية لبنك فيصل الإسلامي في السودان،⁽²⁾ وهذا الجواز مقيد بالضوابط يجب توفرها قبل عقد إعادة التأمين مع شركات التأمين التجاري. وهذه الضوابط معروفة لدى جميع هيئات الرقابة في المؤسسات المالية.

المطلب الثالث: تقييم الاستدلال بالحاجة في جواز بعض المعاملات المالية التي تختلط بالمحرم، أو تشتمل على المحرم.

الفرع الأول: حكم الإسهام في الشركات المختلطة، وعلاقته بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة.

ويعني العلماء بالشركات المختلطة أنها التي أصل

(4) القره داغي، الاستثمار في الأسهم، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، المجلد 9/ 752-753. والمنيع، بحوث في الاقتصاد الإسلامي، ص: 230. وينظر أيضا، الخليل: أحمد بن محمد، الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الإسلامي، (السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ)، ص: 148-149.

(5) الخليل، الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الإسلامي، ص: 230. والختلان: سعد بن تركي، فقه المعاملات المالية

(1) هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، إعادة التأمين الإسلامي، ص: 1051.

(2) مجموعة من المؤلفين، الفتاوى الاقتصادية، النشر بالشاملة، 1431هـ، فتوى رقم (3)، ص: 1147.

(3) المنيع: عبد بن سليمان، بحوث في الاقتصاد الإسلامي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1996م)، ص: 230. والقره داغي: علي محيي الدين، الاستثمار في الأسهم، مجلة مجمع الفقه الإسلامية، المجلد 9/ 752.

الصريح؟ وتعليق الجواز بنسبة معينة لا تمنع المساهمة،⁽⁴⁾ ثم التخلّص مما يخص السهم من الإيراد المحرم الذي خالط عوائد تلك الشركات تخلّصا من الحرام، غير سديد؛ إذ لا يتصور هذا التخلّص في الحقيقة، حيث "لا يجوز أن يبقى المسلم متلبسا بمعاملة ربوية ليدفع قسطا من أرباحها تخلّصا من الحرام، وإنما يجب أن يكون دفع هذا القسط علامة على التوبة، على ألا يعود"⁽⁵⁾ ومما يؤكد صحة التحريم في المساهمة في الشركات المختلطة، ويُعدُّ إلزاما قاطعا ومفهوما، ولا يقدر القائل بالجواز على رده، ما يأتي:

1- أن الشركة تقتضي أن يكون الشريك يده هي نفس يد الآخر، بحيث إن أي عمل يعمله الآخر بالشركة هو عمله هو لا فرق بينهما، وسواء في ذلك الشركة العادية أم الشركة الحديثة (الشركة المساهمة). ولا شك أن المخالف يلتزم بهذا المبدأ، ولا يقول بخلافه. وهل يجوز للمسلم تعاظم الربا بنسبة قليلة؟!!

المتعاملة بالربا لم تتعين طريقا للكسب؛ لوجود طرق أخرى للكسب المباح والاستثمار المشروع. ولا يقطع بارتفاع الحاجة-على فرض التسليم- عند ارتكاب هذا المحذور، فقد يساهم إنسان في هذه الشركة المختلطة ويخسر. ومن شروط استباحة المحذور عند الضرورة أن يقطع بارتفاع الضرر به⁽¹⁾ والقول بتحريم المساهمة في هذه الشركات المختلطة هو الذي "يتفق مع أصول وقواعد الشريعة؛ فإنها شددت في الربا غاية التشديد، وسدّ جميع الذرائع الموصلة إليه، ولو من وجه بعيد"⁽²⁾ ولما سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن بيع التمر بالربط، قال مستفسرا: "أينقص الربط إذا ييس؟" فقالوا: نعم، "فنهى عن ذلك"⁽³⁾ ومنع بيع الربط بالتمر مع التقابض والتماثل في الوزن أو الكيل؛ لأن تحول الربط بعد ذلك التماثل إلى يابس ينقصها عن وزنها، وهو نقص يسير، ومع ذلك منع منه صلى الله عليه وسلم، فكيف المساهمة في شركات تتعامل بالربا

أبواب البيوع، باب ما جاء في النهي عن المحاقلة والمزابنة، 2/ 519، رقم الحديث (1225) وقال: "هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم". والنسائي، سنن النسائي، كتاب البيوع، باب اشتراء التمر بالربط، 7/ 269، رقم الحديث (4545) و(4546) وابن ماجه، في سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب بيع الربط بالتمر، 3/ 371، رقم الحديث (2264) (4) الخنلان، فقه المعاملات المالية المعاصرة، ص: 52. العصيمي التميمي، الأسهم المختلطة في ميزان الشريعة، ص: 62، وما بعدها. (5) ابن بية: عبد الله بن الشيخ المحفوظ، المشاركة في شركات تتعامل بالحرام، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، المجلد 8/ 1742.

المعاصرة، (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 2012م)، ص: 52-53.

(1) العصيمي: صالح بن مقبل التميمي، الأسهم المختلطة في ميزان الشريعة، ص: 72. C:/Users/user/AppData/Local/Temp. استعرض بتاريخ 2023/10/11م. والخنلان، فقه المعاملات المالية المعاصرة، ص: 53.

(2) الخنلان، فقه المعاملات المالية، ص: 52. (3) أخرجه مالك بن أنس في الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، 1985م)، كتاب البيوع، باب ما يكره من بيع التمر، 2/ 624، رقم الحديث (22) واللفظ له. وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في التمر بالتمر، 3/ 251، رقم الحديث (3359) والترمذي، في سنن الترمذي،

ذاته محرم، مهما كانت نية المتعاطي في جبره. وأما تحريم الوسائل فلأنه وسيلة إلى استمراء الربا، والانغماس في أرجاسه، وقد يؤول الأمر إلى ورثة لا يهتمون حتى بإخراج الأرباح الناشئة عن المعاملات الربوية على قول المجوز.⁽³⁾

وأفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بتحريم هذا النوع من الشركات، سواء في ذلك الشركات العادية أو الشركات المساهمة، وصرحت أن "كل شركة ثبت أنها تتعامل بالربا أخذًا وعطاء تحرم المساهمة فيها"⁽⁴⁾ "ولو لم تؤسس هذه الشركات للتعامل بالربا؛ لأن الاعتبار بالواقع لا بالتأسيس"⁽⁵⁾ وقرّر المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة تحريم المساهمة فيها.⁽⁶⁾ وعقد مجمع الفقه الإسلامي الدولي ندوة حول المشاركة في أسهم الشركة المساهمة المتعاملة بالربا، وكان من قراره "ألا يساهم البنك الإسلامي للتنمية في أي شركة لا تلتزم باجتناب الربا في معاملاتها، وأنه لا يكفي أن يكون غرض الشركة مما

2- أن الشركة كالكوالة، والوكالة لا تجوز على محرم. وهذا أمر لا مرية فيه، فلا يصح أن توكل شخصا ليسرق، أو لبيع بالربا، فهي وكالة باطلة، وآثارها كذلك.⁽¹⁾

3- شيوع الحرام في مال الشركة مما يجعله متلبسا بالحرام، حتى ولو أعطى قسطا من الربح، حيث يظل ماله مخلوطا ببقية مال الشركة الذي ينتشر فيه الحرام، فإن ذلك لا يطهره؛ لأن المال مرهون بمعاملات فاسدة ينتشر فيها الحرام.⁽²⁾

والقول بتحريم المساهمة فيها يبدو في غاية الوضوح؛ لانطباق قواعد التحريم عليها، وقوة أدلته، وظهور استدلاله، ودقة إجابته على ما استند إليه القائل بالجواز من عمومات وقواعد لا تنهض دليلا. والقول بتحريم المساهمة فيها هو من باب تحريم المقاصد وتحريم الوسائل معا، تحريم المقاصد لأنه ممارسة الربا إقراضا واقتراضا، أو في أي معاملات فاسدة محرمة بوجه عام، وتعاطي المعاملات الفاسدة المحرمة من ربا وغيره في حد

(الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء)، فتوى رقم (7915)، 14/314-315.

(5) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتوى رقم (8715)، 13/408.

(6) القرار الرابع من الدورة الرابعة عشرة، بشأن حكم شراء أسهم الشركات والمصارف إذا كان في بعض معاملاتها ربا، قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، التابع لرابطة العالم الإسلامي، ص: 297-298.

(1) الختلان، فقه المعاملات المالية المعاصرة، ص: 52-53. وابن بيه، المشاركة في شركات تتعامل بالحرام، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، المجلد 8/1742-1743.

(2) ابن بيه، المشاركة في شركات تتعامل بالحرام، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، المجلد 8/1743..

(3) ابن بيه، المشاركة في شركات تتعامل بالحرام، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، المجلد 8/1743، والختلان، فقه المعاملات المالية المعاصرة، ص: 53-54.

(4) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش،

أو بغير جنسه مما يشاركه في العلة كالذهب بالفضة" (4) هذا عند الاستقلال وعند قصد بيع الذهب بالذهب أصالة. أما إذا كان ربا الفضل تابعا لغير الجنس الربوي، أو كان ضمن العقود المجتمعة، فهل يعفى عنه أم لا؟ كما في حديث "من ابتاع عبدا وله مال فماله للذي باعه، إلا أن يشترط المبتاع" (5) فإذا اشترط المشتري مال العبد، وكان ماله من النقود بنقود، فهل يعفى عن ربا الفضل في هذه الصورة أم لا؟ وكذلك من اشترى مصنع الثياب ونحوه، والمصنع قائم ينتج، وله نقود وديون في الحساب بنقود، إذا كان قَصَدَ العبدَ أو المصنع لا المال.

اختلف العلماء في ربا البيوع الحاصل في هذا المثال، وكذلك في كل العقود المجتمعة، هل يتسامح فيه، ويغتفر، فلا يؤثر؛ للحاجة، أو يؤثر؟ على قولين:

القول الأول: لا يغتفر ربا الفضل تبعا، وفي الجمع بين العقود. وأنه تلزم مراعاة قاعدة "مد عجوة"، ولا عبرة

لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية، بل لا بد من اجتناب الوسائل المخالفة للشرع، ومن أعظمها التعامل بالربا في الأخذ والعطاء" (1)

الفرع الثاني: الاستدلال بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة عند الجمع بين العقود في جواز بعض المعاملات التي أصلها عدم الجواز.

راعت المعايير الشرعية الحاجة والضرورة عند المواظبة على الجمع بين العقود التي تكون ذريعة على المحرم، ومن ذلك اغتفار ربا البيوع، وعدم توافر شروط صحة الصرف. (2) ونصت على تحريم ذلك بشرط "ألا يكون هناك حاجة أو مصلحة راجحة إلى تلك المعاملة" (3) فجعلت الحاجة سببا في استثناء المعاملة من الحرام، ومعلوم أن الحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة.

ولا يخفى تحريم بيع الذهب بالذهب متفاضلا، وكذلك بقية الأصناف الربوية؛ لإجماع العلماء "على أنه لا يجوز بيع الربوي بجنسه وأحدهما مؤجل، وعلى أنه لا يجوز التفاضل إذا بيع بجنسه حالا كالذهب بالذهب. وعلى أنه لا يجوز التفرق قبل التقابض إذا باعه بجنسه

د. ط، د. ت)، ص: 85. وابن المنذر: محمد بن إبراهيم النيسابوري، الإجماع، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، (د. م: دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 2004م)، ص: 97.

(5) متفق عليه: أخرجه البخاري: محمد بن إسماعيل في صحيح البخاري، تحقيق جماعة من العلماء، (مصر: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، 1311هـ)، كتاب الشرب والمساقاة، باب الرجل يكون له ممر أو شرب في حائط أو في نخل، 115/3، رقم الحديث (2379) واللفظ له. ومسلم في صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب من باع نخلا عليها ثمر، 1173/3، رقم الحديث (1543)

(1) ندوة حول المشاركة في أسهم الشركة المساهمة المتعاملة بالربا، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، المجلد: 8/ 1749.

(2) هيئة المحاسبة والمراجعة، المعايير الشرعية، الجمع بين العقود، ص: 674.

(3) هيئة المحاسبة والمراجعة، المعايير الشرعية، الجمع بين العقود، ص: 674.

(4) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 9/ 11. وينظر أيضا ابن حزم الظاهري: علي بن أحمد القرطبي، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، (بيروت: دار الكتب العلمية،

كان ماله ربويا كالدنانير والدراهم لم يصح بيع العبد مع ماله تبعا إلا مع السلامة من الربا؛ لأن الربا لا تصح إباحته في الشرع تبعا" (5)

ويرد على هذا الاستدلال أنه صلى الله عليه وسلم رد بيع القلادة التي فيها الذهب والخرز؛ لأن القصد ظاهر في الذهب، وفي بيع العبد ذي المال توجه القصد إليه، لا إلى ماله، والمال وقع تبعا، (6) كما لو اشترى بدنانير دارا مموها سقفاها بالذهب؛ (7) لأن "اعتبار ما يقصد بالأصالة والعادة هو الذي جاء في الشريعة القصد إليه بالتحريم والتحليل" (8)

ومن حجتهم أيضا أن سبب بطلان هذا النوع من البيع يرجع إلى "الهيئة الاجتماعية، فلما اجتمع الربا وغيره من العروض، سواء في ذلك العبد، أو المصنع

بالحاجة. وهذا قول الحنفية، (1) والشافعية. (2) وحجتهم في ذلك أن البيع لا يصح في بيع جنس ربوي بجنسه ومعه جنس آخر أو عرض؛ لما فيه من الربا، ولأنه قد علم بطلانه بدليل آخر، وهو حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه، لما اشترى قلادة فيها ذهب وخرز، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا! حتى تميز بينه وبينه" فقال: إنما أردت الحجارة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا! حتى تميز بينهما" قال: فرده حتى ميز بينهما (3) "واشتمال أحد طرفي العقد على مالين مختلفين توزيع ما في الآخر عليهما اعتبارا بالقيمة" (4) وعليه فمال العبد "يجوز بيعه تبعا للعبد ولو كان مجهولا، ولا يصح بيعه مفردا حتى يكون معلوما. وإن

(4) زكريا الأنصاري، أسنى المطالب، 2/ 25. وينظر أيضا الخطيب الشربيني، مغني المحتاج، 2/ 375. والرملي، نهاية المحتاج، 3/ 442.

(5) الماوردي: علي بن محمد البصري، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1999م)، 5/ 269.

(6) ابن العربي، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، ص: 805. وينظر ابن شاس: عبد الله بن نجم الجذامي، عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تحقيق: حميد بن محمد بن لخم، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م)، 2/ 658.

(7) ابن قدامة، المغني، 4/ 30.

(8) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، 3/ 459-460.

(1) محمد بن الحسن الشيباني، الحجة على أهل المدينة، تحقيق: السيد مهدي حسن الكيلاني، (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1403هـ)، 2/ 503. وابن الهمام، فتح القدير على الهداية، 6/ 282.

(2) زكريا الأنصاري: بن محمد بن زكريا السنيكي، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، (د. م: دار الكتاب الإسلامي، د. ط، د. ت)، 2/ 25، والخطيب الشربيني، مغني المحتاج، 2/ 375. والرملي: محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (دمشق: دار الفكر، الطبعة الأخيرة، 1983م)، 3/ 442.

(3) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب بيع القلادة فيها خرز وذهب، 3/ 1213، رقم الحديث (1591) وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب حلية السيف تباع بالدراهم، 3/ 249، رقم الحديث (3351)، واللفظ له، والترمذي، سنن الترمذي، أبواب البيوع، باب ما جاء شراء القلادة وفيها ذهب وخرز، 3/ 548، رقم الحديث (1255) والحديث من رواية فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه في جميعهم.

الدراهم الدين تجوز بالدرهم الدين وهي أكثر منها،
فأين الربا الذي نهي عنه الله عز وجل في كتابه؟⁽³⁾
وجوابه أن إطلاق النبي صلى الله عليه وسلم جواز
اشتراط المشتري مال العبد يدل على جواز "شراء
العبد، وإن كان ماله درهم بدرهم إلى أجل، وكذلك
لو كان ماله ذهباً أو ديناً"⁽⁴⁾ وعلى البائع أن يحذر من
الوقوع في الغبن الفاحش.

القول الثاني: اغتفار ربا الفضل تبعا في الجمع بين
العقود، فيجوز شراء العبد أو المصنع بالنقود، وإن كان
مال العبد نقوداً، أو اشتمل بيع المصنع على نقوده في
الحساب، وهذا قول المالكية⁽⁵⁾ والحنابلة⁽⁶⁾.

واستدلوا بحديث: "من ابتاع عبداً وله مال فماله للذي
باعه إلا أن يشترط المبتاع"⁽⁷⁾ قال مالك: "الأمر
المجتمع عليه عندنا أن المبتاع إذا اشترط مال العبد فهو
له، نقداً كان أو ديناً، أو عرضاً، يعلم أو لا يعلم، وإن
كان للعبد من المال أكثر مما اشترى به، كان ثمنه نقداً
أو ديناً أو عرضاً"⁽⁸⁾ "ولأن المال دخل تبعا فأشبهه
أساسات الحيطان، والتمويه بالذهب في السقوف"⁽⁹⁾
والتابع تابع لا يفرد بحكم.

ونحوه، أشبه العقد على خمس نسوة فإنه يطل
الجميع"⁽¹⁾

ويرد على هذا الاستدلال أنه لا ينكر تأثير الاجتماع
في الأحكام التكليفية في الجملة، لكن تشبيه بيع العبد
ذي المال بالعقد على خمس نسوة في البطلان غير
مُسَلَّم؛ لأن العقد على كل فرد منهن مقصود، بخلاف
بيع العبد الذي له مال، حيث وقع العقد على العبد
والمال تابع، و"فائدة التبعية في الأتباع إنما هي في الحل
أو الاستحقاق، لا في عدم المقابلة بجزء من الثمن"⁽²⁾
على فرض القول بأن دراهم العبد تقابل جزءاً من
الثلث.

وأورد محمد بن الحسن الشيباني سؤالاً على القائلين
بجواز البيع في المسألة، دون النظر إلى مال العبد، وأنه
يغتفر الربا ولو حصل، بقوله: "رجل اشترى من رجل
عبداً بخمس مائة درهم إلى سنة، وللعبد على المشتري
ألف درهم إلى سنة، فاشترى العبد واشترط ماله فحلَّ
المال، إنه يؤدي خمسمائة بخمسمائة مما عليه، ويكون
له خمسمائة، ويأخذ العبد بغير شيء، فإذا كانت

(6) ابن قدامة، المغني، 4/ 30. وابن مفلح: إبراهيم بن محمد، المبدع
في شرح المقنع، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م)،
169/4، والبهوتي، كشف القناع، 3/ 287-288.
(7) سبق تخريجه في ص24.
(8) مالك، الموطأ، 2/ 611.
(9) ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، 3/ 287-288. وينظر أيضاً
ابن قدامة، المغني، 4/ 30.

(1) زكريا الأنصاري، أسنى المطالب، 2/ 25.

(2) ابن شاس، عقد الجواهر الثمينة، 1/ 92.

(3) محمد بن الحسن الشيباني، الحجة على أهل المدينة، 2/ 506.

(4) مالك، الموطأ، 2/ ص: 611. وابن عبد البر: يوسف بن عبد الله
القرطبي، الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق: محمد محمد أحمد ولد
ماديك الموريتاني، (الرياض: المكتبة الحديثة، ط2، 1980م)، 2/
689.

(5) المرجع السابق، 2/ 611. وابن عبد البر، الكافي في فقه أهل
المدينة، 2/ 689. والباقي، المنتقى، 4/ 170.

مفهوم الحاجة الشرعية التي تنزل منزلة الضرورة، التي بمراعاتها يحصل الترخّص والتخفيف، وهل خرّجت المعايير الشرعية المسائل عليها؟ وما صحة هذا التخرّيج؟ وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة راسخة عند الفقهاء، وأنها سبب في إباحة المحظورات، ولهذا يختصرون عند ذكرها أحياناً بقولهم: "للضرورة" أو "للحاجة" بدلا من ذكر القاعدة، والاستناد إليها نابع من نصوص شرعية كثيرة، فقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة بذلك قد تربو على ذكر نص دليل واحد، أو دليلين عند الاحتجاج.

2- خرّجت المعايير الشرعية جملة من المسائل على قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة، مكتفية بها فقط؛ لكون أدلتها أشهر من أن تذكر دائما معها، وفي بعضها تضيف إلى القاعدة دليلاً أو دليلين مما يدل على مخالفة حكم الأصل عند الحاجة والضرورة.

3- واستناد المعايير الشرعية على قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في الترخّص جلي في مسائل تحول البنك التقليدي إلى مصرف إسلامي، وذلك لتحقيق أسمى مقصد، وهو إيجاد البديل، وإبعاد المسلمين عن المعاملات المحرمة والربوية.

4- ظهر للباحث عدم جواز الإسهام في الشركات التي أصل نشاطها حلال، ولكنها تتعامل بالربا إيداعاً

وبعد ذكر أقوال العلماء، وأدلة أصحابها ومناقشتها، يظهر رجحان قول المالكية والحنابلة، وأن ربا البيوع يترخّص فيه، ويعفى عنه، إذا وقع تابعا وضمنا في البيع؛ لصحة استدلالهم، وسلامته من النقص. و"مراعاة المصالح والمقاصد تقتضي جوازه"؛⁽¹⁾ لأن المقصود من العقد ذات المبيع، من عبد أو مصنع، أو غيرهما، والمال وقع تبعا.

ولهذا كان اختيار المعايير الشرعية الترخّص واغتفار ربا البيوع في العقود التبعية والضمنية عند الجمع بين العقود، للحاجة والمصلحة الراجحة⁽²⁾ اختياراً صحيحاً، ومستنداً إلى قاعدة "يعتفر في التوابع ما لا يغتفر في غيرها".

ومثال ذلك: عملية تحويل النقود بعملة بلد معين، كالريال، إلى بلد آخر بعملة مختلفة، كالدولار، فإنه يجتمع في هذا التحويل الصرف والحوالة معاً، ومع ذلك اغتفر التقابض قبل التفرق الذي يشترط في الصرف⁽³⁾.

الخاتمة وأهم النتائج:

في نهاية البحث الذي تناول منهجية استدلال المعايير الشرعية بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة على الترخّص وتصحيح أحكام العقود والتصرفات المالية، حاول الباحث أن يدرس الجانب النظري والتطبيقي لهذا الاستدلال، وكل ذلك في سبيل الإجابة على أسئلة الدراسة النابعة من إشكالية البحث، والمتمثلة في

(1) ابن العربي، القبس، ص: 805.

(2) هيئة المحاسبة والمراجعة، المعايير الشرعية، الجمع بين العقود، ص: 662.

(3) المرجع السابق.

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره، بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م)،
2. الأزهرى، محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربى، ط1، 2001م)،
3. الباجي، سليمان بن خلف القرطبي، المنتقى شرح الموطأ، (مصر: مطبعة السعادة، ط1، 1332هـ)،
4. الباحسين، يعقوب بن عبد الوهاب، قاعدة المشقة تجلب التيسير دراسة نظرية-تأصيلية تطبيقية-، (السعودية: مكتبة الرشد، ط1، 2003م)،
5. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق جماعة من العلماء، (مصر: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، 1311هـ)
6. البهوتي، منصور بن يونس، كشف القناع عن متن الإقناع، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال، (الرياض: مكتبة النصر الحديثة)،
7. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2003م)،
8. بن بيه، عبد الله بن الشيخ المحفوظ، المشاركة في شركات تتعامل بالحرام، مجلة مجمع الفقه الإسلامي
9. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي،

واقتراضاً، ولا يجوز بيع وشراء أسهمها. ورجحت المعايير الشرعية جواز الإسهام فيها تخريجا على قاعدة التبعية-التابع تابع-، والحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة الخاصة، ولا يستقيم هذا التخريج؛ لعدم تحقق الحاجة الشرعية التي تنزل منزلة الضرورة.

5- صحة الاستدلال بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة، وكذلك رفع المشقة والخرج في اغتفار ربا البيوع عند الجمع بين العقود، حيث يصعب على الناس عند شراء المصنع الذي يشتمل على موجودات وآلات، ونقود وديون وحقوق، تحقيق تقابل النقود بالنقود من غير زيادة ولا نقصان.

وظهر للباحث أثناء إنجازه مباحث البحث بعض المحاور لو أفردت لكانت جديدة بالدراسة والنتائج المرجوة، وهي:

1- أهمية دراسة الخلاف في المسائل الفقهية بين المجمع الفقهية وما قرره المعايير الشرعية، واستكشاف توظيف القواعد الفقهية في الاستدلال واستنباط الأحكام في المعاملات المالية وغيرها.

2- دراسة تقويمية شاملة لمنهجية الاستدلال بالقواعد الفقهية في كتب المعاملات المالية المعاصرة، ومدى توافقها أو اختلافها مع مناهج المتقدمين في المفاهيم والطرائق، كقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة، التي تناولتها آنفاً، ومفهوم التيسير وقواعده، فقد صاحبه كثير من التوسع في الأسباب والتطبيق مما يحتم المراجعة والتقويم.

- العلمية، ط1، 1994م)،
17. الخفيف، علي، **الغرر في العقود**، مجلة البحوث والدراسات العربية، 1973م، العدد4، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- معهد البحوث والدراسات العربية.
18. الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)،
19. الخليل، أحمد بن محمد، **الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الإسلامي**، (السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ).
20. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن التميمي السمرقندي، **مسند الدارمي**، (سنن الدارمي)، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، (السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، ط1، 2000م)،
21. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية)،
22. الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، (دمشق: دار الفكر)
23. رابطة العالم الإسلامي، **قرارات وتوصيات المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة**، الدورات من الأولى إلى السابعة عشر، والقرارات من الأول إلى الثاني بعد المائة، 1398-1424هـ / 1977-2004م، [Archive.org/details/FP116](https://archive.org/details/FP116) استعرض بتاريخ
- تحقيق بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م)،
10. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، تحقيق علي بن محمد العمران، (الرياض: دار عطاءات العلم، بيروت: دار ابن حزم، ط4، 2019م)،
11. الجوهرى، إسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1987م)،
12. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، **المستدرک على الصحيحين، مع تضمينات الذهبي في التلخيص والميزان، والعراقي في أماليه، والمنائوي في فيض التقدير وغيرهم**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1990م)،
13. ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد القرطبي، **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، (بيروت: دار الكتب العلمية)،
14. الحموي، أحمد بن محمد مكي، **غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1985م)،
15. الخثلان، سعد بن تركي، **فقه المعاملات المالية المعاصرة**، (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 2012م)،
16. الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، (بيروت: دار الكتب

32. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983م)،
33. ابن شاس، عبد الله بن نجم بن شاس الجذامي، عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تحقيق حميد بن محمد بن لحر، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م)،
34. الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان، ط1، 1997م).
35. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث)،
36. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي، الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق محمد أحمد ولد مادريك الموريتاني، (الرياض: المكتبة الحديثة، ط2، 1980م)،
37. ابن عبد الحكم، عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصري، سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق أحمد عبید، (بيروت: عالم الكتب، ط6، 1984م)،
38. ابن العربي، محمد بن عبد الله المعافري، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، تحقيق محمد عبد الله ولد كريم، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992م)،
39. العصيمي التميمي، صالح بن مقبل، الأسمم المختلطة في ميزان الشريعة.

C:/Users/user/AppData/local/Temp

- 2022/09/20م.
24. ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (القاهرة: دار الحديث، 2004م)
25. الرملي، محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (دمشق: دار الفكر، ط أخيرة، 1983م)
26. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته، (دمشق: دار الفكر، ط4)،
27. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضعي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1985م)،
28. الزركشي، محمد بن عبد الله، المنتور في القواعد الفقهية، تحقيق تيسير فائق أحمد محمود، ومراجعة عبد الستار أبو غدة، (الكويت: وزارة الأوقاف، ط2، 1985م)،
29. زكريا الأنصاري، بن محمد بن زكريا السنيكي، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، (دار الكتاب الإسلامي)
30. الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، (دار إحياء التراث العربي، ط2)،
31. السدلان، صالح بن غانم، القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، (السعودية: دار بلنسية للنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ)،

48. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش، (الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء)،

49. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق شعيب الأرناؤوط، (دار الرسالة العالمية، ط1، ط1، 2009م)،

50. مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985م)

51. الماوردي، علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1999م)،

52. المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، (بيروت: دار الكتب العلمية)،

53. مجموعة من المؤلفين، الفتاوى الاقتصادية، النشر بالشاملة، 1431هـ.

54. محمد بن الحسن الشيباني، الحجة على أهل المدينة، تحقيق السيد مهدي حسن الكيلاني، (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1403هـ)،

55. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1955م)

40. العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير، عون المعبود شرح سنن أبي داود ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ)،

41. علي حيدر أفندي، خواجه أمين، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، تعريب فهمي الحسيني، (دار الجليل، ط1، 1991م)،

42. أبو غدة، عبد الستار، وخوجة، عز الدين محمد، قرارات وتوصيات ندوات البركة للاقتصاد الإسلامي، ندوة البركة السادسة عشرة للاقتصاد الإسلامي، عام 1999م.

43. الغزالي: محمد بن محمد الطوسي، شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق: حمد الكبيسي، (بغداد: مطبعة الإرشاد، ط1، 1971م)،

44. ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني الرازي، مقاييس اللغة، (دمشق: دار الفكر، 1979م)

45. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، تحقيق طه الزيني وغيره، (القاهرة: مكتبة القاهرة، ط1، 1968-1969)،

46. القره داغي، علي محيي الدين، الاستثمار في الأسهم، مجلة مجمع الفقه الإسلامية،

47. الكاساني، أبوبكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1987م)،

مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ)،
65. ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي،
فتح القدير على الهداية، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1970م)،
66. هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية
الإسلامية، المعايير الشرعية، www.aaoifi.com،
الراعي الحصري للنسخة الإلكترونية للمعايير الشرعية
ساب، SABB

56. ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، المبدع في شرح
المقنع، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1،
1997م)،
57. ابن المنذر، محمد بن إبراهيم النيسابوري،
الإجماع، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، (دار المسلم
للنشر والتوزيع، ط1، 2004م)،
58. منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، مجلة مجمع الفقه
الإسلامي، تاريخ النشر بالشاملة، 1431هـ
59. ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، لسان
العرب، تحقيق، لليازجي وجماعة من اللغويين، (بيروت:
دار صادر، ط3، 1414هـ).
60. المنيع، عبد الله بن سليمان، بحوث في الاقتصاد
الإسلامي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1،
1996م)،
61. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم، الأشباه
والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، تحقيق،
زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1،
1999م)،
62. النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي،
تحقيق جماعة من العلماء، (القاهرة: المكتبة التجارية
الكبرى، ط1، 1930م).
63. النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب،
تحقيق لجنة من العلماء، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية،
مطبعة التضامن الأخوي، 1344-1347هـ)
64. النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح

تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة في المصارف الإسلامية وأحكامها بالمملكة العربية السعودية

الدكتور/ عبد الرحمن عبد الحميد محمد حسانين

صالح دهلوس عمير العنزي

طالب دكتوراة كلية الدراسات الإسلامية تخصص فقه أستاذ مشارك الفقه وأصوله – جامعة المدينة العالمية

– ماليزيا

جامعة المدينة العالمية – ماليزيا

abdel.rahman@mediu.edu.my

vip9992009@hotmail.com

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، تقدم الباحث من خلال هذا الموضوع وهو الأحكام المتعلقة بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة في المصارف الإسلامية دراسة تطبيقية في المملكة العربية السعودية، وهو ما دفع الباحث في طرح إشكالية هذا البحث وهو دور الدولة في دعم وتمويل تلك المشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر بما يتواءم مع المسار الاقتصادي للدولة ودورها في ذلك من خلال الدعم والتمويل وتقديم المبادرات المختلفة في دعم تلك المشروعات لإيجاد فرص عمل وتوسيع قاعدة الدخل من خلال تلك المشروعات في اقتصاد الدولة والنتائج القومي، وذلك من خلال طرح عدة أسئلة، ما صيغ التمويل التي تقدمها المصارف الإسلامية للمشروعات الصغيرة وما الأحكام الفقهية المتعلقة بالصيغ التمويلية للمشروعات الصغيرة، وما أثر التمويل الإسلامي على المشروعات الصغيرة والمتوسطة، وما التحديات أمام تفعيل دور التمويل الإسلامي في المملكة العربية السعودية، وما الضوابط والأحكام الفقهية المتعلقة بتمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة، وما ضوابط العمل المصرفي في المملكة العربية السعودية لتمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة، وما الأحكام الفقهية لبعض صور التمويل المصرفي المعاصر في المملكة العربية السعودية، وما التطبيقات المعاصرة لتمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة في السعودية، وما جهود المملكة العربية في تشجيع المشروعات الصغيرة والمتوسطة، وما النماذج التطبيقية لتمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة، والإجابة عن هذه الأسئلة، ولقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع المسائل ودراستها، واتبع المنهج التحليلي، وذلك من خلال تحليل ودراسة الأقوال الفقهية الواردة في ذلك، ودراسة قواعد العمل المصرفي في المصارف الإسلامية، ووصفها وتحليلها، وتوضيح ماهية الأحكام الفقهية في العمل المصرفي، وتوصل لعدة نتائج كان من أهمها: توافق سياسة الدعم والتمويل والعمل المصرفي في المملكة العربية السعودية مع ضوابط الشريعة الإسلامية، بعد العمل المصرفي في المملكة العربية السعودية في دعمها وإقراضها القروض عن البنوك التي تكون في تعاملاتها شبهة ربوية، حاجة أصحاب المشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر إلى تقديم دراسات علمية لمشروعاتهم وعدم الاقتصار على الخبرات والتجارب الشخصية حتى لا يؤثر ذلك على مسار تلك المشروعات في حال تعثرها، وادعو الله التوفيق والسداد في طرحي هذا.

الكلمات المفتاحية: المشروعات الصغيرة والمتوسطة، التمويل، المصارف الإسلامية، المملكة العربية السعودية



Abstract

This research examines the role of the Saudi state in supporting and financing small and micro-enterprises in alignment with its national economic strategy. It highlights governmental initiatives aimed at promoting such enterprises to create job opportunities and broaden the income base within the national economy and GDP. The study addresses several key questions, including: What Islamic financing instruments are available for small enterprises? What are the relevant jurisprudential rulings regarding these instruments? What is the impact of Islamic finance on small and medium-sized enterprises (SMEs)? What challenges hinder the activation of Islamic finance in Saudi Arabia? What are the jurisprudential principles and rulings governing SME finance? What are the regulatory frameworks governing SME financing in the Saudi banking system? What are the jurisprudential rulings on contemporary Islamic banking products? What practical models and applications exist for SME financing in Saudi Arabia? And what efforts has the Kingdom made to encourage SMEs? To answer these questions, the researcher adopted an inductive method to trace and examine relevant issues, and an analytical approach to study and interpret pertinent juristic opinions. The study also explores the principles of Islamic banking operations, providing both descriptive and analytical insights into their legal underpinnings. Key findings include the compatibility of Saudi Arabia's banking support policies with Islamic legal principles, despite some banks engaging in transactions that may raise concerns about usury (riba). The research also emphasizes the importance for SME owners to conduct rigorous feasibility studies rather than relying solely on personal experience, to ensure project sustainability and avoid failure.

Keywords: small and medium-sized enterprises, Financing, Islamic banks, Kingdom of Saudi Arabia

المقدمة

التمهيد (خلفية البحث):

ميزتها التنافسية، كما لا يمكن إغفال أن عديد من أصحاب هذه المشروعات يستنكر التعامل مع البنوك التي تمنح التمويل عن طريق قروض ذات فوائد ربوية كنتيجة لاعتبارات دينية واجتماعية، وهو الأمر الذي دفع الفقه الاقتصادي للبحث عن بدائل للتمويل ليجد ضالته في نظام التمويل ذي الصبغة الإسلامية والذي تنشده وتدعمه المصارف الإسلامية⁽²⁾.

وتبدو فعالية المصارف الإسلامية في اعتمادها نظام فوائد غير ثابتة، وهو البديل الأكثر ملائمة عن القروض الربوية بالنسبة لهذا النوع من المشروعات، لأنه يعد في متناول المشروعات الصغيرة، حيث تناسب صيغة التمويل الإسلامي نظم هذه المشروعات نظرا لقدرتها على تحقيق العدالة بين أطراف عملية التمويل، بدلا من النظام الربوي الذي لا يسعى إلا لتحقيق مصلحة الممول بغض النظر عن ظروف المشروع وتقلبات السوق وتذبذب معدلات الإنتاج والربح⁽³⁾.

وبملك التمويل الإسلامي عديد من الحلول للمشكلات التي تواجه تمويل المشروعات الصغيرة، حيث يشمل أنظمة متعددة للتمويل، منها التمويل الذي يتأسس على أعمال البر، والتمويل القائمة على المشاركة، والتمويل القائم على الائتمان، كما تتعدد مجالات التمويل الإسلامي فتشمل الاستصناع والمزارعة والتجارة

تعد المشروعات الصغيرة هي مكونات ذات صلة وثيقة بالمشروعات الضخمة، حيث من شأنها أن تسهم في زيادة الدخل ورفع القيمة المضافة في الدولة، كما تتسم دائما بالكفاءة في استغلال رأس المال، الأمر الذي يرجع للرابطة القوية بين ملكية رأس المال وإدارته في هذا النوع من المشروعات، والحرص الشديد من ملاك هذه المشروعات على نجاحها، واستخدام الطرق المثلى في الإدارة، وبذل كل جهد في سبيل تطوير المشروع والخروج به من نطاق المشروع الصغير الى رحاب أوسع⁽¹⁾.

وعادة ما تكون المشكلة الرئيسة أمام هذه المشروعات هي مشكلة التمويل، حيث يعد الحصول على رأس المال المناسب لبدء المشروع هو العقبة الكبرى أمام قيامه، حيث يفتقر مبتكري هذه المشروعات إلى رأس المال الكافي لبدء مشروعاتهم، كما يفتقرون في الوقت ذاته الى ما يكفي من ضمانات للحصول على التمويل اللازم من المؤسسات المصرفية، وإذا وجدت فإن هذه القروض التمويلية تكون بفائدة مرهقة تؤثر في أرباح المشروع الى درجة قد تؤثر على استمراره، حيث تعد تكلفة دورية ثابتة من شأنها تفقد هذه المشروعات

(2) فياض عبد المنعم حسانين، دراسات فقهية لقضايا تمويلية في

المجتمعات العربية، دار كنز ناشرون، القاهرة 2021

(3) العمودي محمد الطاهر، التمويل الإسلامي للتنمية في إشارة إلى

تجارب البنك الإسلامي للتنمية، دار ألفا للوثائق، عمان 2021

(1) أحمد جمال خطاب، فاعلية ريادة الأعمال في تعزيز استراتيجية

التنمية المستدامة في ضوء رؤية مصر 2030، بحث منشور في المجلة

العلمية للدراسات التجارية والبيئية، مجلد 11 عدد 1، كلية التجارة

جامعة قناة السويس، الإسماعيلية 2020، ص 473.

- المصرفي المعاصر في المملكة العربية السعودية ؟
2. ما التطبيقات المعاصرة لتمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة في السعودية ؟
3. ما جهود المملكة العربية في تشجيع المشروعات الصغيرة والمتوسطة ؟
4. ما النماذج التطبيقية لتمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة ؟

ثالثاً : أهداف البحث :

1. بيان الأحكام الفقهية لبعض صور التمويل المصرفي المعاصر في المملكة العربية السعودية .
2. التعرف على التطبيقات المعاصرة لتمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة في السعودية .
3. بيان جهود المملكة العربية في تشجيع المشروعات الصغيرة والمتوسطة .
4. بيان النماذج التطبيقية لتمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة .

رابعاً : مصطلحات البحث :

تتمثل مصطلحات الدراسة فيما يلي :

تعريف المصارف الإسلامية :

المصرف : اسم مكان يتم فيه الصرف، والصرف لغة : رد الشيء عن وجهه، صرفه يصرفه صرفاً فانصرف، والصرف : التقلب والحيلة. يقال : فلان يصرف ويتصرف ويصطرف لعياله أي يكتسب لهم. وقولهم : لا يقبل له صرف ولا عدل؛ الصرف : الحيلة، ومنه التصرف في الأمور. يقال : إنه يتصرف في الأمور. وصرفت الرجل في أمري تصرفاً فتصرف فيه واصطرف

والخدمات، وتقوم اقتصادياً على دراسة الجدوى، وشرعياً على أساس تحري الحلال، كما أن أهم ما يميزها هو نقل التمويل من أسلوب الضمان والائتمان والعائد الثابت، إلى أسلوب الغنم بالغرم والمشاركة وتغليب الأنشطة الإنتاجية على الأنشطة المالية، وذلك دون أن تحول من الحصول على الضمان الكافي لعملية التمويل، مع مراعاة ظروف المتعثرين.

أولاً : مشكلة البحث :

نالت المشروعات الصغيرة أهمية قصوى في العقود الأخيرة وبصورة متصاعدة، وذلك تحت تأثير الزيادة السكانية وانتشار البطالة، وذلك للدور التنموي الذي تلعبه هذه المشروعات في الاقتصادات الحديثة ومساهمتها في زيادة دخل أصحاب المشروعات والدخل القومي بصورة عامة، مما من شأنه المساهمة في الحفاظ على النمو الاقتصادي بواسطة عدة طرق أهمها الابتكار واكتشاف التكنولوجيات الجديدة ، لذلك يقع ضمن مسئوليات الدولة المبادرة بخلق مشروعات جديدة وسياسات تمويلية مستحدثة، وتعتبر من تلك الدول المملكة العربية السعودية في دعمها للمشروعات الصغيرة والمتوسطة عن طريقة المصارف الإسلامية وأجهزة الدولة ، ونتج عن مشكلة الدراسة التساؤل الرئيس : مامدى التزام هذه المشاريع وتمويلها بأحكام الشريعة الإسلامية ؟ ونتج عن هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية .

ثانياً : أسئلة البحث :

1. ما الأحكام الفقهية لبعض صور التمويل

في طلب الكسب⁽¹⁾

واصطلاحًا: الصرف عند الفقهاء: "اسم لبيع الأثمان المطلقة بعضها ببعض، وهو بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، وأحد الجنسيتين بالآخر، فاحتمل تسمية هذا النوع من البيع صرفاً لمعنى الرد والنقل"⁽²⁾. وأما الصرف في اصطلاح الاقتصاديين: مبادلة عملة وطنية بعملة أجنبية⁽³⁾.

واصطلح على إطلاق اسم المصارف الإسلامية على المؤسسات المصرفية التي تمتنع عن التعامل بالفوائد الثابتة باعتبارها فوائد ربوية، وإنما تقوم على الفائدة المتغيرة التي تتناسب مع الأرباح الحقيقية للمال فتدور معها صعوداً ونزولاً⁽⁴⁾.

تعريف التنمية:

التنمية لغة: تعني الزيادة، ونما ينمي نمياً: زاد وكثر، وربما قالوا نمو ينمو نمو⁽⁵⁾.

اصطلاحًا: لها العديد من التعريفات؛ فيتصورها الاقتصاديون والرأسماليون والاشتراكيون ازدياداً في الناتج القومي وزيادة دخل الفرد مع اختلاف السبل الموصلة إلى ذلك؛ يتصورها الاجتماعيون إلى أنها وسيلة لتمكين الإنسان من تحقيق ذاته وتحقيق قدر أكبر من الرفاهية وتأمين مستوى ارفع لنمط حياته الاجتماعي

والصحي والتعليمي والخدمي⁽⁶⁾.

وبالبحث يرى أنها عملية يتم من خلالها الانتقال بالمجتمع من مستوى إلى أفضل بحيث يمكن من خلال ذلك إشباع كافة الاحتياجات الخاصة به، ويكون ذلك مرتبطاً بتخطيط ومتابعة من الدولة.

تعريف المشروعات :

المشروعات لغة: ش ر ع: الشريعة مشرعة الماء وهي مورد الشاربة. و الشريعة أيضاً ما شرع الله لعباده من الدين وقد شرع لهم أي سن وبابه قطع. و الشارع الطريق الأعظم. و شرع في الأمر أي خاض، وبابه خضع. وشرعت الدواب في الماء دخلت، وبابه قطع وخضع فهي شروع وشرع. وشرعها صاحبها تشريعاً. وقولهم: الناس في هذا الأمر.

واصطلاحًا: هو مجموعة من الأنشطة أو المهام المؤقتة أو قصيرة الأجل التي تسعى إلى تحقيق نتائج أو مخرجات محددة والتي عادة ما تكون عبارة عن منتج محدد أو خدمة محددة وعادة ما يكون لكل مشروع هدف واضح ومحدد يجب تنفيذه في وقت محدد من خلال فريق عمل المشروع الذي يرأسه مدير المشروع⁽⁷⁾.

(5) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط3، 341/15.

(6) العسل، إبراهيم، التنمية في الإسلام، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1416-1417هـ، ص61.

(7) انظر: <https://www.meemapss.com/term/project> تاريخ

الاطلاع 2022/8/31.

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط3، 189/9. مادة: صرف.

(2) الكاساني، بدع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، 215/5.

(3) مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، المعجم الوسيط، د.ط، 513/1.

(4) كبير حسن، إدارة التمويل الإسلامي - دراسة مقارنة بين القانون الأردني والشريعة الإسلامية، المكتب العربي للمعارف، عمان

2020، ص 19

2. دراسة إجبارة (2016) ⁽²⁾ بعنوان : دور المصارف الإسلامية في دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة في ليبيا :

هدفت الدراسة إلى التعرف على الدور الذي تلعبه المصارف الإسلامية في دعم المشروعات الصغيرة والمتوسطة ، واستعراض تجارب بعض الدول العربية في دعم هذه المشروعات ، وقد توصلت الدراسة لأهم النتائج : أن التجربة الليبية هي تجربة حديثة ، وتحتاج إلى الكثير من الدعم من أجل تطوير صيغ لتمويل إسلامي لدعم وتطوير المشروعات الصغيرة والمتوسطة .

وتتشابه هذه الدراسة مع الدراسة الماثلة في تناولها لدور المصارف الإسلامية ، إلا أنها تختلف عنها في دراسة حالة المجتمع الليبي بينما هذه الدراسة تتناول حالة المملكة العربية السعودية ، كما تختلف أيضا في تناول الأحكام الفقهية المتعلقة بالمصارف الإسلامية .

3. دراسة أبوشنب (2015) ⁽³⁾ بعنوان : دور التمويل الإسلامي في دعم المشروعات الصغيرة والمتوسطة :

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور صيغ التمويل الإسلامي في تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة ، ودعمها ، وتوسيع انتشارها ، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة : أن عددًا من صيغ التمويل

خامسًا: أهمية البحث :

تتضح أهمية للبحث في الواقع الذي نعيشه، خاصة وأن كثير من المسائل المتعلقة بالعمل المصرفي نحتاجها في واقعنا المعاصر لكثرة انتشار مسائله، كما أن المشروعات الصغيرة أصبحت ضرورة فرضها الواقع، مما يحتاج إلى بيان للأحكام الفقهية المتعلقة به، ومقارنتها بالوضع الحالي في المملكة العربية السعودية

سادسًا: الدراسات السابقة

1- دراسة هيا جميل بشارات (2016) ⁽¹⁾ بعنوان: دور المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية في تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة:

هدفت هذه الدراسة لبيان دور المؤسسات المصرفية الإسلامية في تنمية المشروعات الريادية من خلال توفير الجانب التمويلي، وتوضيح حجم التمويل الإسلامي في سوق العمل المصرفي بالمملكة الأردنية، ونسبة التمويلات الإسلامية إلى التمويلات التقليدية بالأردن، مع قياس أثر هذا التمويل في سوق العمل الأردني، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

وتتشابه هذه الدراسة مع الدراسة الماثلة في محاولتها لقياس دور القطاع المصرفي الإسلامي عبر السوق الوطني، إلا أنها تختلف عنها في عدم اقتناعها بدور هذا القطاع، كما تختلف في النطاق المكاني، حيث تتخذ من المملكة الأردنية نطاقا لها.

2016 .

(3) سامح عبدالكريم أبو شنب ، دور التمويل الإسلامي في دعم المشروعات الصغيرة والمتوسطة ، دراسة حالة الأردن ، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ، 2015 .

(1) هيا جميل بشارات، دور المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية في تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان 2016

(2) زينب حسن وإجباره ، دور المصارف الإسلامية في دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة في ليبيا ، مجلة البحوث الأكاديمية ، العدد ،

المملكة العربية السعودية وذلك في ضوء الأحكام
الفقهية والتطبيق على النظام السعودي.

حدود مكانية:

تتمثل الحدود المكانية في دراسة دور المصارف
الإسلامية في تنمية المشروعات الصغيرة في المملكة
العربية السعودية.

تاسعا : إجراءات البحث

كما التزم الباحث في بحثه بمنهجية البحث العلمي
وقواعده المتعارف عليها بين الباحثين مراعيًا ما يلي:

1. زو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها.
2. تخرج الأحاديث من مصادرها سواء من
الصحيحين أو غيرها ببيان الكتاب والباب والجزء
والصفحة ورقم الحديث إن كان المصدر مرقمًا،
ودرجته.

3. علقت على الكلمات الغريبة وتفسيرها من كتب
اللغة.

4. أخذت أقوال الفقهاء والعلماء من مصادرها القديمة
والعزو إليها.

عاشرا : هيكل البحث

المطلب الأول: الأحكام الفقهية لبعض صور التمويل
المصرفي في المملكة العربية السعودية.

الفرع الأول : التمويل العقاري.

الفرع الثاني : تمويل شراء المنقولات.

المطلب الثاني : النماذج التطبيقية لتمويل المشروعات
الصغيرة والمتوسطة.

المطلب الأول : برنامج كفالة تمويل المنشآت الصغيرة

تقدم حلولاً فعالة لتعزيز الدور الإقتصادي للمشروعات
الصغيرة والمتوسطة .

وتتشابه هذه الدراسة مع الدراسة الماثلة في تناولها
لصيغ التمويل الإسلامي كجزء من أجزاء الدراسة ، إلا
أنها تختلف عنها في بيان كل ما يتعلق بالتمويل
الإسلامي ككل من خلال دور المصارف إلى جانب
بيان الأحكام الفقهية لهذا التمويل إلى جانب تطبيق
هذه الدراسة على المملكة العربية السعودية

سابعاً: منهج البحث :

اتبعت هذه الدراسة عدد من المناهج، وكان منها
المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع المسائل والقضايا
ودراساتها حتى أقف من خلال ذلك على الحكم
الفقهي فيها.

كما اتبعت الدراسة المنهج التحليلي، وذلك من خلال
تحليل ودراسة الأقوال الفقهية الواردة في ذلك، ودراسة
قواعد العمل المصرفي في المصارف الإسلامية، ووصفها
وتحليلها، وتوضيح ماهية الأحكام الفقهية في العمل
المصرفي، وخاصة في الاتجاه التمويلي، وتطبيق هذه
الدراسة على النظام السعودي لاستخلاص مدى
تطابقه مع القواعد الفقهية، وأثر ذلك على الدور
المصرفي في دعم وتنمية المشروعات الصغيرة.

ثامناً: حدود البحث :

تتمثل حدود البحث فيما يلي:

حدود موضوعية:

تتمثل الحدود الموضوعية للدراسة في تناولها دور
المصارف الإسلامية في تنمية المشروعات الصغيرة في

1- إن التمويل العقاري يوفر فرص التمويل معتدل المخاطر للقطاعي التجاري والأفراد؛ بسبب القوة الأتمانية للعقار، إذ أصبح أنفُس وأوثق ما يقدمه طالب التمويل توثيقاً للمبالغ التي يُحصل عليها.

2- زيادة الطلب على هذا النوع من التمويل نظراً للنمو السكاني الحاصل في العالم.

3- ارتفاع العوائد الربحية من النشاطات العقارية من استثمارات ومساهمات ونحو ذلك.

4- تحول العقار من أن يكون وسيلة للسكن فقط إلى أن أصبح مهنة يتم الاتجار بها، بل تؤسس شركات كبرى للمتاجرة به.

5- يعطي العقار أمناً تجارياً لأصحابه تحقيقاً للمقولة المشهورة (العقار يمرض ولا يموت) حتى أصبح المقياس للشراء المادي بحسب ما عند الشخص من عقارات.

صيغ التمويل العقاري في المصارف وشركات التمويل:

الصيغة الأولى: المرابحة.

هي عملية تبادل يقوم بمقتضاها التاجر بشراء سلعة معينة ثم بيعها بعد ذلك بهامش ربح متفق عليه نتيجة التكلفة التي يتحملها، ويستخدم هذا الأسلوب عند حاجة المشروع لشراء سلعة معينة مثل الآلات وغيرها من المعدات اللازمة لبدء النشاط، ولا يستخدم في الحصول على الأموال لأغراض أخرى بخلاف

والمتوسطة.

المطلب الثاني : دور صندوق التنمية الصناعية السعودي.

المطلب الأول : الأحكام الفقهية لبعض صور التمويل المصرفي في المملكة العربية السعودية.

الفرع الأول : التمويل العقاري.

تعريف التمويل:

مصدر للفعل المضعف مول يمول تمويلاً، و"ملت تمال وملت وتمولت، واستملت: كثر مالك، وموله غيره، ورجل مال وميل ومول: كثيرة، وهم ماله ومالون، وهي ماله أيضاً ومالات، وملته، بالضم: أعطيته المال"⁽¹⁾.

و"الميم والواو واللام، كلمة واحدة، هي تمول الرجل: اتخذ مالا ومال يمال: كثر ماله"⁽²⁾.

وقول تعني كذلك إذا صار ذا مال، وموله غيره تمويلاً⁽³⁾.

وقد ذكر الاقتصاديون والماليون عدة تعريفات للتمويل، وغالباً هذه التعريفات متشابهة المضمون، وتدور حول معنى واحد وهو "الإمداد بالأموال في أقوات الحاجة إليها"⁽⁴⁾.

التمويل العقاري في المصارف وشركات التمويل:

التمويل العقاري يعتبر واحداً من أهم برامج التمويل في المصارف وشركات التمويل، وذلك لعدة أسباب أهمها⁽⁵⁾:

(1) القاموس المحيط، مادة المال، (1/1059).

(2) معجم مقاييس اللغة، مادة مول: (5/285).

(3) انظر: الصحاح، مادة مول، (4/1822).

(4) طارق الحاج، مبادئ التمويل، ص 21.

(5) انظر: عرار الياقوت، التمويل العقاري، بحث تكميلي للحصول

على درجة الماجستير في الحقوق من جامعة الجزائر، ص 11.

بالاستصناع. وبهذا تتسع مجالات استخدام صيغة الاستصناع في الاقتصاد المعاصر، فالاستصناع يطبق في مجالات عديدة ويكون بديلاً شرعياً للتمويل بالفائدة في كثير من المجالات التي يحتاج فيها إلى تمويل المشروعات الصناعية، وذلك عن طريق تمويل المنتجين والصناع بما يحتاجون إليه من أموال في صورة أثمان لمنتجاتهم⁽²⁾.

الصيغة الثالثة: الإجارة المنتهية بالتملك.

الإجارة من الناحية الشرعية هي عقد لازم على منفعة مقصودة قابلة للبدل والإباحة لمدة معلومة بعوض معلوم، وبذلك فهي عملية يتم بمقتضاها نقل حق الانتفاع بملكية معينة من شخص قد تكون (شركة متخصصة في تأجير الأصول اللازمة للمشروعات الصغيرة) إلى شخص آخر (المشروع الصغير) مقابل إيجار متفق عليه، وبمعنى آخر فإن الإجارة تعني إعطاء حق الانتفاع على أصل معين وليس المقصود إعطاءه مقابل للمجهود الإنساني وتبدو السمة المميزة لهذا النوع من المعاملات في الاحتفاظ بملكية الأصول حتى يمكن تأجيرها عندما تنتهي مدة الإجارة السابقة وذلك لضمان عدم بقاء الأصول عاطلة لفترة طويلة وذلك من ناحية الشركة المؤجرة، وتسهيل الحصول على الآلات والمعدات اللازمة للمشروع الصغير وعدم تحميله مبالغ تفوق إمكانياته وخاصة في بداية ممارسته

شراء السلعة مثل دفع المرتبات وتسوية الفواتير أو أية التزامات أخرى؛ كما يشترط أيضاً أن يقوم التاجر أو الشركة أو البنك التي يتفق معها المشروع الصغير بشراء وتملك السلعة فعلياً حتى تتحمل المخاطرة الناتجة عن امتلاك السلعة وبعد ذلك يتم بيعها للعميل خلال عملية صحيحة.⁽¹⁾

الصيغة الثانية: الاستصناع.

الاستصناع هو الذي يتم فيه تبادل السلعة قبل تواجدها. ويعرف الاستصناع بأنه عقد مع صانع على عمل شيء معين في الذمة وهو من عقود البيوع. ويعني أن يطلب من الصانع تصنيع سلعة معينة وإذا قام بصنع السلعة المطلوبة وتسليمها تتم حالة بيع الاستصناع. ولكن من الضروري لاتمام هذا البيع أن يكون السعر محددًا وباتفاق الطرفين وتكون مواصفات السلعة مطابقة لما تم الاتفاق عليه بينهما. وقد ذهب الحنفية إلى جواز عقد "الاستصناع" استحساناً كما ذهب إلى جواز التعامل بعقد الاستصناع أيضاً مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر. ومحل عقد الاستصناع هو الأشياء والسلع التي يدخلها التصنيع في أي مرحلة من مراحل إنتاجها. فهو يمكن تطبيقه على كل ما دخلت فيه الصناعة سواء أقام بذلك الصانع بيده أم قامت به الآلات في المصانع بشرط أن تتوافر الشروط الخاصة

(2) انظر: أشرف محمد دوابة، تمويل المشروعات الصغيرة بالاستصناع

متاح في www.drdawaba.com

(1) انظر: أحمد جابر بدران، التمويل بالمراجعة في المصارف الإسلامية،

والصيغة المستحدثة المواعدة المنتهية بالبيع، رسائل بنك الكويت

الصناعي، رقم 81 الكويت، نوفمبر 2005.

الصيغة الرابعة: الإجارة الموصوفة في الذمة المنتهية بالتملك.

- الأجرة يجب أن تكون معلومة قدرًا وصفة إذا كانت متعلقة بالذمة: يشترط العلم بقدر الأجرة ووصفها إذا كانت في الذمة كالثمن في الذمة؛ فلو قال: اعمل كذا لأرضيك أو أعطيك شيئًا وما أشبهه فسد العقد، وإذا عمل استحق أجرة المثل، ولو استأجره بنفقته أو كسوته فسد⁽³⁾

- يجوز أن تكون الأجرة من غير النقود: جاء في شرح البهجة الوردية «ولو استأجره بقدر من الحنطة أو الشعير وضبطه ضبط السلم جاز، ولو استأجره بأرطال خبز، بني على جواز السلم في الخبز. ولو آجر الدار بعمارته أو الدابة بعلفها أو الأرض بخراجها ومؤنتها أو بدراهم معلومة على أن يعمرها ولا يحسب ما أنفق من الأجرة لم يصح، ولو أجرها بدراهم معلومة على أن يصرفها إلى العمارة لم يصح، لأن الأجرة الدراهم مع الصرف على العمارة، وذلك عمل مجهول، ثم إذا صرفها في العمارة رجع بها⁽⁴⁾.

- لا يكون الأجير فيها إلا آدميًا: وإن كانت على عمل موصوف في الذمة، فيكون كالسلم، أي: لا بد أن يكون مضبوطًا بصفات السلم ليحصل العلم به (ولا يكون الأجير فيها إلا آدميًا) لأنها متعلقة بالذمة، ولا ذمة لغير الآدمي (جائز التصرف) لأنها

لللشاط. وتستخدم صيغة الإجارة بالمصارف الإسلامية تحت مسمى " التأجير مع الوعد بالتملك" وذلك تطبيقًا لقرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم ١١٠ الصادر في دورته الثانية عشر التي عقدت في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٣ / ٢٨ / سبتمبر / ٢٠٠٠ والذي ينص على ضرورة الفصل بين عقد التأجير وبين عقد التملك حيث إن لكل عقد حقوق والتزامات لدى الأطراف تختلف باختلاف العقدین بحيث يتم أولاً توقيع عقد الإجارة وفي نهاية مدة التأجير يتم توقيع عقد البيع وانتقال الملكية للعميل⁽¹⁾.

الضوابط الشرعية للإيجار المنتهي بالتملك.

- أنه يجب أن تكون السلعة المتفق على إيجارها أو بيعها مملوكة للمؤجر أو للبائع وقت التعاقد.

- أنه يجب أن تكون مقبوضة - ويكفي في مثل هذه السلع التي تأخذ حكم العقار "في كونها يؤمن فيها الهلاك غالباً - إنما يكون قبضها بالتخلية بين المبيع والمشتري بحيث يتمكن من الانتفاع به والتصرف فيه .

- أنه يجوز أن يجتمع عقد الإيجار مع عقد البيع على رأي المالكية والحنابلة و الشافعية (إذا كانت صفقة واحدة) ، وحينئذ يراعى تطبيق أحكام كل عقد عليه⁽²⁾ .

القناع، 3/ 571.

(3) انظر: الغمراوي ، السراج الوهاج على متن المنهاج ، 1/294.

(4) انظر: زكريا الأنصاري، شرح البهجة الوردية، 2/206.

(1) انظر: البلتاجي، محمد، صيغ التمويل في المصارف الإسلامية، متاح

في www.bltagi.com/files

(2) انظر: الشربيني، مغني المحتاج، ج2، ص41-42. البهوتي: كشاف

أن يكون إحلال هذا الشريك محل المصرف بعقد مستقل يتم بعد إتمام التعاقد الخاص بعملية المشاركة بحيث يكون للشريكين حرية كاملة في التصرف ببيع حصته لشريكه أو لغيره.

-الصورة الثانية: أن يتفق المصرف مع الشريك على المشاركة في التمويل الكلي أو الجزئي لمشروع ذي دخل متوقع وذلك على أساس اتفاق المصرف مع الشريك الآخر لحصول المصرف على حصة نسبية من صافي الدخل المحقق فعلاً لتسديد الأصل مع حقه بالاحتفاظ بالجزء المتبقي من الإيراد أو أي قدر منه يتفق عليه وعندما يقوم الشريك بتسديد ذلك التمويل، تؤول الملكية له وحده.

الصورة الثالثة: يحدد نصيب كل شريك حصص أو أسهم يكون له منها قيمة معينة ويمثل مجموعها إجمالي قيمة معينة ويمثل مجموعها إجمالي قيمة المشروع أو العملية وللشريك إذا شاء أن يقتني من هذه الأسهم المملوكة للمصرف بحيث تتناقص أسهم المصرف بمقدار ما تزيد أسهم الشريك إلى أن يمتلك كامل الأسهم فتصبح ملكيته معينة كاملاً.⁽³⁾

الصيغة السادسة: الاستثمار المشترك.
تعرف المشاركة بأنها الاشتراك بين شخصين أو أكثر في استثمار مال معين أو أموال معينة وذلك من أجل

معاوضة لعمل في الذمة، فلم يجز من غير جائز التصرف (ويسمى الأجير المشترك) لأنه يتقبل أعمالاً لجماعة، فتكون منفعته مشتركة بينهم⁽¹⁾.

وفي التمويل الإسلامي أن محل العقد هنا هو ليس منفعة الأرض، وإنما هو منفعة العين الموصوفة في الذمة التي ستقام على الأرض المعينة، لذلك فإن القول السليم بأن المنفعة المتعاقد عليها موصوفة في ذمة المؤجر وليست معينة⁽²⁾

وذلك مثل استصناع عين موصوفة في الذمة على أرض معينة، وهذه الصيغة هي مثل قول القائل: أسلمتك في كذا وكذا من تمر عجوة المدينة أستوفيه منك بعد كذا وكذا في أرضك الفلانية، وليست كقول القائل: أسلمتك في تمر برحي من حائطك الفلاني.

الصيغة الخامسة: المشاركة المتناقصة المنتهية بالتملك.

المشاركة المتناقصة أو المنتهية بالتملك، فهي التي يعطى فيها أحد الشركاء الحق للآخر في شراء حصته تدريجياً بحيث تتناقص حصته وتزيد حصة الآخر إلى أن ينفرد بملكية كامل رأس مال المشروع.

ومن صور المشاركة المتناقصة المنتهية بالتملك بالمصارف الإسلامية

الصورة الأولى: أن يتفق المصرف مع الشريك على

الشرعية(1)، ط. 2008، 1، ص 171-172.

(3) انظر: برنامج أساليب الاستثمار الإسلامي في المجالات المصرفية، والتجارية، ص 73،

www.mcca.com.au/docs/Sharia%20Info.doc

(1) انظر: ابن مفلح، محمد بن عبد الله، المبدع شرح المقنع، 84/6.

(2) انظر: ميرة، حامد، صكوك الإجارة - دراسة فقهية تأصيلية تطبيقية، دار الميمان للنشر والتوزيع، بنك البلاد، سلسلة مطبوعات المجموعة

العنان هو عائد رأس المال والعمل، والعمل مما يجوز التفاوت فيه فقد يكون أحد الشركات أبصر بالتجارة من غيره⁽¹⁾.

الفرع الثاني : تمويل شراء المنقولات.

أصبحت البنوك الإسلامية حقيقة واقعة، واتجهت الأنظار إليها وخاصة بعد الأزمة المالية العالمية، وهي تزداد قوة وانتشاراً مع مرور الأيام، وتشهد تقدماً ونجاحاً - والحمد لله - معتمدة على أسس وقواعد وضعها عدد كبير من علماء المسلمين في هذا العصر، من خلال دراسات وأبحاث ومجامع علمية وفقهية ومن خلال مؤتمرات علمية يشارك فيها خبراء في الاقتصاد بجانب علماء الشريعة، كما أن لكل بنك إسلامي هيئة للرقابة الشرعية، مؤلفة من أهل الخبرة والاختصاص الشرعيين والاقتصاديين لمراقبة أعمال البنك، تتولى التوجيه والإرشاد والتدقيق، ومع ذلك فلا أقول دائماً إن البنوك الإسلامية حالها كحال الناس تماماً فكما أنك تجد في أفراد المسلمين من هو ملتزم تماماً بالحكم الشرعي، وتجد فيهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فكذلك البنوك الإسلامية، تجد بعضها لديه التزام عال بالمنهج الشرعي، وبعضها يخلط الخطأ بالصواب، وإن وجود الأخطاء في التطبيق لدى البنوك الإسلامية، لا يعني بحال من الأحوال أن الخطأ في الفكرة والقواعد التي تسير عليها البنوك الإسلامية، ولكن وجود الأخطاء من العاملين أمر عادي جداً،

اقتسام وتوزيع الأرباح أو الخسائر الناشئة عن القيام بعمل أو أعمال محددة. ويختلف نظام المشاركة عن المضاربة في أن رأس المال يتم تقديمه من جميع المشتركين في الاتفاق، بينما يقتصر الأمر في المضاربة على تقديم المال من جانب شخص معين وهو رب العمل ليقوم بالعمل شخص آخر هو المضارب بعمله ولقد وضع الفقهاء مجموعة من القواعد التي تضبط التمويل عن طريق المشاركة.

1. أن يكون رأس المال من النقود والأثمان وأجاز بعض الفقهاء أن يكون عروضاً
2. أن يكون رأي المال معلوماً وموجوداً يمكن التصرف فيه.

3. لا يشترط تساوي رأس مال كل شريك بل يمكن أن تتفاوت الحصص.

4. يكون الربح بينهم على حسب ما اشترطوا بنسبة شائعة معلومة.

5. يكون توزيع الخسارة حسب نسبة رأس مال كل شريك فقط.

6. يجوز أن ينفرد أحد الشركاء بالعمل ويشتركوا في الربح بنسبة متساوية، كما يجوز أن يختلفوا في الربح برغم تساويهم في المال.

7. في حالة عمل جميع الشركاء في إدارة الشركة، يجوز أن تكون حصص بعضهم في الربح أكبر من نسبة حصصهم في رأس المال نظراً لأن الربح في شركات

مع دول الكويت ودول أخرى، ص 81-82.

(1) انظر: جلال وفاء البدرى محمد، البنوك الإسلامية، دراسة مقارنة

بجانب علماء الشريعة، كما أن لكل بنك إسلامي هيئة للرقابة الشرعية، مؤلفة من أهل الخبرة والاختصاص الشرعيين والاقتصاديين لمراقبة أعمال البنك، تتولى التوجيه والإرشاد والتدقيق، ومع ذلك فلا ينبغي أن يقال دائماً إن البنوك الإسلامية حالها كحال الناس تماماً فكما أنك تجد في أفراد المسلمين من هو ملتزم تماماً بالحكم الشرعي، وتجد فيهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فكذلك البنوك الإسلامية، تجد بعضها لديه التزام عالٍ بالمنهج الشرعي، وبعضها يخلط الخطأ بالصواب، وإن وجود الأخطاء في التطبيق لدى البنوك الإسلامية، لا يعني بحال من الأحوال أن الخطأ في الفكرة والقواعد التي تسير عليها البنوك الإسلامية، ولكن وجود الأخطاء من العاملين أمر عادي جداً، فالذي لا يعمل هو الذي لا يخطئ، أما الذي يعمل فلا بد أن يقع منه الخطأ. والفكرة الأساسية التي تقوم عليها البنوك الإسلامية هي البعد عن الربا في جميع معاملاتها أخذاً وإعطاءً، وهذا بناءً على أن البنوك الإسلامية هي البديل الشرعي للبنوك الربوية، وبما أن البنوك الإسلامية تسعى لإيجاد البدائل الشرعية للمعاملات الربوية، فكان عقد المراجعة المركبة أحد هذه البدائل المشروعة، وهو في الحقيقة تطوير لعقد المراجعة المعروف عند الفقهاء المتقدمين، وهو عند الفقهاء يبيع بمثل الثمن الأول مع زيادة ربح. وصورة بيع المراجعة المركبة المستعملة الآن في البنوك والمؤسسات الإسلامية هي أن يتفق الأمر بالشراء والبنك على أن يقوم الأمر بالشراء بشراء البضاعة بربح معلوم بعد شراء البنك لها على أن يدفع الثمن مقسطاً، وهذه الصورة هي المسماة ببيع المراجعة للأمر بالشراء، وقد قامت الأدلة الكثيرة على جواز هذا العقد على الراجح من أقوال فقهاء العصر، ومن المعلوم عند الفقهاء أن الأصل في باب المعاملات هو الإباحة، وبناءً على ذلك فإن بيع المراجعة من البيوع الجائزة شرعاً ولا كراهة فيه.

فالذي لا يعمل هو الذي لا يخطئ، أما الذي يعمل فلا بد أن يقع منه الخطأ. والفكرة الأساسية التي تقوم عليها البنوك الإسلامية هي البعد عن الربا في جميع معاملاتها أخذاً وإعطاءً، وهذا بناءً على أن البنوك الإسلامية هي البديل الشرعي للبنوك الربوية، وبما أن البنوك الإسلامية تسعى لإيجاد البدائل الشرعية للمعاملات الربوية، فكان عقد المراجعة المركبة أحد هذه البدائل المشروعة، وهو في الحقيقة تطوير لعقد المراجعة المعروف عند الفقهاء المتقدمين، وهو عند الفقهاء يبيع بمثل الثمن الأول مع زيادة ربح. وصورة بيع المراجعة المركبة المستعملة الآن في البنوك والمؤسسات الإسلامية هي أن يتفق الأمر بالشراء والبنك على أن يقوم الأمر بالشراء بشراء البضاعة بربح معلوم بعد شراء البنك لها على أن يدفع الثمن مقسطاً، وهذه الصورة هي المسماة ببيع المراجعة للأمر بالشراء، وقد قامت الأدلة الكثيرة على جواز هذا العقد على الراجح من أقوال فقهاء العصر، ومن المعلوم عند الفقهاء أن الأصل في باب المعاملات هو الإباحة، وبناءً على ذلك فإن بيع المراجعة من البيوع الجائزة شرعاً ولا كراهة فيه.

فأصبحت البنوك الإسلامية حقيقة واقعة، واتجهت الأنظار إليها وخاصةً بعد الأزمة المالية العالمية، وهي تزداد قوة وانتشاراً مع مرور الأيام، وتشهد تقدماً ونجاحاً - والحمد لله - معتمدةً على أسس وقواعد وضعها عدد كبير من علماء المسلمين في هذا العصر، من خلال دراسات وأبحاث ومجامع علمية وفقهية ومن خلال مؤتمرات علمية يشارك فيها خبراء في الاقتصاد

وهو المطبق في أغلب البنوك الإسلامية الآن. وحتى يتم عقد المراجعة بطريقة شرعية صحيحة لا بد من تنفيذه وفق الإجراءات الآتية :

أولاً: تقديم طلب الشراء إلى البنك من الأمر بالشراء يوضح فيه رغبته في شراء سلعة معينة وبمواصفات محددة معروفة على أن يبيعها المصرف للأمر بالشراء مراجعة لأجل محدد معلوم. ويحرر الأمر بالشراء نموذجاً يسمى طلب شراء مراجعة، ويذكر فيه مواصفات السلعة المطلوب شرائها ومصدر شرائها والتمن الأصلي لهذه السلعة .

ثانياً: يقوم البنك بدراسة الطلب من كافة الجوانب .

ثالثاً: تحرير الوعد بالشراء وسداد مبلغ ضمان الجدية .

رابعاً: الاتصال بالمورد (البائع) والتعاقد معه على الشراء باسم البنك وعلى مسؤوليته ثم حيازة الشيء المشتري (البضاعة) بأي وسيلة حسب الأعراف السائدة (حيازة فعلية أو حكمية) . وبهذه الخطوة يكون البنك قد تملك السلعة وحازها وبذلك يمكن التصرف فيها بالبيع للأمر بالشراء.

خامساً: إبرام عقد البيع مع الأمر بالشراء مستوفياً الأركان والشروط .

سادساً: تسليم الشيء (البضاعة) للأمر بالشراء حسب المكان المتفق عليه⁽²⁾

وبذلك يتضح لنا أي تمويلاً لشراء نفقات يكون على سائر وفقاً لطريقة البنوك الإسلامية وهي ما تلتزم به

(2) انظر: حسام عفانة، فتاوى، د.ط، 12/12، 1431هـ.

على أن يدفع الثمن مقسماً، وهذه الصورة هي المسماة ببيع المراجعة للأمر بالشراء، وقد قامت الأدلة الكثيرة على جواز هذا العقد على الراجح من أقوال فقهاء العصر، ومن المعلوم عند الفقهاء أن الأصل في باب المعاملات هو الإباحة، وبناءً على ذلك فإن بيع المراجعة من البيوع الجائزة شرعاً ولا كراهة فيه⁽¹⁾.

وعقد المراجعة للأمر بالشراء له شروطه وضوابطه الشرعية التي أقرتها المجامع الفقهية وهيئات الرقابة الشرعية في البنوك الإسلامية، وتتمثل شروطه فيما يلي:

1- أن يكون الثمن الأول (التمن الأصلي) معلوماً للمشتري.

2- أن يكون الربح معلوماً للمشتري والبائع.

3- ألا يكون الثمن من جنس السلعة المباعة حتى لا يكون هناك ربا.

4- أن يكون عقد البيع صحيحاً مستوفياً الأركان والشروط ومن ضمن ذلك أن تكون السلعة متقومة شرعاً.

5- أن تكون السلعة مملوكة ملكية تامة للبائع (البنك)

6- أن تكون السلعة في حوزة البائع (البنك) فعلاً أو حكماً.

7- أن تكون السلعة معلومة ومحددة المواصفات.

وهناك خلاف فقهي حول الوعد بالشراء هل هو ملزم أم لا؟ والراجح أنه ملزم في مجال المعاملات المالية

(1) انظر: حسام عفانة، فتاوى، د.ط، 12/12، 1431هـ.

الصغيرة والمتوسطة التي لم تعتمد على التعامل مع جهات التمويل وذلك لتنمية وتطوير قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة لتحقيق دورها الهام في الاقتصاد الوطني من خلال مساهمتها في توفير فرص عمل جديدة، وتنمية المحافظات الأقل نشاطاً اقتصادياً.

رؤية البرنامج :-

أن يصبح برنامج كفالة الرائد في مجال ضمان مخاطر التمويل في المملكة ومن أكبر برامج ضمان المخاطر التمويل في منطقة الشرق الأوسط،

رسالة البرنامج:-

تسهيل وتيسير حصول أصحاب المنشآت الصغيرة والمتوسطة على التمويل اللازم من البنوك التجارية وجهات التمويل المختلفة بغض النظر عن معيار الضمانات التقليدية، وتقديم منتجات وخدمات بجودة وكفاءة تتناسب مع احتياجات قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة لكافة القطاعات وفي مختلف مناطق المملكة.

نبذة تاريخية عن البرنامج:

إنفاذاً للأمر السامي رقم (7/ب/510) وتاريخ 1422/01/23هـ القاضي بالموافقة على الاقتراح بوضع برنامج متكامل يُعنى بتفعيل دور المنشآت الصغيرة والمتوسطة لما لها من آثار إيجابية على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي فقد صدر قرار معالي وزير المالية رقم (1166)

المملكة العربية السعودية، وخلاف ذلك هو ما يكون وافقاً لعمل البنوك الربوية وهي بعيداً عن ذلك ولا تعمل به فإن الفرق بين شراء سيارة من البنوك الإسلامية وبين شرائها عن طريق البنوك التجارية هو الفرق بين الحلال والحرام، وهو ذاته الفرق بين الربح والربا، ويجب أن يعلم أن البنوك الربوية التجارية لا تبيع ولا تشتري حقيقة، وإنما تقوم العملية تمويلًا ربويًا.

المطلب الثاني : النماذج التطبيقية لتمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة.

الفرع الأول : برنامج كفالة تمويل المنشآت الصغيرة والمتوسطة⁽¹⁾.

نشأة البرنامج وأهدافه :-

تأسس برنامج كفالة تمويل المنشآت الصغيرة والمتوسطة بموجب قرار معالي وزير المالية رقم (1166) بتاريخ 1425/05/04هـ . بهدف التغلب على معوقات تمويل المنشآت الصغيرة والمتوسطة المحلية اقتصادياً والتي لا تملك القدرة على تقديم الضمانات المطلوبة لجهات التمويل.

ويهدف البرنامج إلى مساعدة المنشآت الصغيرة والمتوسطة في الحصول على التمويل الإسلامي اللازم لتطوير وتوسيع أنشطتها، وتشجيع المؤسسات المالية على التعامل مع قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة، إضافة إلى جذب شريحة جديدة من أصحاب المنشآت

(1) انظر:

<https://www.kafalah.gov.sa/About/Pages/default.aspx>

التمويل، بهدف تحفيز جهات التمويل ومشاركة الجهات بأحدث البرامج والمنتجات والوقوف على أبرز التحديات، وذلك لتعزيز أوجه التعاون مع البنوك وشركات التمويل والجهات ذات العلاقة، لتحفيزهم على تقديم التمويل للمنشآت الصغيرة والمتوسطة.

ويُتّمن منظومة بنك المنشآت أن اللقاء سيدعم أصحاب المنشآت الصغيرة والمتوسطة من رواد ورائدات الأعمال السعوديين لزيادة عدد المنشآت ورفع مساهمتها في الناتج المحلي من 21% إلى 35% بحلول 2030 ورفع نسبة التوطين من خلال توفير فرص وظيفية أكثر مما يسهم في نمو اقتصاد الوطن وتحقيق مستهدفات رؤية المملكة 2030.

وأطلق برنامج ضمان التمويل "كفالة" منتج قطاع الاستشارات بدعم من بنك المنشآت وبالتعاون مع هيئة المحتوى المحلي، ومنتج القطاع الصناعي بالتعاون مع برنامج تطوير الصناعة الوطنية والخدمات اللوجستية، وذلك لدعم وتوسع أصحاب المنشآت الصغيرة والمتوسطة من القطاعات المختلفة.

يذكر أن بنك المنشآت يهدف إلى زيادة إجمالي محفظة القروض للقطاع المالي وسد الفجوة التمويلية، وتعزيز مساهمة المؤسسات المالية في تقديم حلول تمويلية مبتكرة، وتحقيق الاستقرار المالي لهذا القطاع الحيوي المهم ليكون ركيزة أساسية للتنمية الاقتصادية في المملكة وممكنًا لتحقيق رؤية 2030م.

كما يسعى برنامج ضمان التمويل "كفالة" إلى دعم المنشآت متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة التي تسهم

وتاريخ 1425/05/04هـ بالموافقة على القواعد التنظيمية لبرنامج كفالة تمويل المنشآت الصغيرة والمتوسطة بحيث يتولى صندوق التنمية الصناعية السعودي مسؤولية إدارة هذا البرنامج، كمبادرة تنموية مشتركة بين وزارة المالية والبنوك التجارية المتعاونة مع البرنامج. ويهدف البرنامج إلى التغلب على معوقات تمويل المنشآت الصغيرة والمتوسطة التي تمتلك مقومات النجاح ولكنها لا تمتلك الضمانات اللازمة للحصول على التمويل، وذلك من خلال تغطية نسبة من مخاطر الجهة الممولة في حالة إخفاق النشاط المكفول عن سداد التمويل أو جزء منه ولتشجيع المصارف والبنوك على تمويل تلك النوعية من المنشآت.

التوظيف في البرنامج:

قام برنامج كفالة ويعتمد في نجاحاته وخططه على استقطاب الكفاءات الجادة وتدريبهم وتنمية مهاراتهم وتوفير بيئة عمل متميزة ومحفزة، وتختلف التعويضات المادية والامتيازات باختلاف الوظائف الشاغرة ومتطلباتها وكذلك باختلاف مؤهلات وخبرات المتقدمين لإشغالها.

بنك المنشآت الصغيرة والمتوسطة وبرنامج ضمان التمويل "كفالة" يقيم اللقاء السنوي لشركاء النجاح لمنظومة التمويل في المملكة

أقام برنامج ضمان التمويل "كفالة"، اللقاء السنوي لشركاء النجاح، بالتعاون مع بنك المنشآت الصغيرة والمتوسطة، واستضاف اللقاء الجهات الحكومية الداعمة وجهات التمويل من البنوك التجارية وشركات

والخدمات الإدارية والمهنية والقطاعات الاستراتيجية

- دعم التوظيف والمساهمة في تحقيق رؤية 2030

آلية الاستفادة:

يحق للمنشآت المستفيدة من المبادرات الحصول على التمويل اللازم من المؤسسات التمويلية البنكية والغير بنكية المرخصة من قبل مؤسسة النقد العربي السعودي والمشاركة مع برنامج كفالة وتتولى الجهات التمويلية طلب الكفالات اللازمة لتغطية مخاطر التمويل عبر مبادرات برنامج كفالة سقف قيمة التمويل :

2.5 مليون ريال للمنشآت متناعية الصغر

5 مليون ريال للمنشآت الصغيرة

15 مليون ريال للمنشآت المتوسطة

الجهة المنفذة للمبادرة: برنامج كفالة ضمان التمويل للمنشآت الصغيرة والمتوسطة "كفالة" شركاء المبادرة: صندوق التنمية الوطني السعودي ، الهيئة العامة للمنشآت الصغيرة والمتوسطة "منشآت" فترة التطبيق: مارس 2020 الى مارس 2021

(2) **اسم المبادرة:** (التقليل من اشتراطات مبادرة دعم المنشآت سلاسل الامداد) وصف المبادرة: تعزيز ضمانات كفالة لدعم تمويل أنشطة سلاسل الامداد القطاعات المستهدفة: منشآت الصغيرة والمتوسطة في أنشطة سلاسل الامداد وقطاع الخدمات اللوجستية

في تعزيز الاقتصاد الوطني، من خلال تقديم الضمانات المالية لتعزيز فرصة حصول المنشآت على التمويل اللازم لغرض تخفيض مخاطر الإقراض التي تتحملها جهات التمويل. عبر شراكات إستراتيجية، وأدوات تقنية مبتكرة ومدعومة بقواعد البرنامج المعرفية، ويأتي ذلك بالتكامل مع بنك المنشآت الصغيرة والمتوسطة والتي ستدعم التوسع في تمويل المنشآت الصغيرة والمتوسطة⁽¹⁾.

المبادرات لمواجهة الآثار الاقتصادية لفيروس (كوفيد-19)

(1) **اسم المبادرة:** (دعم المنشآت ذات السعودة المرتفعة)

وصف المبادرة: دعم ضمان التمويل لرأس المال العامل للمنشآت الصغيرة ذات نسب السعودة الخضراء الى البلايني بهدف الحفاظ على الوظائف السعودية ودعم المنشآت في القطاعات تجارة الجملة والتجزئة ، والخدمات الادارية والمهنية والقطاعات الاستراتيجية القطاعات المستهدفة: المنشآت في جميع القطاعات

هدف المبادرة:

- دعم قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة لمواجهة الآثار الاقتصادية لفيروس كورونا (كوفيد-19)
- دعم المنشآت ذات نسب السعودة المرتفعة (الخضراء - البلايني) بهدف الحفاظ على الوظائف السعودية في القطاعات تجارة الجملة والتجزئة ،

(1) انظر:

<https://www.kafalah.gov.sa/ar/MediaCenter/News/Pages/tast.aspx>

والتخزين.

هدف المبادرة:

آلية الاستفادة: يحق للمنشآت المستفيدة من المبادرات الحصول على التمويل اللازم من المؤسسات التمويلية البنكية والغير بنكية المرخصة من قبل مؤسسة النقد العربي السعودي والمشاركة مع برنامج كفالة وتتولى الجهات التمويلية طلب الكفالات اللازمة لتغطية مخاطر التمويل عبر مبادرات برنامج كفالة .

سقف قيمة التمويل :

2.5 مليون ريال للمنشآت متناعية الصغر

5 مليون ريال للمنشآت الصغيرة

15 مليون ريال للمنشآت المتوسطة

الجهة المنفذة للمبادرة: برنامج كفالة ضمان التمويل للمنشآت الصغيرة والمتوسطة "كفالة" شركاء المبادرة: صندوق التنمية الوطني السعودي ، الهيئة العامة للمنشآت الصغيرة والمتوسطة "منشآت" فترة التطبيق: مارس 2020 الى مارس 2021

(3) **اسم المبادرة:** (التقليل من اشتراطات مبادرة دعم المنشآت الحج والعمرة)

وصف المبادرة: إطلاق برنامج ضمانات كفالة لدعم أنشطة وخدمات الحج والعمرة القطاعات المستهدفة: جميع المنشآت متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة في القطاع الخدمي (الحج والعمرة).

هدف المبادرة :

دعم قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة لمواجهة الاثار

الاقتصادية لفيروس كورونا (كوفيد-19)

دعم أنشطة وخدمات الحج والعمرة.

دعم التوظيف والمساهمة في تحقيق رؤية 2030 .

آلية الاستفادة: يحق للمنشآت المستفيدة من المبادرات الحصول على التمويل اللازم من المؤسسات التمويلية البنكية والغير بنكية المرخصة من قبل مؤسسة النقد العربي السعودي والمشاركة مع برنامج كفالة وتتولى الجهات التمويلية طلب الكفالات اللازمة لتغطية مخاطر التمويل عبر مبادرات برنامج كفالة.

سقف قيمة التمويل :

2.5 مليون ريال للمنشآت متناعية الصغر

5 مليون ريال للمنشآت الصغيرة

15 مليون ريال للمنشآت المتوسطة

الجهة المنفذة للمبادرة: برنامج كفالة ضمان التمويل للمنشآت الصغيرة والمتوسطة "كفالة" شركاء المبادرة: صندوق التنمية الوطني السعودي ، الهيئة العامة للمنشآت الصغيرة والمتوسطة "منشآت" فترة التطبيق: مارس 2020 الى مارس 2021.

(4) **اسم المبادرة:** (التقليل من اشتراطات مبادرة المنشآت العلمية و المدارس)

وصف المبادرة: إطلاق برنامج جديد ضمانات كفالة لدعم الأنشطة العلمية والمدارس.

القطاعات المستهدفة: منشآت متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة في قطاع التعليم هدف المبادرة: دعم قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة لمواجهة الاثار الاقتصادية

لفيروس كورونا (كوفيد-19)

الاقتصادية لـ فيروس كورونا (كوفيد-19)
دعم التوظيف والمساهمة في تحقيق رؤية 2030
آلية الاستفادة:

المنشأة تقدم بطلب التمويل من إحدى جهات التمويل
المتعاونة مع البرنامج.

جهات التمويل تدرس طلب المنشأة للتمويل وفي حال
حاجة جهى التمويل إلى ضمانات لتغطية المخاطر
يحول الى برنامج كفالة لدراسة طلب الكفالة.

يقوم برنامج كفالة بدراسة الطلب وفي حال موافقة
البرنامج يتم إصدار كفالة لصالح جهة التمويل حسب
المنتجات المقدمة والمعتمدة

سقف قيمة التمويل :

2.5 مليون ريال للمنشآت متناهية الصغر

5 مليون ريال للمنشآت الصغيرة

15 مليون ريال للمنشآت المتوسطة

كلفة التمويل:

لا تزيد مجموع الارباح والرسوم التي تتقاضاها جهات
التمويل عن 4 % كحد أقصى من قيمة التمويل
سنويا.

الجهة المنفذة للمبادرة: برنامج كفالة ضمان التمويل
للمنشآت الصغيرة والمتوسطة "كفالة"
شركاء المبادرة: مؤسسة النقد العربي السعودي.

الفرع الثاني : دور صندوق التنمية الصناعية
السعودي .

تأسس صندوق التنمية الصناعية السعودي بموجب

دعم الأنشطة العلمية والتعليم (المدارس الخاصة)

دعم التوظيف والمساهمة في تحقيق رؤية 2030

آلية الاستفادة: يحق للمنشآت المستفيدة من المبادرات
الحصول على التمويل اللازم من المؤسسات التمويلية
البنكية والغير بنكية المرخصة من قبل مؤسسة النقد
العربي السعودي والمشاركة مع برنامج كفالة وتتولى
الجهات التمويلية طلب الكفالات اللازمة لتغطية
مخاطر التمويل عبر مبادرات برنامج كفالة.
سقف قيمة التمويل :

2.5 مليون ريال للمنشآت متناهية الصغر

5 مليون ريال للمنشآت الصغيرة

15 مليون ريال للمنشآت المتوسطة

الجهة المنفذة للمبادرة: برنامج كفالة ضمان التمويل
للمنشآت الصغيرة والمتوسطة "كفالة"
شركاء المبادرة: صندوق التنمية الوطني السعودي ،
الهيئة العامة للمنشآت الصغيرة والمتوسطة "منشآت"
فترة التطبيق: مارس 2020 الى مارس 2021

(5) اسم المبادرة: التمويل المضمون بدعم من مؤسسة
النقد

وصف المبادرة: اطلاق برنامج ضمانات تصل فيها
تغطية برنامج كفالة الى 95% من قيمة التمويل.
القطاعات المستهدفة: المنشآت الصغيرة والمتوسطة في
جميع القطاعات.

هدف المبادرة :

دعم قطاع المنشآت الصغيرة والمتوسطة لمواجهة الاثار

والتسهيل بين الشركاء؛ لتمكين التحول الاقتصادي للمملكة العربية السعودية.

مميزات صندوق التنمية الصناعية بالسعودية

يتميز الصندوق بكونه يقبل طلب القرض عند توفر الحد الأدنى من المعلومات والمستندات، على أن تتم مراجعته من قبل الهيئات المختصة داخل إدارة الصندوق وفق آلية موضحة تفصيلياً من قبل الإدارة ما يساعد المستثمرون على فهم مراحل حصولهم على التمويل اللازم. وللمشاريع الصغيرة، يقدم الصندوق تسهيلات إضافية، إذ يكفي بتعبئة المستثمر لاستمارة المشاريع الصغيرة.

ويقدم الصندوق قروضا متوسطة وطويلة الأجل بدون فوائد للمنشآت الصناعية الجديدة ولل منشآت الصناعية الخاصة القائمة التي تستهدف توسعة نشاطها أو استبدال معداتها وإدخال الأساليب العصرية عليها.

وتتراوح نسبة التمويل للمشاريع ما بين 50% إلى 75% من قيمة المشروع للمشاريع الواعدة.

إلى جانب التمويل، يساهم صندوق التنمية الصناعية السعودي في تقديم الاستشارات اللازمة لأصحاب المشاريع، تشمل الاستشارات المالية واستشارات حول العمليات، والتخطيط التجاري والتشغيلي. فضلا عن تقديم الاستشارات حول تقنية المعلومات واستراتيجيات التسويق المثلى.

المرسوم الملكي رقم (م/3) والصادر في تاريخ 26/02/1394 هـ، ويهدف الصندوق إلى تحقيق أهداف وسياسات وبرامج التنمية الصناعية بالمملكة الموجهة لدعم القطاع الخاص في المجالات الصناعية المختلفة وتمويل ودعم وتنمية القطاع الصناعي.⁽¹⁾

استراتيجية صندوق التنمية الوطني:

استراتيجية صندوق التنمية الوطني هادفة إلى تحفيز مساهمة القطاع الخاص بما يزيد على ثلاثة أضعاف من التأثير التنموي والإسهام في نمو الناتج المحلي بضع أكثر من 570 مليار ريال، ومضاعفة حصة الإنتاج المحلي الإجمالي غير النفطي بثلاثة أضعاف؛ ليصل إلى 605 مليار ريال إضافة إلى توفير فرص العمل بالمملكة وذلك ضمن إستراتيجية الصندوق بحلول عام 2030. تأتي استراتيجية صندوق التنمية الوطني بوصفه مؤسسة مالية تنمية تهدف أن يكون الصندوق ممكناً محورياً للأهداف الاقتصادية والاجتماعية لرؤية المملكة 2030، من خلال العمل على مواجهة التحديات القائمة بما يتماشى مع أفضل الممارسات، وتعزيز دوره في منظومة التمويل التنموي؛ لتمهيد الطريق من أجل تحقيق طموحات طويلة الأجل.

وترتكز استراتيجية الصندوق على رؤية تحتل في ثناياها طموحه المستقبلي، وهو أن يصبح علامة عالمية متميزة في التمويل التنموي، من خلال المواءمة والتكامل

(1) انظر:

<https://ndf.gov.sa/ar/DevelopmentFunds/Pages/saudi-industrial-development-fund.aspx>

في دعمها وإقراضها القروض عن البنوك التي تكون في تعاملاتها شبهة ربوية.

3. حاجة أصحاب المشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر إلى تقديم دراسات علمية لمشروعاتهم وعدم الاقتصاد على الخبرات والتجارب الشخصية حتى لا يؤثر ذلك على مسار تلك المشروعات في حال تعثرها.

4. استفادة أصحاب المشروعات المختلفة من التطورات النقدية والمصرفية في المملكة العربية السعودية، والتزام الشفافية والأخذ بمعطيات التكنولوجيا والتقدم في مشروعاتهم.

5. الاستفادة بالنسبة لأصحاب المشروعات الصغيرة من الدول ذات القدرات المادية الكبيرة في طرح وتنوع المشاريع الصغيرة لما له أثر في زيادة الإنتاج للدولة،

التوصيات:

1. توسيع قاعدة الاحتكاك والتعامل المصرفي في مجال البنوك في مختلف الدول والاستئناس بها في عملياتها المصرفية المختلفة بعيداً عن كل يلامس أي شبهة ربوية.

2. الاستفادة من الخبرات المصرفية المتنوعة في مجالات البنوك المختلفة في المجال المصرفي إسلامي؛ خاصة بعدما اتضح لقطاع كبير من المصرفيين مدى أهمية البنوك الإسلامية ودعمها.

3. عقد ورشات عمل والاشتراك فيها في المجال

كذلك عقد الصندوق اتفاقاً للتمويل المشترك، مع صندوق التنمية الزراعية، لدعم صناعة الأعلاف المركبة في المملكة، ما يضمن تأمين احتياجات السوق المحلية من هذه الأعلاف، وبهدف تعزيز التنمية الاقتصادية المتوازنة بين مختلف مناطق المملكة.⁽¹⁾

ويظهر لنا الدور الرئيسي والرائد من هذا الصندوق في دعم المشروعات والمنشآت وتلبية رغبة العملاء في تلبية احتياجاتهم وحصولهم على التمويل اللازم لهم، من خلال القروض على اختلاف أنواعها سواء قصيرة الأجل أو طويلة الأجل، وهو ما يميز سياسة هذا الصندوق في تقديم الدعم اللازم القائم على أساس علمي ومدروس، في مختلف المجالات والصناعات التي يحتاجها العميل في مختلف أنشطته المختلفة، وهو ما يميز هذا الصندوق في تغطيته لكافة الأنشطة المستهدفة التي يحتاجها السوق والعميل وصولاً في نهاية الأمر إلى تحقيق الغاية الرئيسية في ذلك على مستوى أوسع وأكبر بتحقيق التعزيز المتوازن الذي يحقق به التنمية الاقتصادية بين مختلف مناطق الدولة.

الخاتمة:

النتائج:

1. توافق سياسة الدعم والتمويل والعمل المصرفي في المملكة العربية السعودية مع ضوابط الشريعة الإسلامية.

2. بعد العمل المصرفي في المملكة العربية السعودية

(1) انظر: <https://www.alarabiya.net/aswaq/economy>

ناصر الناصر، دار طوق النجاة، القاهرة،
2011.

8. بدر الدين براحلية، التمويل الإسلامي بين النظرية والتطبيق - دراسة مقارنة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان 2020.

9. البهوتي، منصور بن يونس، كشف القناع عن متن الإقناع، د.ط، دار الكتب العلمية، 1983م.

10. البعلي، محمد بن علي، مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، تحقيق عبد المجيد سليم، محمد حامد الفقهي، د.ط، مطبعة السنة المحمدية، 2010م.
11. تقي الدين الشافعي، أبو بكر، كفاية الأختار في حل غاية الاختصار، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط - طالب عواد، ط9، 1422هـ.

12. ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ط1، دار الكتب العلمية، 1408هـ.

13. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط الأوقاف السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، مجمع الملك فهد، 1425هـ.

14. طيب الداودي، تمويل التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة 2010.

15. الجوهري؛ عبد الهادي وآخرون: دراسات في التنمية الاجتماعية "مدخل إسلامي"، ط: بلا، مكتبة نخضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٢م.

16. الخطاب الرعيني، شمس الدين أبو عبد الله، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط3، دار

المصرفي والاستفادة من الخبرات المصرفية ومجال عمل البنوك.

المراجع والمصادر:

1. ابتهاج إسماعيل يعقوب، تفعيل دور المصارف في تمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة برأس المال الجريء في البيئة العراقية، بحث منشور في مجلة بحوث الشؤون المالية الإسلامية، مجلد 1 عدد 2، بغداد 2017.

2. أحمد جمال خطاب، فاعلية ريادة الأعمال في تعزيز استراتيجية التنمية المستدامة في ضوء رؤية مصر 2030، بحث منشور في المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية، مجلد 11 عدد 1، كلية التجارة جامعة قناة السويس، الإسماعيلية 2020.

3. الأزهرى، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، د.ط، دار الطلائع، د.ت.

4. أسامة مرعشلي، إبراهيم مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، ط1، مادة زرع، 1975م.

5. أكرم علي محمد يوسف، صيغ عقود التمويل المصرفي الإسلامي - دراسة تأصيلية، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة 2020.

6. الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا، أسنى المطالب، د.ط، د.ت.

7. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب/المساقاة، باب/ فضل الزرع والغرس، ح(2320)، 103/3، تحقيق: محمد زهير بن

24. الزحيلي، "الفقه الإسلامي و أدلته"، ط2، دار الفكر، 1412هـ.
17. حسين عبد المطلب الأسرج، دور التمويل الإسلامي في تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة، بحث قدم لمؤتمر المصارف الإسلامية ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، الفترة 22 – 23 مايو، الرباط 2012.
18. حسن السراج، تفعيل دور التمويل الإسلامي في تنمية المشاريع الصغيرة والمتوسطة، دار الحامد للنشر، عمان 2011.
19. خالد جمال، دور المصارف الإسلامية في تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الأردن، بحث منشور في مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، مجلد 14 عدد 2، جامعة الزرقاء، عمان 2014.
20. الديان، ديبان، المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ط2، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1432هـ.
21. د. عبد الكريم أحمد قندوز، مقترحات لتفعيل دور التمويل برأس المال المخاطر بالمملكة العربية السعودية.
22. الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، 1420هـ.
23. ابن رشد، المقدمات الممهدات، ط1، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ.
24. الزحيلي، "الفقه الإسلامي و أدلته"، ط2، دار الفكر، 1985، الجزء الرابع، الفصل الخامس.
25. الزحيلي، وهبة، كتاب مجلة مجمع الفقه الإسلامي – المشاركة المتناقصة وصورها في ضوء ضوابط العقود المستجدة.
26. الزيلعي، عثمان بن علي، تبين الحقائق شرح كنز الرقائق وحاشية الشبلي، ط1، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، 1313هـ.
27. زينب حسن وإجباره، دور المصارف الإسلامية في دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة في ليبيا، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد، 2016.
28. سامح عبدالكريم أبو شنب، دور التمويل الإسلامي في دعم المشروعات الصغيرة والمتوسطة، دراسة حالة الأردن، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، 2015.
29. السيوطي، مصطفى بن سعد، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، ط2، المكتب الإسلامي، 1415هـ.
30. الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، د. ط، دار المعرفة، بيروت، 1410هـ.
31. الخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد، مغني المحتار، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ.
32. عبادة، إبراهيم عبد الحليم، رأس المال المخاطر وعلاقته بالتمويل الإسلامي المجلد العاشر، العدد الرابع، السعودية 2017.

لقضايا تمويلية في المجتمعات العربية، دار كنز
ناشرون، القاهرة 2021.

42. القرشي، د. مدحت: التنمية الاقتصادية -
نظريات وسياسات وموضوعات، ط: ١، دار
وائل للنشر، عمان- الأردن، 2007.

43. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام
الموقعين عن رب العالمين، ط1، دار الكتب
العلمية، بيروت، 1411هـ.

44. كبير حسن، إدارة التمويل الإسلامي - دراسة
مقارنة بين القانون الأردني والشرعية الإسلامية،
المكتب العربي للمعارف، عمان 2020.

45. الكاساني، بدع الصنائع في ترتيب الشرائع،
ط2، 1406هـ.

46. مجلة الندوة الفقهاء الخامسة التي نظمها بيت
التمويل الكويتي من الفترة من (13 - 15)
رجب سنة 1419 هـ.

47. مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد الثالث عشر،
2016.

48. مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد الخامس عشر
(1/ 528)، والعدد الثالث عشر (2/
462)..1423هـ.

49. مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد الخامس
عشر، (1/ 536، 616). 1423هـ.

50. محمد الصغير القرشي، التمويل برأس مال
المخاطر للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة المبتكرة في
الجزائر، قسم إدارة الأعمال- كلية العلوم

33. عبد الكريم قندوز، التحوط وإدارة المخاطر في
التمويل الإسلامي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع،
عمان 2016.

34. عبد الله بلعدي، التمويل برأس المال المخاطر،
دراسة مقارنة مع التمويل بنظام المشاركة. رسالة
ماجستير، جامعة الحاج لخضر-باتنة -كلية
العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية 2007-
2008.

35. العسل، إبراهيم، التنمية في الإسلام، ط1،
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،
بيروت، 1416-1417هـ.

36. عصام عمر، البنوك الوضعية والشرعية - النظام
المصرفي - نظرية التمويل الإسلامي - البنوك
الإسلامية، دار التعليم الجامعي، القاهرة 2013.

37. علاء مصطفى أبو عجيبة، المصرفية الإسلامية
وصيغ التمويل والاستثمار، دار التعليم الجامعي،
القاهرة 2021.

38. عيش، محمد بن أحمد، منح الجليل شرح مختصر
خليل، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1409هـ.

39. العمودي محمد الطاهر، التمويل الإسلامي
للتنمية في إشارة إلى تجارب البنك الإسلامي
للتنمية، دار ألفا للوثائق، عمان 2021.

40. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب
الشرح الكبير، مادة زرع، د.ط، المكتبة العلمية،
بيروت، د.ت.

41. فياض عبد المنعم حسانين، دراسات فقهية

- الاقتصادية - جامعة ورقلة - الجزائر. 2019. القاهرة، الطبعة الأولى، 2011.
51. محمد محمود المكاوي، التمويل بإجازة الخامات في البنوك الإسلامية - الإجازة الموصوفة في الذمة، دار الفكر والقانون، القاهرة 2020.
52. محمد محمود يوسف، قياس تأثير المؤسسات المصرفية الإسلامية على العلاقة بين ريادة الأعمال والنمو الاقتصادي، رسالة دكتوراه، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة 2019.
53. مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، المعجم الوسيط، د.ط، دار الدعوة، د.ت.
54. المرادوي، علاء الدين أبو الحسن، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ط2، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
55. ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، المبدع في شرح المقنع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.
56. ابن مفلح، الفروع، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1424هـ.
57. ميلود بن حوحو، شركات الرأسمال الاستثماري كبديل للتمويل المصرفي - دراسة مقارنة بنظام المشاركة في الفقه الإسلامي، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان 2020.
58. ابن الهمام، فتح القدير، د.ط، د.ت. ياسر دقسي، دور المصارف الإسلامية في تمويل المشروعات الصغيرة، دراسة مقارنة بين التمويل الإسلامي والتمويل التقليدي، دار النهضة العربية،

المقارنة بين منهج الرملي ومنهج الهيتمي في مسائل القضاء

الدكتور/ مجدي عبد العظيم

أيمن إبراهيم إبراهيم الحلفاوي

الأستاذ المساعد في قسم الفقه، كلية العلوم

باحث بمرحلة الماجستير في قسم القضاء والسياسة

الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا

الشرعية في جامعة المدينة العالمية

magdy.azim@mediu.my

ayman.elhalfawe@gmail.com

الملخص

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على رسوله وعبد، وبعد: فهذا بحث بعنوان (المقارنة بين منهج الرملي ومنهج الهيتمي في مسائل القضاء)، وأصله رسالة لنيل درجة الماجستير في القضاء والسياسة الشرعية، هدف البحث إلى بيان مفهوم منهج القضاء، ثم بيان مفهوم المقارنة، وإبراز منهج الإمام الرملي في مسائل القضاء من خلال كتابه "نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج"، كما هدف البحث إلى عمل مقارنة بين منهج الإمام الرملي وبين منهج الهيتمي في مسائل القضاء. وتتجلى المشكلة في معرفة منهج الإمام الرملي في القضاء من خلال كتابه نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ومعرفة مدى تطابق أو تعارض منهجه مع منهج الهيتمي، واقتضى عمل الباحث استخدام المنهج الاستقرائي ثم المنهج الوصفي التحليلي ثم المنهج المقارن لكتابة البحث، مع مراعاة الإجراءات البحثية، وخلص البحث إلى عدة نتائج من أبرزها: أن الإمام الرملي من أئمة ومحقق المذهب الشافعي، وكتابه عمدة في المذهب عند المتأخرين، ويعتبر سلسلة متصلة إلى كتب إمام المذهب، أن منهج الرملي في تقرير مسائل القضاء يبني على الأدلة الشرعية المتفق عليها، وأن منهج الرملي في مسائل القضاء يدور في فلك مناهج المتقدمين أو المتأخرين، وغير ذلك من النتائج. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الكلمات الافتتاحية: المقارنة - المنهج - الرملي - الهيتمي - القضاء.

Abstract

This research, entitled A Comparison between Al-Ramli's and Al-Haythami's Approaches to Judicial Matters, originates as a master's thesis in siyāsah shar'iyyah). The study aims to define the concept of judicial methodology, explain the principles of comparison, and highlight Imam al-Ramli's approach to judicial issues as presented in his work Nihāyat al-Muhtāj ilā Sharḥ al-Minhāj. It further seeks to compare his methodology with that of Imam al-Haythami. The core research problem centers on understanding Imam al-Ramli's judicial methodology through his book and determining the extent to which it aligns or differ from al-Haythami's approach. The researcher employed an inductive methodology, followed by descriptive-analytical and comparative methods, while adhering to established academic procedures. The study reached several key conclusions, the most notable being: Imam al-Ramli is one of the foremost scholars of the Shāfi'ī school, and his book is considered a central reference among later scholars, forming part of an unbroken scholarly chain linked to the school's founding authorities. His approach to judicial issues is grounded in agreed-upon Sharī'ah evidence and reflects the methodologies of both early and later jurists.

Keywords: Comparison - Methodology - Al-Ramli - Al-Haythami - Judiciary.

المقدمة (التمهيد)

يعد القضاء أحد أهم المجالات التي تهم المسلمين، حيث يلعب دورًا حاسمًا في تطبيق الشريعة الإسلامية وتحقيق العدالة بين الناس. ومن بين العلماء الذين قدموا جهودًا كبيرة في هذا المجال الإمامان الرملي والهيتمي، حيث قاما بتأليف كتب قيمة في الفقه الشافعي.

ونظرًا لأهمية منهج هذين الإمامين في مسائل القضاء، فإن هذا البحث يهدف إلى إجراء مقارنة بين منهج الإمام الرملي في كتابه "نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج" ومنهج الإمام الهيتمي في كتابه "تحفة المحتاج بشرح المنهاج"، في مسائل القضاء المختلفة.

وسيتيم في هذا البحث تحليل ومناقشة أوجه الاتفاق والاختلاف بين منهج الإمامين، مع التركيز على الأسس الشرعية التي اعتمدا عليها في استنباط الأحكام القضائية.

فالرملي هو: شمس الدين بن شهاب الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرملي المصري الشافعي، الملقب بالشافعي الصغير، المتوفى (1004هـ)؛ فإنه فاتح أقفال مشكلات العلوم ومحبي ما اندرس منها من الآثار والرسوم، أستاذ الأستاذين وأحد علماء الدين، علامة المُحقِّقين على الإطلاق وفهامة المدققين بالإتِّفاق.

وقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه -١- كان مجدد القرن العاشر فقد اشتغل على أبيه في الفقه والتفسير

والنحو والصرف والمعاني والبيان والتاريخ حيث كانت بدايته بنهاية والده، كما أخذ عن شيخ الإسلام القاضي زكريا كما أشار ابن القاضي، وذكر في ترجمته أن له رواية عن شيخ الإسلام الطرابلسي الحنفي، وشيخ الإسلام أحمد بن النجار الحنبلي، وشيخ الإسلام يحيى الدميري المالكي، وأنه كان عجيب الفهم، فجمع الله تعالى له بين الحفظ والفهم والعلم والعمل، ولهذا فإن كتابه نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج يعد من الكتب المهمة التي قرئت أمامه وبحضور أربعمائة عالم، فنقدوها وصححوها، فبلغت صحتها إلى حد التواتر.

وأما الهيتمي فهو: أحمد بن محمد بن علي بن حجر، شهاب الدين، أبو العباس الهيتمي، المتوفى (974هـ)، بحر في علم الفقه وتحقيقه لا تكدره الدلاء، وكتابته تحفة المحتاج في شرح المنهاج من الكتب المعتمدة لدى علماء الشافعية وغيرهم.

ولمكانة العلمين الجليلين اعتمد المتأخرون من الشافعية على ما قاله الرملي في نهايته وابن حجر في تحفته.

مشكلة البحث:

للعلمين الجليلين والخبرين المحررين ابن حجر الهيتمي وشمس الدين الرملي تحقيق وتدقيق في الفقه الشافعي لا يخفى، حتى أمسى أتباع المذهب بعدهما على الغالب مختلفين بينهما، حتى قيل بأنه لا تجوز الفتوى بما يخالفهما، ولكتابيهما التحفة والنهاية مكانة سامية عند المتأخرين، فإن هما اتفقا فالقول ما قالوا، وإن اختلفا فخلافاهما من الخلاف المعتبر عند متأخري

الرملي والهيتمي في مسائل القضاء.

منهج البحث:

وبما أن لكل دراسة بحثية نهجها وطرائق تخصصها؛ فالمنهج المنتخب من الباحث هو **المنهج الاستقرائي** لما ورد في كتاب "نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج" وكتاب "تحفة المحتاج في شرح المنهاج"، ثم **المنهج الوصفي التحليلي** للنصوص والمسائل الفقهية لبيان منهج الإمامين في مسائل القضاء، ثم **المنهج المقارن** لإبراز جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما.

وتقديم التوصيات والمقترحات للاستفادة من منهج الإمامين في القضاء.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاطلاع لم أجد بحثاً يقارن بين منهج الإمامين في مسائل القضاء، والأبحاث والدراسات الآتية متفقة مع بحثي في الحديث عن منهج القضاء عند أحد الأعلام، وهي كالتالي:

1. **منهج ابن فرحون في القضاء**، للباحث/ محمد حمد سالم بوشهاب المري، 2004م.

تناولت هذه الدراسة بيان إبراز منهج ابن فرحون المالكي في القضاء، وتكلم في المقدمة عن أهمية الموضوع وسبب اختياره والمنهج الذي سلكه في الرسالة، وذكر في التمهيد نبذة مختصرة عن ابن فرحون ونبذة تعريفية عن القضاء، أما في الفصل الأول فذكر منهج ابن فرحون في القضاء بطرق الإثبات المتفق عليها، وفي الفصل الثاني ذكر منهجه في القضاء بطرق

فقهاء الشافعية، وألفت الرسائل والكتب في ذكر الخلاف بينهما في مسائل الفقه، فحري الاهتمام باختلافات هذين الإمامين، وإفراد بحث بمعرفة منهجهما في مسائل القضاء.

فتمثل مشكلة البحث في عدم الوقوف على بيان منهج الإمامين في مسائل القضاء والمقارنة بينهما من قبل الباحثين من خلال كتابيهما نهاية المحتاج إلى شرح المحتاج وتحفة المحتاج في شرح المنهاج.

أسئلة البحث:

1. ما مفهوم المنهج والقضاء عند الرملي والهيتمي.
2. ما مفهوم المقارنة بين منهج الرملي والهيتمي في مسائل القضاء.
3. ما هي أوجه الاتفاق والاختلاف بين منهج الرملي والهيتمي في مسائل القضاء؟

أهداف البحث:

1. بيان مفهوم المنهج والقضاء عند الرملي والهيتمي.
2. بيان مفهوم المقارنة بين منهج الرملي والهيتمي في مسائل القضاء.
3. بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين منهج الرملي والهيتمي في مسائل القضاء.

أهمية البحث:

1. أن فيه بياناً لمفهوم المنهج والقضاء عند الرملي والهيتمي.
2. أن فيه بياناً لمفهوم المقارنة بين منهج الرملي والهيتمي في مسائل القضاء.
3. أن فيه بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين منهج

3. جهود القاضي حسين المروزي في القضاء، للباحث/ نصرة راشد فلاح.

تناولت الدراسة بيان جهود القاضي حسين المروزي وآرائه الفقهية وترجيحاته في المسائل والأقضية التي تصدى لها وقام فيها بالقضاء أو الإفتاء وفق مذهبه، جهوده في القضاء، وذكر في المبحث الأول منهج القاضي حسين في القضاء ومرجعياته، وفي المبحث الثاني ذكر آرائه الفقهية وترجيحاته في المسائل والأقضية.

وتتفق هذه الدراسة مع دراستي في بيان منهج القضاء عند إمام من أئمة الشافعية، وكذلك في ذكر مرجعيته وآرائه الفقهية، وتختلف عن دراستي بأنها تناولت جهود القاضي حسين المروزي دون غيره، بينما تناولت دراستي منهج القضاء عند الرملي والهيتمي في كتابيهما النهاية والتحفة، والمقارنة بين المنهجين.

يمكن أن نستخلص بعض أوجه التشابه والاختلاف بما يلي:

وجه الشبه بين هذه الدراسات أنها أبرزت جهود العلماء في منهج القضاء، وبيان مكانة كتبهم الفقهية. ووجه الاختلاف بين هذه الدراسات أن هذه الدراسات أفردت جهود عالم واحد فقط، بينما دراستي تناولت منهج علمين بارزين في المذهب الشافعي، وقارنت بين منهجيهما في مسائل القضاء.

مصطلحات البحث:

المقارنة في اللغة: مفاعلة من الموازنة، يقال: قارنه

الإثبات المختلف فيها، وذكر في الفصل الثالث منهج ابن فرحون في التعارض والترجيح بين البيّنات. وتتفق هذه الدراسة مع دراستي في بيان منهج القضاء عند إمام من الأئمة، وكذلك في تعريف القضاء وأهميته، وتختلف عن دراستي بأنها تناولت منهج القضاء عند إمام من أئمة المالكية من كتبه دون غيره، بينما تناولت دراستي منهج القضاء عند الرملي والهيتمي والمقارنة بين المنهجين من خلال كتابيهما نهاية المحتاج وتحفة المحتاج.

2. منهج الإمام القرافي في مسائل القضاء، للباحث/ محمد يوسف آدم، 2003م.

تناولت الدراسة بيان منهج الإمام القرافي وأسلوبه في مسائل القضاء، من خلال كتبه وخاصة كتابه الذخيرة، وذكر في المقدمة مشكلة البحث ومنهج البحث وأهدافه، وفي المبحث الأول تناول منهج الإمام القرافي وأسلوبه في اختياراته في مسائل القضاء، وبين في المبحث الثاني المصادر التي اعتمدها الإمام القرافي في اختياراته في مسائل القضاء.

وتتفق هذه الدراسة مع دراستي في بيان منهج القضاء عند إمام من الأئمة، وكذلك في تعريف القضاء، وذكر مصادر الإمام القرافي في منهجه دون غيره، وتختلف عن دراستي بأنها تناولت منهج القضاء عند إمام من أئمة المالكية من كتبه، ودراستي كانت عن منهج القضاء عند الرملي والهيتمي والمقارنة بين المنهجين من خلال كتابيهما نهاية المحتاج وتحفة المحتاج.

يلتزمها كل مجتهد، تتجه بدورها إلى تحقيق مقاصد أساسية عامة وثابتة بصورة قاطعة استهدفها التشريع كله⁽⁴⁾.

المنهج في اللغة: عبارة عن الطريق الواضح المستقيم، يقال: نَحَج الطريق أبانه وأوضحه، ونَحَجه أيضا سلكه⁽⁵⁾.

المنهج في الاصطلاح: مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم⁽⁶⁾.

الرملي: هو شمس الدين بن شهاب الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرملي المنوفي المصري الأنصاري، الشهير بالشافعي الصغير⁽⁷⁾.

ولد في مصر آخر جمادى الأولى عام 919هـ، فنشأ في كنف أبيه مشغلا بالفقه والتفسير والنحو والصرف والمعاني والبيان والتاريخ، فكانت بدايته بنهاية والده⁽⁸⁾. وجلس بعد وفاة والده للتدريس، فأقرأ التفسير والحديث والأصول والفروع والنحو والمعاني والبيان، وبرع في العلوم النقلية والعقلية، وحضر درسه أكثر

مقارنة وقرانا أي: صاحبه واقتن به، وبين القوم سوى بينهم، وبين الزوجين قرانا: جمع بينهما، والشيء بالشيء، وازنه به، وبين الشيئين أو الأشياء: وازن وقابل بينهما فهو مقارن، ويقال: الأدب المقارن أو التشريع المقارن⁽¹⁾.

المقارنة في الاصطلاح: "الموازنة بين شيئين اشتراكا في معنى من المعاني بقصد إدراك وجه الصواب فيهما أو في أحدهما حقيقة أو معنى"⁽²⁾.

أو: "مقارنة الرأي بالرأي، مقابلته أو موازنته به؛ ليُعرف مدى اتفاقهما أو اختلافهما، وأيهما أقوى وأسدّ بالدليل"⁽³⁾.

ويقصد بالمقارنة هنا: موازنة الباحث بين منهج الرملي ومنهج الهيتمي في المسائل القضائية وإظهار الموافقات والمخالفات بين مناهجهم.

"إن المقارنة التي تعقد بين أحكام مجتهد فيها لمسائل أو نظريات عامة في مذاهب أو مدارس فقهية تستند في ذاتها إلى أصول متحدة، كما هو الشأن في الشريعة الإسلامية -بما هي نابعة أصلاً من مصدري سماوي، هو القرآن الكريم والسنة المطهرة- لا تجد فيها اختلافا جذريا في تلك الاجتهادات، وما بنيت عليه قواعد

(6) السديس، العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي، مجلة البحوث الإسلامية، مجلد 58، عدد 58، (ص 299).

(7) المحي الحموي، خلاصة الأثر، (342/3)، الشوكاني؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، د.ط، (102/2)، الزركلي، الأعلام، ط 15، (6 / 7).

(8) المحي الحموي، خلاصة الأثر، د.ط، (343 / 3).

(1) انظر: مصطفى، المعجم الوسيط، د.ط، (73/2)، عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، (3 / 1805).

(2) الشيتوي، النصراية دراسة مقارنة، د.ط، (ص 90).

(3) الدريني، بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله، ط 2، (22/1).

(4) الدريني، بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله، ط 2، (23/1).

(5) ابن منظور، لسان العرب، ط 3، (383/2).

تلامذة والده⁽¹⁾.

هذب المذهب وحرره، وتكاد غالب مسائل الفقه في حفظه مصورة، ومع انتشار صيته في الآفاق، واشتهار كتبه في جميع الأقطار، أخذ عنه أكثر الشافعية، ووقع الاتفاق على المغالاة في مدحه، فوصف بأنه مجدد

القرن العاشر⁽²⁾.

توفي ٢٠ يوم الأحد 13/5/1004هـ، بمدينة القاهرة⁽³⁾.

بلغت مؤلفات الرملي الغاية في الإتقان والتحقيق، وكتابه "نهاية المحتاج" ويعتبر امتدادا للمصنفات التي شرحت منهاج النووي، فموضوعاته هي موضوعات المنهاج للنووي دون زيادة أو نقصان، فهو يشرح المفردات، ويذكر تعريف المصطلحات، ويذكر أدلة المسائل ويعزو الأقوال، وقد يورد بعض الفوائد والتنبيهات والتتيمات في نهاية بعض المسائل.

فللكتاب أهمية عالية؛ لاتصاله بأئمة المذهب ومحققيه، وانتفاء إمام المذهب الإمام الشافعي، وقد بين منهجه في أول الكتاب بقوله: "ولقد طالما سألني السادة الأفاضل والوارثون علم الأوائل في وضع شرح على المنهاج يوضح مكنونه ويبرز مصونه، فأجبتهم إلى ذلك في شهر القعدة الحرام سنة ثلاث وستين وتسعمائة بعد تكرر رؤيا دلت على حصول المرام، وأردفتهم بشرح:

بميط لثام مخدراته ويزيح ختام كنوزه ومستودعاته ... أنقح فيه الغث من السمين، وأميز فيه المعمول به من غيره بتوضيح مبين ... أورد الأحكام فيه تتبخر اتضاحا، وأترك الشبه تتضاءل افتضاحا، أطنب حيث يقتضي المقام، وأوجز إذا اتضح الكلام، خال عن الإسهاب الممل، وعن الاختصار المخل ... وأذكر فيه بعض القواعد وأضم إليه ما ظهر من الفوائد، في ضمن تراكيب رائعة وأساليب فائقة، ليتيم بذلك الأرب ويقبل المشتغلون ينسلون إليه من كل حذب، مقتصرًا فيه على المعمول به في المذهب، غير معتن بتحرير الأقوال الضعيفة روما للاختصار في الأغلب ... فحيث أقول فيه قالًا أو رجحا فمرادي به إماما المذهب الرافعي والمصنف -تغمدهما الله بعفوه ومته، وأمطر على قبرهما شآبيب رحمته وفضله- ... وحيث أطلقت لفظ الشارح فمرادي به محقق الوجود الجلال المحلي -عفا عنه الغفور الودود-، وربما أتعرض لحل بعض مواضع المشكلة تيسيرا على الطلاب مستعينا في ذلك وغيره بعون الملك الوهاب ... وحيث أطلقت لفظ الشيخ فمرادي به شيخ مشايخ

الإسلام زكريا -تغمده الله تعالى برحمته-⁽⁴⁾.

ثم أكمل في بيان مراجعه فيما ينقله عن والده وشيخه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، فقال: "وما وجدته أيها الواقف على هذا الكتاب والمتمسك منه بما يوافق الصواب في كلامي من إطلاق أو تقييد أو ترجيح معزوا لوالدي

(3) المحي الحموي، خلاصة الأثر، د.ط، (3/ 347)، الزركلي،

الأعلام، ط1، (7/6).

(4) الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (1/ 12).

(1) المحي الحموي، خلاصة الأثر، د.ط، (3/ 343).

(2) المحي الحموي، حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية، د.ط،

(ص14)، المحي الحموي، خلاصة الأثر، د.ط، (3/ 344).

في توضيح ألفاظ المنهاج، وأورد الأحكام والفروع مفصلة، وذكر بعض القواعد والفوائد الفقهية، واقتصر على المعتمد في الفتوى، وأعرض عن تحرير الأقوال الضعيفة، وتمتاز عبارة الرملي برشاققتها مقارنة بعبارة ابن حجر في التحفة.

وقد اعتمد المتأخرون على كتابه بسبب تحري مؤلفها في النقل؛ ولأنها قرئت عليه إلى آخرها من مئات العلماء فنقدوها وصححوها، وقد سار على أثر مدرسة الرملي علماء مصر، وهم أكثر أصحاب الحواشي⁽³⁾.

الهيتمي: هو الشيخ العلامة الفقيه الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر السلمتي الهيتمي الأزهري الوائلي السعدي المكي الأنصاري الشافعي⁽⁴⁾.

ولد في رجب سنة (909 هـ) في محلة أبي الهيتم، ومات أبوه وهو صغير، فكفله جده لأبيه، ثم تولى رعايته الشمس الشناوي شيخ أبيه، فنقله إلى طنطا وتلقى مبادئ العلوم، ثم إلى الجامع الأزهر، فبدأ بقراءة الحديث، والنحو، والمعاني والبيان، والأصلين، والمنطق، والفرائض والحساب، والطب، حتى أجازه الأكابر بالإقراء والإفادة، ثم بالإفتاء والتدريس، على مذهب الإمام المطلي الشافعي ابن إدريس وهو

وشيخي شيخ مشايخ الإسلام عمدة الأئمة العلماء الأعلام، شيخ الفتوى والتدريس ومحل الفروع والتأسيس، شيخ زمانه بالاتفاق بين أهل الخلاف والوفاء، تغمدته الله تعالى برحمته وأسكنه بحبوة جنته، فهو المعول عليه عنده؛ لأن رأيه عليه استقر، وما عزي إليه مما يخالفه فبسبب ما هو شأن البشر، وعمدتي في العزو لفتاويه ما قرأته منها عليه، ثم مر عليها بنفسه، وفي العزو لمعتمداته ما وجدته على أجل المؤلفات عنده مصححا بخطه لم يحل بينه وبين ذلك إلا السبب الناقل له لرمسه⁽¹⁾.

ثم ذكر خلاصة مراجعه المميّزة لكتابه بقوله: "مخضت فيه عدة كتب من الفن مشتهرة ومؤلفات معتبرة، من شروح الكتاب وشروح الإرشاد وشرحي البهجة والروض وشرح المنهج والتصحيح وغيرها للمتأخرين وإخواننا السادة الأفاضل المعاصرين على اختلاف تنوعها، فأخذت زبدها ودررها، ومررت على رياض جملة منها على كثرة عددها، واقتطفت ثمرها وزهرها، وغصت بحارها فاستخرجت جواهرها ودررها"⁽²⁾.

ومع تصريحه بالمراجع التي يأخذ منها، إلا أن هناك مراجع صرح بأسماء القائلين بها.

وفي المدخل إلى المذهب الشافعي: "واعتمد الشمس الرملي على كلام والده الشهاب الرملي وشرحي الشريبي وابن حجر على المنهاج، اعتنى الشمس الرملي

(4) انظر: الهيتمي، الفتاوى الفقهية الكبرى، د.ط، (1/ 3)،

العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ط1،

(ص258)، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،

ط1، (10/ 541)، الزركلي، الأعلام، ط15، (1/ 234).

(1) الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (12/1).

(2) الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (13/1).

(3) دائرة الإفتاء الأردنية، المدخل إلى المذهب الشافعي، ط1،

(ص230).

الفتوى، وتبّه على الآراء المرجوحة، وأجاب عن الاعتراضات، وأضاف مباحث فقهية دقيقة أخذ كثيرا منها من حاشية شيخه ابن عبد الحق على شرح المحلى على المنهاج، وبالعموم فهو يعد من أصعب الكتب التي شرحت المنهاج؛ لأن ابن حجر بالغ في بالاختصار في كتابه هذا⁽⁴⁾.

قال الهيتمي: "عزمت ثاني عشر محرم سنة ثمان وخمسين وتسعمائة على خدمة منهاجه الواضح ظاهره الكثيرة كنوزه وذخائره ملخصا معتمدا شروحه المتداولة ومجيبا عما فيها من الإيرادات المتطاولة طاويا بسط الكلام على الدليل وما فيه من الخلاف والتعليل وعلى عزو المقالات والأبحاث لأربابها لتعطل الهمم عن التحقيقات فكيف بإطنابها ومشيرا إلى المقابل برد قياسه أو علته وإلى ما تميز به أصله لقلته"⁽⁵⁾.

ويؤخذ من كلام الهيتمي أن مراجع كتابه هي شروحات المنهاج التي كانت مشتهرة في زمنه وعصره، فمن تلك الشروح: شرح الجلال المحلي كنز الراغبين بشرح منهاج الطالبين، ويعتبر من أدق الشروح. ومنهج الطلاب لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، اختصر فيه المنهاج،

(1) دون العشرين .

ثم قرر الرحلة إلى مكة سنة (940هـ)، وأقام بها يؤلف ويفتي ويدرس إلى أن توفي عام (974هـ)، فكان خاتمة العلماء الأعلام، بحرا لا تكدره الدلاء، جمع المذهب جمعا لم يسبق إليه مع غاية من التحرير والتدقيق والتنقيح، مستوعبا لما في كتب المذهب مع بيان الراجح والجواب عن المشكل مما تقر به العيون ثم شرح المنهاج⁽²⁾.

تجاوزت مؤلفاته المائة مؤلف في شتى فنون العلم؛ إلا أن أبرز الفنون التي اشتهر بها هو علم الفقه، وله في ذلك اليد الطولى، وما تحفته التي عليها المدار والاعتماد في الإفتاء عند الشافعية إلا أصدق دليل على ذلك، فهو كتاب مهم ومحقق في فقه السادة الشافعية، وعليه مدار الفتوى في بعض بلدان المسلمين، وقد وضعت عليها الحواشي العديدة، واعتنى بها علماء الشافعية من شتى البلدان، واختصرها البعض، وحشّى عليها البعض⁽³⁾.

ويعتبر شرح الهيتمي من الشروح المطولة على منهاج النووي؛ "حيث بين معاني ألفاظه، وحرر المعتمد في

(3) الهيتمي، الدر المنضود، ط1، (ص15)، الزركلي، الأعلام، ط15، (234/1).

(4) دائرة الإفتاء الأردنية، المدخل إلى المذهب الشافعي، ط1، (230ص).

(5) الهيتمي، تحفة المحتاج، د.ط، (3/1).

(1) انظر: الهيتمي، الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، ط1، (ص8)، الهيتمي، الفتاوى الفقهية الكبرى، د.ط، (3/1)، العيدروس، النور السافر، ط1، (ص260)، ابن العماد، شذرات الذهب، ط1، (10/542).

(2) انظر: الهيتمي، الفتاوى الفقهية الكبرى، د.ط، (1/4)، العيدروس، النور السافر، ط1، (ص260)، ابن العماد، شذرات الذهب، ط1، (10/542).

مع الإشارة إلى المعاني اللغوية الأخرى المفيدة من اللفظ، لكن الهيتمي ذكر بعض هذه المعاني بقوله: "كالوحي والخلق"⁽⁵⁾.

فمثال الوحي قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [سورة الإسراء:4]؛ "أي: أعلمناهم وأوحينا إليهم وحيا جزما، وعلى هذا: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنْ دَاسِرَهُ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾ [سورة الحجر:66]"⁽⁶⁾.

ومثال الخلق قوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَاهُمْ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [سورة فصلت:12]؛ "أي" خلقهن"⁽⁷⁾.

وبذكر هذين المعنيين يتبين أن شرح الهيتمي من الشروح المطولة على منهاج النووي.

المبحث الأول: المسائل القضائية التي وافق فيها منهج الهيتمي.

المعتمد في اللغة: السند وما عليه المعول، وعميد القوم: سيدهم الذي يعتمدون عليه فيما يخزهم⁽⁸⁾.

والمعتمد في اصطلاح الفقهاء: "الرأي المقصود

وقام بحذف الخلافات الفقهية والاقتصار على القول المعتمد، وحرر المسائل التي رجع فيها الإمام النووي قولاً على خلاف المعتمد"⁽¹⁾.

"وقد قامت جهود شيخ الإسلام في المنهج على تحرير كلام الشيخين الرافعي والنووي وتنقيحه، وقد اعتمد عليه ابن حجر والرملي في تحريرهما لكلام الشيخين، وتمثل طريقته في الاقتصار على المعتمد وحذف الخلاف تطورا في المذهب، حيث ساعد ذلك على الاستقرار المذهبي في الترجيح"⁽²⁾.

والعالمان الجليلان تتلمذا على الشهاب الرملي والد الشمس الرملي، كما تتلمذا على شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في القراءة والحضور في صحيح البخاري، وكانا كفرسي رهان، وجرت بينهما خلافات فقهية، ومسائل علمية.

لغة: يطلق القضاء على ضروب كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتماه⁽³⁾.

أو: "إحكام الشيء وإمضاؤه"⁽⁴⁾. وهذا الأخير هو ما ذكره الهيتمي والرملي في شرحيهما،

(1) انظر: دائرة الإفتاء الأردنية، المدخل إلى المذهب الشافعي، ط1، (ص226)

(2) دائرة الإفتاء الأردنية، المدخل إلى المذهب الشافعي، ط1، (ص226)

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، د.ط، (5/99)، ابن منظور، لسان العرب، ط3، (15/186)، مادة: [قضى].

(4) الهيتمي، تحفة المحتاج، د.ط، (101/10)، الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (8/235).

(5) الهيتمي، تحفة المحتاج، د.ط، (101/10).

(6) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط1، (ص: 674).

(7) ابن منظور، لسان العرب، ط3، (15/186).

(8) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط3، (3/305)، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، د.ط، (ص921)، مادة: [عمد].

وأكثر اليمن والحجاز إلى أن المعتمد ما قاله الشيخ ابن حجر في كتبه⁽⁴⁾.

فتبين مما سبق أن المعتمد في مذهب الشافعية هو ما اتفق عليه الرافعي والنووي، وإلا فالنووي، وعند المتأخرين ما اتفق عليه الهيثمي والرملي، وفي الخلاف بينهما خلاف، وما سيأتي من المسائل سيكون بناء على هذا التقرير.

المطلب الأول: مسألة الاستخلاف في القضاء.

الاستخلاف لغة: مصدر استخلف فلان فلانا إذا جعله خليفة، ويقال: خلف فلان فلانا على أهله وماله صار خليفته، وخلفته جئت بعده، فخليفة يكون بمعنى فاعل، وبمعنى مفعول⁽⁵⁾.

واصطلاحاً: استنابة الإنسان غيره لإتمام عمله⁽⁶⁾.

أو: قيام قاض مقام قاض آخر بناء على طلب الأخير بمباشرة بعض إجراءات التقاضي المتعين اتخاذها في مكان النائب الذي يبعد عن مكان الأصل، بما يتعذر على هذا الأخير القيام بهذه الإجراءات، مع التزام النائب بتكليف الأصل، وتقيد الأصل بما اتخذته النائب أو انتهى إليه⁽⁷⁾.

والمرجح من بين أكثر من رأي وفق منهج محدد لدى طائفة محددة⁽¹⁾.

والمعتمد عند السادة الشافعية: القول المرجح الذي يعبر عن رأي الإمام الشافعي من بين مجموعة من أقواله، أو القول المقترع على قواعده وأصوله مما صح نسبته إلى مذهبه، ويلزم الإفتاء والعمل به لمقلده⁽²⁾.

والمعتمد في المذهب الشافعي تطبيقاً ما صرح به ابن حجر الهيثمي بقوله: "وإلا فالذي أطبق عليه محققو المتأخرين ولم تزل مشايخنا يوصون به وينقلونه عن مشايخهم وهم عمن قبلهم وهكذا أن المعتمد ما اتفقا -أي: الرافعي والنووي- عليه، أي: ما لم يجمع متعقبو كلامهما على أنه سهو ... فإن اختلفا فالمصنف -أي: النووي-"⁽³⁾.

"فإن اتفق المتأخرون على أن ما قالاه سهوا فلا يكون حينئذ معتمدا لكنه نادر جدا ... ثم إن لم يكن للشيخ ترجيح فإن كان المفتي من أهل الترجيح في المذهب أفتى بما ظهر له ترجيحه مما اعتمده أئمة مذهبه ... وإن لم يكن من أهل الترجيح وهم الموجودون اليوم فاختلفت فيهم مذاهب علماء مصر أو أكثرهم إلى اعتماد ما قاله الشيخ محمد الرملي في كتبه خصوصا في نهايته ... وذهب علماء حضرموت والشام والأكراد وداغستان

(5) انظر: الفيومي، المصباح المنير، د.ط، (178/1)، مادة: [خلف].

(6) الموسوعة الفقهية الكويتية، ط1، 2، (251/3).

(7) الخليفة، تيسير إجراءات التقاضي والتنفيذ دراسة مقارنة على ضوء الفقه والأنظمة السعودية، ط2، (ص101).

(1) الكاف، المعتمد عند الشافعية دراسة نظرية تطبيقية، د.ط، (ص14).

(2) انظر: الكاف، المعتمد عند الشافعية، د.ط، (ص16).

(3) الهيثمي، تحفة المحتاج، د.ط، (1/39).

(4) السقاف، الفوائد الحكيمة، د.ط، (ص117).

الله؟ قال: أجتهد رأيي، ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يرضي رسول الله))⁽³⁾.

واختصم رجلان إلى النبي ﷺ فقال لعمر: ⁽⁴⁾ اقض بينهما. فقال: أقضي بينهما وأنت حاضر يا رسول الله؟ قال: نعم على أنك إن أصبت فلك عشر أجور وإن اجتهدت فأخطأت فلك أجر))⁽⁵⁾.

وقد استخلف الخلفاء الراشدون من بعد النبي ﷺ، فإن أبا بكر لما ولي ولي عمر بن الخطاب القضاء، وأبا عبيدة ⁽⁶⁾ المال ⁽⁷⁾. واستعمل عمر عبد الله بن مسعود ⁽⁸⁾ على القضاء وبیت المال ⁽⁹⁾.

والأصل في مشروعيته فعل النبي ﷺ، فعن علي ⁽¹⁾ رضي الله عنه، قال: ((بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن، ولا علم لي بالقضاء؟ فقال: إن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان، فلا تقضين حتى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء، قال: فما زلت قاضياً، أو ما شككت في قضاء بعد))⁽²⁾.

ولما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ، ولا في كتاب

(5) أخرجه الحاكم في المستدرک، (4/ 99)، برقم (7004)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السیاقه".

(6) هو: أبو عبيدة، عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي، مشهور بكنيته، أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، وهاجر المجرتين، وشهد بدرا وما بعدها، أمين هذه الأمة، (ت: 18هـ). ابن عبد البر، الاستيعاب، ط 1، (4/ 1710)، ابن حجر، الإصابة، ط 1، (3/ 475).

(7) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب أدب القاضي، باب فضل من ابتلى بشيء من الأعمال فقام فيه بالقسط وقضى بالحق، (20/ 240)، برقم (20181).

(8) هو: عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أسلم قديماً وهاجر المجرتين، وشهد بدرا والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ، وكان صاحب نعليه، ومعلم أهل الكوفة وقاضيه، (ت: 32هـ). ابن حجر، الإصابة، ط 1، (4/ 198).

(9) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب أدب القاضي، باب فضل من ابتلى بشيء من الأعمال فقام فيه بالقسط وقضى بالحق، (20/ 240)، برقم (20182).

(1) هو: علي بن أبي طالب، أبو الحسن، علي بن أبي طالب بن عبد مناف الهاشمي، أمير المؤمنين وابن عم النبي ﷺ وختنه على بنته، شهد بدرا والمشاهد كلها، وهو أول من أسلم من الصبيان، (ت: 40هـ). ابن عبد البر، الاستيعاب، ط 1، (3/ 1089)، ابن حجر، الإصابة، ط 1، (4/ 464).

(2) أخرجه أبو داود في السنن، باب كيف القضاء، (3/ 301)، برقم (3582)، والترمذي في السنن، أبواب الأحكام، باب ما جاء في القاضي لا يقضي بين الخصمين حتى يسمع كلامهما، (3/ 610)، برقم (1331)، وقال: "هذا حديث حسن".

(3) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأقضية، باب اجتهد الرأي في القضاء، (3/ 303)، برقم (3592).

(4) هو: عمرو بن العاص، أبو عبد الله، عمرو بن العاص بن وائل السهمي، داهية قريش ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم، فرج النبي ﷺ بإسلامه، وأمره على بعض الجيوش، وجهزه للعدو، (ت: 43هـ). ابن عبد البر، الاستيعاب، ط 1، (3/ 1184)، ابن حجر، الإصابة، ط 1، (4/ 537).

إن قل عمله باشر الحكم فيه بنفسه ولم يكن له أن يستخلف، لأجل المنع منه، فإن استخلف فلا ولاية لخليفته وليس له أن يعدي خصما.

القسم الثالث: لم يؤذن له في الاستخلاف ولم ينه عنه، ففيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ليس له أن يستخلف قل عمله أو أكثر؛ لأن القضاء نيابة فاعتبر فيها لفظ المستنيب.

الثاني: له أن يستخلف، قل عمله أو أكثر اعتبارا بعموم ولايته.

الثالث: إن استخلافه معتبر بعمله فإن قل وقدر على مباشرته بنفسه لم يجوز أن يستخلف، وإن كثر وعجز عن مباشرته بنفسه جاز أن يستخلف اعتبارا بالوكيل إذا وكل في عمل قدر على مباشرته بنفسه لم يجوز أن يوكل فيه وإن عجز عن مباشرته بنفسه جاز أن يوكل فيه، فعلى هذا فيما يستخلف عليه وجهان:

أحدهما: يجوز أن يستخلف فيما عجز عنه من زيادة العمل ولا يجوز أن يستخلف فيما قدر عليه اعتبارا بالحاجة.

كما بعث ابن سور⁽¹⁾ على قضاء البصرة، وبعث شريحا⁽²⁾ على قضاء الكوفة⁽³⁾.

فدل على جواز القضاء بحضرة النبي ﷺ⁽⁴⁾.

فإذا كان نصب القضاة واجبا لما فيه من رعاية المصالح وحقن الدماء والحفاظ على الأعراض والأموال، فإن ذلك قد يتخلف بسبب التوسع العمراني أو كثرة انشغالات القضاة أنفسهم، فكان لزاما في حالة الانشغال الإنابة إما في الأقاليم أو طبيعة الأحكام؛ فإن الإنابة القضائية وسيلة لحفظ الحقوق، ولعل هذا ما حمل الرملي تبعا للأصل القول باستحباب إذن الإمام للقاضي بالاستخلاف⁽⁵⁾.

ومذهب الشافعية في استخلاف القاضي غيره على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يجعل له الإمام أن يستخلف عليه فيجوز له أن يستخلف سواء قل عمله أو أكثر.

القسم الثاني: أن ينهيه الإمام في التقليد أن يستخلف، فلا يجوز له أن يستخلف سواء قل عمله أو أكثر، لكنه

(3) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب أدب القاضي، باب فضل من ابتلى بشيء من الأعمال فقام فيه بالقسط وقضى بالحق، (20/240)، برقم (20183).

(4) انظر: العمراني، البيان في مذهب الإمام الشافعي، ط1، (13/16)، ميجي، الاستخلاف في القضاء وعلاقته بمقاصد الشريعة دراسة فقهية مقاصدية، مجلة المعيار، مجلد23، عدد45، (ص989).

(5) انظر: ميجي، الاستخلاف في القضاء، د.ط، (ص991)، الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (8/241).

(1) هو: ابن سور، كعب بن سور بن بكر بن دوس الأزدي، من كبار التابعين، أسلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره، بعثه عمر قاضيا على البصرة، (ت:36هـ). ابن عبد البر، الاستيعاب، ط1، (1318/3)، ابن حجر، الإصابة، ط1، (480/5).

(2) هو: القاضي شريح، أبو أمية، شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، من كبار التابعين، كان قاضيا على الكوفة لعمر ثم عثمان ثم علي، واستمر حتى زمن الحجاج، كان أعلم الناس بالقضاء، وذا فطنة وذكاء، (ت:87هـ). ابن عبد البر، الاستيعاب، ط1، (701/2)، ابن حجر، الإصابة، ط1، (270/3).

بالعزل لا قراءته بنفسه سواء كان قارئاً أم أمياً⁽³⁾.
فمنهج الرملي موافق لمنهج الهيتمي في هذه المسألة،
وفي طريقة الاستدلال بالعلة، فكلاهما ذكر علة وقوع
العزل وهو وجود صفة القراءة أو حصول شرط القراءة،
والقراءة تكون من القاضي أو من غيره.

المطلب الثالث: مسألة الحكم بالاستفاضة.

الاستفاضة في اللغة: مصدر استفاض. يقال:
استفاض الحديث والخبر وفاض بمعنى: ذاع وانتشر⁽⁴⁾.
وفي الاصطلاح: أن يشتهر الأمر ويستفيض وتتواتر به
الأخبار عند الشاهد من غير تواطؤ على الكذب حتى
يصير كالحسوس بحاسة البصر والسمع⁽⁵⁾. أو: انتشار
الخبر وذيعه بحيث لا يخفى⁽⁶⁾.

والأصل في مشروعيتها: ((أن النبي ﷺ سأل عاصم بن
عدي الأنصاري⁽⁷⁾ عن ثابت بن الدحداح⁽⁸⁾ وتوفي:
هل تعلمون له نسبا فيكم؟ فقال: لا، وإنما هو أتى
فيينا. قال: فقضى رسول الله ﷺ بميراثه لابن أخته))⁽⁹⁾.

والوجه الثاني: يجوز أن يستخلف على جميعه؛ لأن
العرف فيه كالإذن⁽¹⁾.

ومن منهج الرملي والهيتمي في الاستخلاف أنه يندب
للإمام إذا ولى قاضياً أن يأذن له في الاستخلاف؛
ليكون أسهل له وأقرب لفصل الخصومات⁽²⁾.

ومن خلال ما تقدم تبين أن الرملي وافق منهجه منهج
الهيتمي في مسألة الاستخلاف، وأنه يندب للإمام
الإذن للقاضي بالاستخلاف، ودليلهما التعليل.

المطلب الثاني: مسألة عزل القاضي بقراءة كتاب عزله.

من المسائل التي وافق فيها منهج الرملي منهج الهيتمي
مسألة انعزال القاضي بقراءة كتاب عزله، فذكر الرملي
وقبله الهيتمي أن الإمام إذا كتب إلى القاضي: إذا قرأت
كتابي فأنت معزول فقرأه انعزل، لوجود الصفة أو
الشرط، وكذا لو طالعه وفهم ما فيه وإن لم يتلفظ به،
وكذا إن قرئ عليه في الأصح؛ لأن القصد إعلامه

(5) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المصرية، موسوعة الفقه
الإسلامي، د.ط، (167/7).

(6) اللاحم، المطلع على دقائق زاد المستقنع «فقه القضاء
والشهادات»، ط1، (148/1).

(7) هو: عاصم بن عدي الأنصاري، أبو عمرو البلوي، حليف الأنصار،
استخلفه النبي ﷺ على العالية، (ت: 45هـ). ابن حجر، الإصابة،
ط1، (463/3).

(8) هو: ثابت بن الدحداح، أبو الدحداح وأبو الدحداحة البلوي،
حليف الأنصار. ابن حجر، الإصابة، ط1، (503/1).

(9) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الفرائض، باب من قال بتوريث
ذوي الأرحام، (442/12)، برقم (12346)، وقال: "منقطع".

(1) انظر: الماوردي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي،
ط1، (329/16)، الهيتمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، د.ط،

(10/115)، الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (241/8).

(2) انظر: الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (241/8)، الهيتمي، تحفة
المحتاج، د.ط، (115/10).

(3) انظر: الأنصاري، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، د.ط،
(291/4)، الشربيني، مغني المحتاج، د.ط، (273/6)، الرملي،
نهاية المحتاج، د.ط، (246/8)، الهيتمي، تحفة المحتاج، د.ط، (10/123).

(4) انظر: الفيومي، المصباح المنير، (485/2)، مادة: [فيض].

وهل تصح تولية من يبصر ليلاً فقط؟
رجح الأذري⁽⁶⁾ منعه، فقال: "وينبغي أن يكون يبصر ليلاً لا نهاراً كالأعمى"⁽⁷⁾. وصح الهيثمي توليتهما في زمن دون آخر، فقال: "فلا يولى أعمى ومن يرى الشبح، ولا يميز الصورة، وإن قربت، بخلاف من يميزها إذا قربت بحيث يعرفها ولو بتكلف ومزيد تأمل، وإن عجز عن قراءة المكتوب ومن يبصر نهاراً فقط وبحث الأذري منع عكسه وفي إطلاقهما نظر"⁽⁸⁾.

والذي يتجه أنه متى كان في زمن يوجد فيه ضابط البصير الذي تصح توليته وفي غيره لا يوجد فيه ذلك واطردت عادته بذلك صحت توليته في الأول دون الثاني، فمن يبصر نهاراً فقط تصح توليته إذا ولي في النهار وينفذ حكمه فيه دون الليل، ومن يبصر ليلاً فقط تصح توليته إذا ولي في الليل وينفذ حكمه فيها دون النهار"⁽⁹⁾.

وقال الشريبي: "خرج بالأعمى الأعور، فإنه يصح

ووجه الشاهد: أن النبي ﷺ اكتفى بالسؤال ولم يكلفهم أكثر من ذلك، وحكم بما استفاض وتسامع عليه أهل ذلك الحي من الأنصار"⁽¹⁾.

فالاستفاضة مستند للشهادة، يستند إليها الشاهد في شهادته، فتقوم مقام المعاينة في أمور كثيرة، وقد أوصلها بعضهم إلى اثنين وثلاثين موضعاً في المذهب الشافعي⁽²⁾، منها: تولية القاضي وعزله⁽³⁾، وكذلك اعتماد جرح الشاهد بالاستفاضة عنه بما يجرحه⁽⁴⁾، وكذلك الشهادة في التملك إذا انضمت الاستفاضة إلى اليد والتصرف ونسبة الناس الملك إليه⁽⁵⁾.

فتبين مما تقدم أن منهج الرملي موافق لمنهج الهيثمي في مسألة الحكم بالاستفاضة.

المبحث الثاني: المسائل القضائية التي خالف فيها منهج الهيثمي.

المطلب الأول: مسألة تولية من يبصر ليلاً فقط.

من شروط تولية القاضي أن يكون بصيراً،

(6) هو: الأذري، أحمد بن حمدان بن أحمد الأذري الأصل ثم الحلبي، الشيخ الإمام العلامة البارع المطلاع على كلام الأصحاب ونصوص الإمام الشافعي، صاحب المصنفات السائرة النافعة المباركة، ليس لأحد من المتأخرين ما له من الفوائد والنقل والاستحضار، (ت: 783هـ). ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ط 1، (141/3)، الغزي، بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، ط 1، (74).

(7) الأذري، قوت المحتاج في شرح المنهاج، د.ط، (17/11).

(8) قال الشرواني في الحاشية: "أي: صحة من يبصر نهاراً فقط وعدم صحة من يبصر ليلاً فقط وجرى النهاية، والمغني على الإطلاق المذكور". الهيثمي، تحفة المحتاج، د.ط، (10/106).

(9) انظر: الهيثمي، تحفة المحتاج، د.ط، (10/106).

(1) انظر: الفيفي، الحكم بشهادة التسامع دراسة فقهية مقارنة مع بيان التطبيق الجاري في المملكة العربية السعودية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 88، (ص 9).

(2) انظر: الأوقاف المصرية، موسوعة الفقه الإسلامي، د.ط، (170/7).

(3) الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (8/246)، الهيثمي، تحفة المحتاج، د.ط، (122/10).

(4) الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (8/266)، الهيثمي، تحفة المحتاج، د.ط، (161/10).

(5) الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (8/320)، الهيثمي، تحفة المحتاج، د.ط، (266/10).

لأن الكافر ليس له أهلية الولاية على المسلم، لقول الله
: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (١٤١)

[سورة النساء: 141]، والقضاء ولاية عامة، والولاية من أعظم السبل، فهذه الآية مع أنها خبر لفظاً فإنها نهي في المعنى، فهي خبرية لفظاً إنشائية معنى، أي: تنهانا عن أن يكون للكفار علينا سبيل، أي: هيمنة، والقاضي له الهيمنة والولاية؛ لأن الولاية هي إنفاذ القول على الغير شاء أم أبى، وأحكام القاضي تنفذ سواء شاء المتخاصمون أم أبوا، فإذا ولينا الكافر القضاء على المسلمين كان له الهيمنة والولاية، وهذا يتنافى مع ما تفيدته الآية من النهي عن أن يكون لغير المسلمين سيطرة أو ولاية على المسلمين (5).

ومحل الخلاف إذا وُلي الكافر القضاء بالشوكة هل تنفذ توليته أم لا؟

فالمذهب كما قرره الهيتمي نفاذ تولية الكافر؛ للاضطرار. قال: "وقد أجمعت الأمة كما قاله الأذري على تنفيذ أحكام الخلفاء الظلمة وأحكام من ولوه، ورجح البلقيني نفوذ تولية امرأة وأعمى فيما يضبطه وقن وكافر، ونازعه الأذري وغيره في الكافر، والأوجه ما قاله؛ لأن الغرض الاضطرار" (6).

توليته، وكذا من يبصر نهاراً دون من يبصر ليلاً فقط كما قال الأذري (1).

ورجح الرملي جواز ذلك فقال: "فلو كان يبصر نهاراً فقط جازت توليته، أو ليلاً فقط" (2).

قال البكري (3): "قوله: بصيراً، أي: ولو بإحدى عينيه، ولو كان يبصر نهاراً فقط دون من يبصر ليلاً فقط. قاله الأذري. وخالفه الرملي ومن تبعه فيمن يبصر ليلاً فقط، فقال يكفي كونه يبصر ليلاً فقط، كما يكفي كونه يبصر نهاراً فقط" (4).

فتبين أن منهج الرملي مخالف لمنهج الهيتمي في هذه المسألة، ولم يذكر دليل الترجيح، إلا أنه يمكن القول بأن الرملي يرى أن البصر سواء كان ليلاً أو نهاراً هو مجرد رؤية للمحسوسات، وبالتالي لا يشترط أن يكون البصر نهارياً فقط، بينما الهيتمي تبعاً للأذري يرى أن البصر في النهار هو الأصل، فمن انتفى فيه الأصل وهو رؤية النهار لا يعتد بالفرع وهو رؤية الليل -والله أعلم-.

المطلب الثاني: مسألة إنفاذ قضاء الكافر.

يشترط في القاضي أن يكون مسلماً، فلا يجوز أن يتولى القضاء غير المسلم، وهذا في القضاء بين المسلمين؛

(4) انظر: الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (238/8)، البكري، إعانة

الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ط1، (243/4).

(5) عثمان، النظام القضائي في الفقه الإسلامي، د.ط، (ص76).

(6) الهيتمي، تحفة المحتاج، د.ط، (10/114).

(1) الشربيني، مغني المحتاج، د.ط، (6/262).

(2) الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (8/238).

(3) هو: البكري، أبو بكر، عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي،

فقيه متصوف مصري استقر بمكة، له كتب، منها "إعانة الطالبين

على حل ألفاظ فتح المعين، (ت: 1302هـ). الزركلي، الأعلام،

د.ط، (4/214).

لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ [سورة النساء: 141]،
وأى سبيل أعظم من القضاء؟! وكذا لا يصح توليته
على أهل دينه؛ لأن من لا تصح ولايته على العموم لا
تصح على الخصوص؛ كالصبي والمجنون طردًا، والمسلم
عكسًا⁽⁵⁾.

المطلب الثالث: مسألة حكم القاضي في حال الغضب لله.

يكره للقاضي أن يقضي في حال غضب وجوع وشبع
مفرطين، وفي كل حال يسوء خلقه فيه؛ كالمرض،
ومدافعة الأخبثين، وشدة الحزن، والسرور، وغلبة
النعاس؛ لخبر الصحيحين: ((لا يحكم أحد بين اثنين
وهو غضبان))⁽⁶⁾، لكن هل تبقى الكراهة إذا كان
الغضب لله؟

رجح الهيتمي زوال الكراهة فقال: "ويكره أن يقضي في
حال غضب لا لله تعالى"⁽⁷⁾.

واستثنى الخطيب فقال: "نعم تنتفي الكراهة إذا دعت
الحاجة إلى الحكم في الحال، وقد يتعين الحكم على
الفور في صور كثيرة، فإن قضى مع تغير خلقه نفذ
قضاؤه؛ لقصة الزبير المشهورة"⁽⁸⁾.

منهج الرملي لا تنفذ ولاية الكافر ولا قضاؤه، قال:
"ولو ابتلي الناس بولاية امرأة أو قن أو أعمى فيما
يضبطه نفذ قضاؤه للضرورة كما أفتى به الوالد
تعالى، وألحق ابن عبد السلام⁽¹⁾ الصبي بالمرأة ونحوها لا
كافر"⁽²⁾.

ونص الفتوى: "ينفذ قضاء المرأة كما أفتى به ابن عبد
السلام دون الكافر؛ للفرق الظاهر بينهما، ولقوله
تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: 141]⁽³⁾.

فمنهج الرملي مخالف لمنهج الهيتمي في هذه المسألة،
ودليل الهيتمي قاعدة فقهية كبرى: الضرورات تبيح
المحظورات؛ قال الزركشي: "ولو ولي الإمام غير أهل
نفذ قضاؤه؛ للضرورة، وألحقه الغزالي وغيره بقاضي أهل
البغي"⁽⁴⁾.

أما الرملي فاستدل بعموم الآية الكريمة على عدم صحة
تولية الكافر؛ قال ابن رفة: "فلا يصح تولية الكافر
على المسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ

(1) هو ابن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم
السلمي، شيخ الإسلام وسلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة،
(ت: 660هـ). السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ط2،
(209/8)، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، د.ط،
(109/2).

(2) الرملي، نهاية المحتاج، د.ط، (8/ 240).

(3) الرملي، فتاوى الرملي، د.ط، (4/ 119).

(4) الزركشي، المنشور في القواعد الفقهية، ط2، (2/ 318).

(5) ابن رفة، كفاية النبيه في شرح التنبيه، ط1، (18/ 74).

(6) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأحكام، باب: هل يقضي
القاضي أو يفتي وهو غضبان، (9/ 65)، برقم (7158)، ومسلم
في الصحيح، كتاب الأقضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو
غضبان، (2/ 1342)، برقم (1717).

(7) الهيتمي، تحفة المحتاج، د.ط، (10/ 135).

(8) الشربيني، مغني المحتاج، د.ط، (6/ 286).

أما الرملي فاستدل بالعموم الوارد في النص؛ وفي كفاية الأخيار عند قول صاحب غاية الاختصار "ويجتنب القضاء في عشرة مواضع عند الغضب وعند الجوع والعطش وشدة السهر والحزن والفرح المفرط وعند المرض ومدافعة الأخبثين وغلبة النعاس وشدة الحر والبرد" -: "الأصل في ذلك كله قوله 00%: ((لا يقضي الحاكم بين اثنين وهو غضبان))⁽⁴⁾، معلوم أنه 00% لم يرد الغضب نفسه، بل الاضطراب الحاصل له به المغير للعقل والخلق، وهو في هذه الأحوال التي ذكرها الشيخ مغير للعقل وإن تفاوتت، فلا يتوفر الاجتهاد. وهل المنع للكرهية الذي صرح به الرافعي وجماعة أنه يكره؟ وكلام الماوردي يقضي أنه الأولى، فإن حكم في هذه الأحوال نفذ حكمه. قال الإمام البغوي وجماعة: والغضب عن الحكم فيه إذا كان لغير الله تعالى، أما إذا كان لله تعالى فليس منهيًا عنه، واستغربه الروياني وقال: المحذور هو عدم توفيره على الاجتهاد ولا يختلف الحال فيه بين الغضبين والله أعلم"⁽⁵⁾.

فكلاهما استدلا بالسنة النبوية، واجتهادا داخل المذهب -والله أعلم-.

أما الرملي فأطلق الكراهة وقال: "ومقتضى إطلاق المصنف ٢٠ عدم الفرق بين الغضب لنفسه أو لله تعالى، وهو كذلك كما أفتى به الوالد ٢٠ تبعا للأذرعى خلافا للبلقيني ومن تبعه؛ لأن المحذور تشويش الفكر وهو لا يختلف بذلك"⁽¹⁾.

فتبين مما سبق أن الرملي بإطلاقه الكراهة خالف منهج الهيئتي في استثنائه، فالهيئتي استدلت بالقصة التي وقعت للزبير مع الأنصاري f، ((أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة، التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه؛ فاختصما عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: أسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك، فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ [النساء: 65])⁽²⁾.

قال ابن العراقي: "والفرق أن الغضب لله تعالى يؤمن معه التعدي، بخلاف الغضب لحظ النفس؛ فإنه لا يؤمن معه مجاوزة الحد"⁽³⁾.

(4) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأحكام، باب: هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، (9/ 65)، برقم (7158)، ومسلم في الصحيح، كتاب الأقضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان، (2/ 1342)، برقم (1717).

(5) الحصني، كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، ط 1، (ص 554).

(1) الرملي، نهاية المحتاج، د. ط، (8/ 254).

(2) أخرجه في الصحيح، كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار، (3/ 111)، برقم (2359).

(3) ابن العراقي، تحرير الفتاوى على التنبيه والمنهاج والحاوي، ط 1، (568/3).

الخاتمة

الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على مسك الختام المبعوث رحمة للأنام، وعلى آله وأتباعه الآخرين الأولين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد: فهذه خاتمة بحثي الموسوم بـ (المقارنة بين منهج الرملي وبين منهج الهيثمي في مسائل القضاء)، وأبرز النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث ما يلي:

أولاً: النتائج:

- 1- أن معتمد المذهب عند متقدمي الشافعية ما اتفق عليه الرافعي والنووي وعند الاختلاف فالنووي، وعند المتأخرين ما اتفق عليه الهيثمي والرملي، وعند الاختلاف خلاف.
- 2- أن الرملي والهيتمي تتلمذا على الشهاب الرملي وزكريا الأنصاري.
- 3- أنهما اتفقا في الأخذ ممن سبقهما من العلماء والكتب.
- 4- أنهما اتفقا في منهجية الاستدلال بالوحيين، وبالتعليل، ويقول الأصحاب وفتاويهم.
- 5- أن اجتهديهما داخل المذهب لا خارجه.
- 6- أن منهج الرملي في الاستخلاف في القضاء موافق لمنهج الهيثمي.
- 7- أن منهج الرملي في انعزال القاضي بقراءة كتاب عزله موافق لمنهج الهيثمي.
- 8- أن منهج الرملي في الحكم بالاستفاضة موافق لمنهج الهيثمي.
- 9- أن منهج الرملي في جواز تولية من يبصر ليلاً

فقط مخالف لمنهج الهيثمي.

- 10- أن منهج الرملي في عدم إنفاذ ولاية الكافر إذا ولي بالشوكة مخالف لمنهج الهيثمي.
- 11- أن منهج الرملي في كراهة حكم القاضي في حال الغضب لله مخالف لمنهج الهيثمي.

ثانياً: التوصيات:

- 1- إبراز منهج القضاء عند باقي علماء الشافعية من خلال كتبهم؛ كالإمام الأذري في كتابه قوت المحتاج في شرح المنهاج، وكالبكري في كتابه إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين.
- 2- عمل مقارنة بين مناهج العلماء في القضاء في مذهب واحد أو بين مذاهب مختلفة.
- 3- عمل مقارنة بين مناهج القضاء الحديثة والقديمة.

المصادر والمراجع

1. آدم، محمد يوسف، منهج الإمام القرافي في مسائل القضاء، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد الثالث، العدد السابع، يوليو 2023م.
2. الأذري، أبو العباس، أحمد بن حمدان، قوت المحتاج في شرح المنهاج، تحقيق: عيد محمد عبد الحميد، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت).
3. الأنصاري، زكريا بن محمد، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، د.ط، (د.م: دار الكتاب الإسلامي، ب.ت).

10. الحصني، محمد بن عبد المؤمن، كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، المحقق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان ط1، (دمشق: دار الخير، 1994م).
11. الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ط1، (د.م: دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م).
12. الخليفة، ماجد بن سليمان، تيسير إجراءات التقاضي والتنفيذ دراسة مقارنة على ضوء الفقه والأنظمة السعودية، ط2، (د.م: د.ن، 1435هـ/2014م).
13. دائرة الإفتاء الأردنية، المدخل إلى المذهب الشافعي، ط1، (د.م: دار الفتح للدراسات والنشر، 1445هـ/2023م).
14. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، (صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، د.ت).
15. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط1، (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، 1412هـ).
16. ابن رفة، أحمد بن محمد، كفاية النبيه في شرح التنبيه، المحقق: مجدي محمد سرور باسلوم، ط1، (د.م: دار الكتب العلمية، 2009م).
17. الرملي، أحمد بن حمزة، فتاوى الرملي، جمعها:

4. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري=الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، (د.م: دار طوق النجاة، 1422هـ).
5. البكري، عثمان بن محمد شطا، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ط1، (د.م: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ/1997م).
6. البلقيني، عمر بن رسلان، التدريب في الفقه الشافعي، حققه وعلق عليه: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، ط1، (الرياض: دار القبلتين، 1433هـ/2012م).
7. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، (د.م: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 1432هـ/2011م).
8. الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ/1990م).
9. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ).

24. الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ط1، (د.م: دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م).
25. الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، د.ط، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
26. الشيتوي، محمد رجب، النصرانية دراسة مقارنة، د.ط، (القاهرة: دار للطباعة المحمدية، 1410هـ/1989م).
27. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المحقق: علي محمد البجاوي ط1، (بيروت: دار الجيل، 1412هـ-1992م).
28. عثمان، محمد رأفت، النظام القضائي في الفقه الإسلامي، ط2، (د.م: دار البيان، 1415هـ/1994م).
29. العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، تخرّيج أحاديث الإحياء = المغني عن حمل الأسفار، ط1، (بيروت: دار ابن حزم، 1426هـ/2005م).
30. ابن عرفة، محمد بن محمد التونسي، المختصر الفقهي، المحقق: د. حافظ عبد الرحمن محمد خير، ط1، (د.م: مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، 1435هـ/2014م).
31. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابنه، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي، د.ط، (د.م: المكتبة الإسلامية، د.ت).
18. الرملي؛ محمد بن أحمد بن حمزة، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، د.ط، (بيروت: دار الفكر، 1404هـ/1984م).
19. الزركشي، محمد بن عبد الله، المنشور في القواعد الفقهية، ط2، (د.م: وزارة الأوقاف الكويتية، 1405هـ-1985م).
20. الزركلي؛ خير الدين بن محمود، الأعلام، ط15، (د.م: دار العلم للملايين، 2002م).
21. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، (د.م: هجر لطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ).
22. السديس، عبد الرحمن بن عبد العزيز، العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي، مجلة البحوث الإسلامية، المجلد الثامن والخمسون، العدد الثامن والخمسون، من رجب إلى شوال 1420هـ.
23. السقاف، علوي بن أحمد بن عبد الرحمن، الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، اعتنى به: حميد بن مسعد الحالمي، د.ط، (د.م: مركز النور للدراسات والأبحاث، د.ت).

38. الفيافي، سليمان بن علي، الحكم بشهادة التسماع دراسة فقهية مقارنة مع بيان التطبيق الجاري في المملكة العربية السعودية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، كلية الآداب، العدد 88، 2019م.
39. الفيومي، أحمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د.ط، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت).
40. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط1، (بيروت: عالم الكتب، 1407هـ).
41. الكاف، محمد بن عمر بن أحمد، المعتمد عند الشافعية دراسة نظرية تطبيقية دراسة لتاريخ الترجيح والتصحيح في المذهب الشافعي من التأسيس إلى الاستقرار، د.ط، (د.م: د.ن، د.ت).
42. مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، د.ط، المحقق: مجمع اللغة العربية ال (د.م: دار الدعوة، د.ت).
43. اللاحم، عبد الكريم بن محمد، المطلع على دقائق زاد المستقنع «فقه القضاء والشهادات»، ط1، (الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، 1433هـ/2012م).
44. الماوردي، علي بن محمد بن محمد، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، المحقق:

- حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، (دمشق - بيروت: دار ابن كثير، 1406هـ/1986م).
32. عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، (د.م: عالم الكتب، 1429هـ/2008م).
33. العمراني، يحيى بن أبي الخير، البيان في مذهب الإمام الشافعي، المحقق: قاسم محمد النوري، ط1، (جدة: دار المنهاج، 1421هـ/2000م).
34. العيذرؤوس، عبد القادر بن شيخ عبد الله، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ).
35. الغزي، محمد بن أحمد، بجهة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، ضبط النص وعلق عليه: أبو يحيى عبد الله الكندري، ط1، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/2000م).
36. ابن فارس، أحمد القزويني الرازي، مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، (د.م: دار الفكر، 1399هـ/1979م).
37. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ/2005م).

52. الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر،
تحفة المحتاج في شرح المنهاج، روجعت
وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من
العلماء، د.ط، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى،
1357هـ/1983م).
53. الهيتمي، الفتاوى الفقهية الكبرى، جمعها:
تلميذ ابن حجر الهيتمي، الشيخ عبد القادر بن
أحمد بن علي الفاكهي المكي، د.ط، (د.م:
المكتبة الإسلامية، د.ت).
54. الهيتمي، الدر المنضود في الصلاة والسلام
على صاحب المقام المحمود، عني به: بوجعة عبد
القادر مكري ومحمد شادي مصطفى عريش،
ط1، (جدة: دار المنهاج، 1426هـ).
55. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت،
الموسوعة الفقهية الكويتية، ط1، 2، (الكويت،
مصر: دار السلاسل، مطابع دار الصفوة، من
1404-1427هـ).
56. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، موسوعة
الفقه الإسلامي، د.ط، (مصر: د.ن، 1386-
1442هـ).

- الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد
عبد الموجود، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية،
1419هـ/1999م).
45. المحي الحموي، حادي الأظعان النجدية إلى
الديار المصرية، د.ط، (د.م: د.ن، د.ت).
46. المحي الحموي، خلاصة الأثر في أعيان القرن
الحادي عشر، د.ط، (د.م: د.ن، د.ت).
47. المري، محمد حمد سالم، منهج ابن فرحون في
القضاء، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية
الدراسات العليا، القضاء الشرعي، 2004م.
48. مسلم، أبو الحسين، ابن الحجاج القشيري،
صحيح مسلم=المسند الصحيح المختصر بنقل
العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق:
محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، (بيروت: دار إحياء
التراث العربي، د.ت).
49. ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، لسان
العرب، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414هـ).
50. مكي، عبد الحق، الاستخلاف في القضاء
وعلاقته بمقاصد الشريعة دراسة فقهية
مقاصدية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية كلية أصول الدين، مجلة المعيار، عدد
45، مجلد 23، 2019م.
51. النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح
مسلم بن الحجاج=شرح صحيح مسلم، ط2،
(بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392).

الإحالة وأثرها في الاستنباط الفقهي من الحديث النبوي الشريف

الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

إيمان علي حسين العبادي

الأستاذ المشارك بكلية اللغات قسم اللغة العربية

طالبة دكتوراة كلية اللغات قسم اللغة العربية جامعة

جامعة المدينة العالمية

المدينة العالمية

Mohamed.salah@mediu.my

enad.al77ob@hotmail.com

الملخص

توافرت في لغة الحديث الشريف بعض الظواهر اللغوية، من أبرزها: الإحالة، وكان له دور كبير في فهم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفقهه، وبناء بعض الأحكام الفقهية عليها، فأرادت الباحثة أن تعرّف بهذه الظاهرة في بحث موجز، وتوضح ما يدور حولها من دراسات لغوية، ومن ثم تبرز وجود هذه الظاهرة في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وتبين أثر هذه الظاهرة في فهم الحديث وفقهه، وقد انتظم البحث في النقاط الآتية:

مفهوم الإحالة في الدرس اللغوي، وعناصرها، الإحالة في إطار التواصل، وظائفها وأنواعها، السياقات التي ترد فيها الإحالة، تضافر الإحالات داخل النص الواحد، مع الأمثلة والنماذج المدروسة على تلك النقاط.

وقد توصلت الباحثة إلى نتائج، من أهمها: أنه على الرغم مما وجه لكثير من نظريات العربية من انتقادات واعتراضات، إلا أن السبق للثقافة العربية الإسلامية كان ثابتاً لا مراء فيه في نظريات اللغة الحديثة، فبالنظر إلى تراث أجدادنا -رحمهم الله- سنجدهم يستخدمون تلك النظريات، ويوظفونها بما يتناسب مع طبيعة لغتنا الشريفة؛ بما لهم من دراية وعراك في شئون اللغة خاصة والثقافة الإسلامية عامة.

الكلمات المفتاحية: الإحالة - الحديث.

Abstract

The Noble Prophetic Hadith contains several distinct linguistic phenomena, chief among them the phenomenon of referencing (al-iḥālah), which plays a critical role in understanding both the language and legal meanings of the Prophet's sayings (peace be upon him), as well as in deriving certain jurisprudential rulings. This study aims to introduce and define the concept of referencing, review its treatment in contemporary linguistic scholarship, and explore its presence and function within Hadith texts. It examines key aspects such as the concept and components of referencing in linguistic theory, its role in communicative frameworks, its functions and classifications, the contexts in which it occurs, and the interrelation of references within a unified text—each illustrated through selected examples and analytical models from Hadith literature. Among the study's main findings is the recognition that, despite critiques of traditional Arabic linguistic theories, Arabic-Islamic scholarship clearly anticipated many ideas found in modern linguistics. Classical scholars effectively applied these concepts in ways that align with the structure and expressive nature of the Arabic language, reflecting a deep understanding of linguistic principles and their relevance to Islamic legal and cultural contexts.

Key words: Referring to previously mentioned text, Hadith.

المقدمة

ذا أصل قريب أو ظاهر بحيث لا يتطرق الذهن إلى إمكان رده إلى أصل غيره، وإن كان ذا أصل بعيد أو ممتنع لا ينسجم مع أصل ظاهر أو قريب سُمي الوجه التأويلي تخريجاً، ويتضح مما تقدم أن التوجيه التأويلي لا يخرج عن وجهي الرد أو التخريج⁽³⁾، وأصلها كلها التوجيه.

ويمكننا القول إنَّ الخلاف النحوي والدلالي يعد معيّنًا لا ينضب يرفد التفكير النحوي والفقهية معاً، لأنَّ الخلاف لا ينشأ من فراغ بل يستند إلى دليل من السماع أو القياس أو غيره؛ لذا كان هذا البحث بعنوان: (الإحالة وأثرها في الاستنباط الفقهي من الحديث النبوي الشريف)

أولاً: مشكلة البحث:

لابد أن ينظر الباحث لكل ما هو جديد آت من الشرق أو الغرب، ثم يبحث في جذورها عندنا في الثقافة العربية والإسلامية، فقد يكون للنظرية أو لذلك الوافد الجديد أصول في المكتبة العربية، يجب التنقيب عنها؛ ليس فقط لمجرد إثبات سبق للثقافة العربية الإسلامية، ولكن للنظر كيف كان أجدادنا -رحمهم الله- يستخدمون هذه النظريات؟ وكيف كانوا يوظفونها بما يتناسب مع طبيعة لغتنا الشريفة؛ بما لهم من دراية

إن من أعمدة التفكير النحوي الأولى التوجيه والتأويل والتخريج، وقد حظي التوجيه النحوي بنصيب موفور في التراث العربي، وإن السمة الغالبة في توجيهاتهم تستند إلى دليل من السماع أو القياس، وهذا ما يسميه الأصوليون بالتوجيه الاستدلالي، ويشتمل السماع على كلام العرب الفصيح شعره ونثره، والقرآن الكريم بقرآته فضلاً عن اللهجات العربية المختلفة، وصنيعهم هذا لهدف واحد هو حفظ اللغة من العبث والفوضى ووضع أنظمة وضوابط تعصمها من الخطأ، ولكن هذه الضوابط والقوانين لم تسر على نتاجات اللغة جميعها من شعر ونثر حتى إنَّ هذه الضوابط قد تتقاطع مع نصوص القرآن الكريم، فلجأ النحاة إلى وجوه من التأويل كالقول بالزيادة والتضمين، والحذف والتقديم والتأخير والإضمار وغيرها من الوجوه التي تجعل النص اللغوي متسقاً مع القاعدة النحوية⁽¹⁾؛ ولهذا لم يطعنوا فيما وضعوا من قواعد، وبهذا أصبح التأويل عندهم مجالاً خصباً واسعاً في التماس الأعذار النحوية التي أقرها النحاة، وقد سمت هذه الأعذار بالنحو إلى الأفضل⁽²⁾.

وهذا كله يحصل في التأويل إذا كان العنصر المراد تأويله

العزیز عبد الله محمد، "العدول في العربية"، رسالة دكتوراة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، 1420هـ - 2000م، (ص203).

(3) انظر: أبو المكارم، علي "أصول التفكير النحوي": (232).

(1) انظر: أبو المكارم، علي، "أصول التفكير النحوي": (ص258)،

حسان، تمام، "الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب"، د. ط، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، (ص139).

(2) انظر: الحموز، عبد الفتاح، "التأويل النحوي في القرآن الكريم"،

ط 1، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٩٨٤م، (1/21-22)، عبد

رابعاً: أهمية البحث:

تتلخص أهمية البحث في الآتي:

1- تُعدّ نصوص الكتاب والسنة من النصوص القولية، التي تجري عليها قواعد اللغة العربية من حيث الأسلوب والدلالة وأنواع البيان، فهي ليست بمنأى عن خصائص النصوص اللغوية، بل تتفوق عليها في البلاغة والفصاحة والسعة، ما يجعل فهمها فقهاً ولغةً من أرقى مسالك العلم. ولهذا كان الإحاطة بجوانبها الأسلوبية والدلالية ضرورة لفهم معانيها، واستنباط الأحكام منها بدقة.

2- جعل الله سبحانه لسان نبيه ﷺ أداةً لبيان الوحي وتفسيره، فكان ﷺ مفسراً لما أنزل إليه من المعاني والألفاظ، ومُعبراً عنها بأفصح لسان وأبلغ بيان، كما ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: “فُضِّلْتُ على الأنبياء بسِتٍّ: أُعْطِيتُ جوامع الكلم...”، مما يدل على مكانة البيان النبوي في توضيح مقاصد الشريعة.

3- نشأ التقارب والتكامل بين علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية، فقد أولى علماء أصول الفقه اهتماماً كبيراً باستقراء الأساليب العربية ومفرداتها وتراكيبها، وأسسوا من خلال هذا الاستقراء قواعد أصولية دقيقة لفهم النصوص الشرعية. كما استفاد علماء اللغة من جهود علماء الأصول في تأصيل كثير من القواعد اللغوية والبيان.

خامساً: أسباب اختيار البحث:

1. بيان أثر معرفة معطيات اللغة العربية - خاصة

وعراك في شئون اللغة خاصة والثقافة الإسلامية عامة؟ وهنا للبحث أن يتساءل: هل عرف أجدادنا العرب المسلمون نحو النص أو الألسنية النصية دون وضع نظرية له بهذا الاسم بطبيعة الحال؟ ولو عرفوه كيف عبروا عنه؟ وكيف وظفوه في مصنفاتهم؟ وهل استفادوا منه وأخذوا منه ثمرة مفيدة؟ وما هي تلك الثمرة؟

ثانياً: أسئلة البحث:

يجيب هذا البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. ما أثر معرفة معطيات اللغة العربية - خاصة الظواهر النحوية التركيبية - في فهم لغة الحديث النبوي الشريف وبيان ما بُنيت عليه من أحكام فقهية؟
2. كيف يمكن استنباط معرفة الفقهاء الرصينة بمعطيات اللغة العربية وعلم النحو من واقع ما استنبطوه من أحكام فقهية من خلال الحديث النبوي الشريف؟
3. كيف يمكن توظيف معطيات الدرس النحوي في الترجيح بين الآراء الفقهية المختلفة من خلال فهم تركيب النصوص الشرعية عموماً والحديث الشريف خصوصاً؟

إجابات تلك الأسئلة ستوضح -إن شاء الله تعالى- من خلال مطالعة هذا البحث والوقوف على فصوله ونتائجه.

ثالثاً: أهداف البحث:

1- البحث في التراث العربي الإسلامي.
2- إبراز مكانة لغة الحديث الشريف في الدرس اللغوي.
3- ربط الدراسات الحديثة بالعلوم اللغوية والعلوم الشرعية.

حيال هذه النصوص، تتناول النص من جهة اللفظ ومن جهة المعنى، واختلفت مسالكهم في ذلك.

2- مقارنة تلك الآراء والأقوال الفقهية بغيرها، وهي مبثوثة بكتب الفقه والخلاف العالي؛ لمعرفة مدى تأثيرها بالدراسات اللغوية.

ثامناً: الدراسات السابقة:

1- الإحالة وأثرها في التماسك النصي، لعائشة عبد الله الظاهري، وقد تناولت الدراسة تعريفات الإحالة وعناصرها وأنماطها، ومعايير صحتها، كما بينت الوسائل والتقنيات التي تتحقق بها، كالضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وسعت الدراسة إلى التركيز على الدراسة البينية بين الإحالة وغيرها من فروع اللغة وموضوعاتها، كبيان الأبواب البلاغية المعتمدة على الإحالة في تراكيبها أو استنتاج دلالاتها، كعلاقة الإحالة بالمعنى والاستعارة والحذف وغيرها من موضوعات البلاغة، كما تناولت علاقة الإحالة بعملية التلقي، وكيف تسهم في تلقي المتلقي للنص، وعلاقة الإحالة بغيرها من القرائن التي تسهم في الكشف عن المعنى، وتحديدًا علاقتها بنظرية تضافر القرائن لتمام حسان، وأخيراً، ناقشت الدراسة الغموض الإحالي وأسبابه، وهو ما يؤدي إلى عدم فهم الإحالة فهماً دقيقاً، وطرق تجنب ذلك.

2- الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه “عيون البصائر” أنموذجاً / مشري أmaal، وقد تناولت الدراسة موضوع الإحالة مع التنقيب عن دلالاته، والبحث عن حبيته، إذ تُعدُّ أكثر أدوات الربط الاتساقية حضوراً في

الظواهر النحوية التركيبية- في فهم لغة الحديث النبوي الشريف وبيان ما بُنيت عليه من أحكام فقهية.

2. عرض كيفية استنباط معرفة الفقهاء الرصينة بمعطيات اللغة العربية وعلم النحو من واقع ما استنبطوه من أحكام فقهية من خلال الحديث النبوي الشريف.

3. بيان إمكانية توظيف معطيات الدرس النحوي في الترجيح بين الآراء الفقهية المختلفة من خلال فهم تركيب النصوص الشرعية عموماً والحديث الشريف خصوصاً.

سادساً: حدود البحث:

لا يعدو البحث أحاديث بابي الصوم والحج، مع بيان اختلاف التوجيه الدلالي لها، والتعرض لأثر ذلك الاختلاف الدلالي في اختلاف الفقهاء من المذاهب الفقهية الرئيسة.

سابعاً: منهج البحث وخطواته العامة:

يتبع البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنتاجي المقارن؛ حيث تقوم الباحثة من خلاله باستقراء أحاديث أبواب الصيام والحج؛ لاستخراج توجهات الفقهاء حولها وحول دلالاتها، وسيتمثل منهج البحث فيما يأتي:

1- استقراء تام لأحاديث الصوم والحج ثم القيام بعملية تحليل تلك الأحاديث واستنباط الاختلاف الدلالي منها، فمع ثبوت النص قد يعرّوه غموض أو يكتنفه إبهام، فينحصر اهتمام المجتهد في تحديد المعنى المراد حينئذ من النص بتفسيره أو تعيينه، وقد قدم مجتهدو هذه الأمة قواعد ومعايير تفسيرية وضعوها

تعريفات تمتاز بالضباية وعدم دلالة هذا التعريف على مسمى الإحالة.

وعدم الاتفاق على تعريف للإحالة راجع إلى:
أنّ الإحالة معنى قديم ترعرع في نحو الجملة ليصير أكثر تعقيداً بمجيء نحو النص، وذلك مما أضفاه نحو النص من عناصر ومحددات تتم من خلالها الإحالة، باعتبارها أهم عنصر من العناصر الاتساقية في النصوص.

وهذا لا يمنعني من أن أسوق مختلف التحديدات التي خُصّت بها الإحالة محاولة أن أجمع بين هذه المحددات في تعريف مبسّط لها.

أشار روبرت دي بوجراند في تعريفه للإحالة بأنها "العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"⁽⁴⁾.

ويعرفها كلاماير بأنها: "العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر الإحالة) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة)"⁽⁵⁾.

كما حدّدها تنيير: "ربط دلالي إضافي لا يطابقه أي ربط تركيبى"⁽⁶⁾، وبإحداث إسقاط بين التعريفات الثلاثة السابقة يمكن تحديد مفهوم الإحالة - في ضوء ما تقدم - بأنها: علاقة معنوية بين ألفاظ وأسماء معينة، وما تدلّ عليه من موجودات أو مسميات داخل

النصوص الأدبية، فهي مزيج من أدوات الربط كضمائر الغائب و أسماء الإشارة والأسماء الموصولة؛ ولتبيان الملامح الأساسية لهذا المصطلح النصي، ذهب ليحيب عن تساؤل: ما المقصود بالإحالة في اللغة وفي الاصطلاح النصي؟ و ماهي أنواعها؟.

المبحث الأول: الإحالة وأثرها في الاستنباط الفقهي
تمهيد: مفهوم الإحالة لغة:

الإحالة مصدر الفعل (أحال) الذي يدلّ على التحول ونقل الشيء إلى شيء آخر، نقول أحلت الكتاب عن مكانه أي: حوّلت الكتاب عن مكانه.

وفي تاج العروس أحال الشيء : تحوّل من حال إلى حال أو أحال الرجل: تحوّل من شيء إلى شيء⁽¹⁾، وفي القاموس المحيط حال الشيء وأحال : تحوّل⁽²⁾، وورد في المعجم الوسيط أحالت الدار أي: تغيّرت، وحال الشيء أو الرجل تغيّر من حال إلى حال وأحاله نقل الشيء إلى غيره⁽³⁾.

تعريف الإحالة الاصطلاحي:

لم يتفق على تعريف اصطلاحى للإحالة سوى ما نجده ماثوفاً في الكتب التي عنت باللّسانيات النصية، وهذا من محدّدات تقوم عليها هذه الأخيرة، وهناك من أعطى

(4) دي بوجراند، روبرت، "النص والخطاب والإجراء"، د.ط، عالم الكتب، القاهرة، 1998م، ترجمة: تمام حسان، (ص122).

(5) بحيري، سعيد حسن، "دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة"، ط1، مكتبة زهراء - الشرق القاهرة، د.ن، د.ت، (ص82).

(6) المرجع السابق: (82).

(1) انظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، "تاج العروس"، ط1، المطبعة الخيرية - مصر، 1306هـ، مادة (حول).

(2) انظر: الفيروز آبادي، مجد الدين، "القاموس المحيط"، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1952م، مادة (حول).

(3) مجمع اللغة العربية، "المعجم الوسيط"، ط1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1927م - 1392هـ، مادة (حول).

قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة؛ بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب⁽²⁾، ثم عدّد أنواع الإحالة ليصير مفهومها أكثر جلاء باستقصائه أنواعها.

وربما يرجع عدول الأزهر الزناد عن إعطاء مفهوم شامل ودقيق للإحالة هو كثرة تشعبها وسعة موضوعها واختلاف حدوثها من نص لآخر، حتى ربما أن الإحالة تردّ من اللانص، فكما أنها تتشكل من التتابع الخطي للكلمات والعبارات داخل النصوص المختلفة فكذلك نلمحها من الحواس الأخرى التي لها لغتها الخاصة.

المطلب الأول: عناصر الإحالة:

المتكلم أو الكاتب: وهو العنصر الأساسي الذي تجري به عملية التخاطب؛ إذ إن الخطاب يتشكل من بنيات اللغة البشريّة والمتكلم هو المخوّل له أن يصنع من هذه البنيات صيغاً خطية لها دلالات كامنة في ذاته و"المتكلم من وقع الكلام من قصده وإرادته واعتقاده والذي يدل على ذلك أن أهل اللغة متى علموا واعتقدوا وقوع الكلام بحسب أحوال أحدنا وصفوه بأنه متكلم ومتى لم يعلموا ذلك أو يعتقدوه لم يصفوه"⁽³⁾.

وحتى يعبر المتكلم عن معانيه النفسية التي يريد أن يوصلها للمستمع يجب أن يتوافق فهمه للخطاب مع مستمعه لتحقيق عملية التواصل وإلا يبقى الخطاب مبهمًا يحتل من التأويلات مالا يستقيم مع مقاصده

النصوص، أو خارجها، ولها محدّداتها التي تعرف بها، منها الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأدوات المقارنة... إلخ.

وإن كان اقتصارنا في مفهوم الإحالة على ما جاء به الدارسون الغرب؛ ذلك لأنّ الباحثين العرب لم يحدّدوا مفهومًا خاصًا يزيل الضبابية عن مصطلح الإحالة.

ولعلّ د. سعيد حسن بحيري قدّم مبررًا بعدم اقتراح مفهوم للإحالة لئلا نضع الدارس في دوامة عدم استقرار المصطلح، وذهب إلى منطقيّة ما ذهب إليه من عاجل موضوع الإحالة من رجوعهم إلى مقولات اللغويين المتقدمين، حيث قال: "... اعتماد أصحاب هذا الاتجاه المتميز في معالجة ظاهرة الإحالة على مقولات اللغويين المتقدمين، وذلك أمر منطقيّ يقتضيه التواصل المعرفي والاستمراريّة لإيضاح الأفكار الجزئية، وهو ما يبرر بل يحتم علينا الاعتماد على مقولات النحاة القدامى واستخلاص التصورات القيمة فينشأ ما يشبه التواصل البحثي..."⁽¹⁾.

وهكذا يعد د. بحيري الرجوع إلى الموروث اللغوي ضرورة، باعتباره الكلّ الذي لا ينبغي الاستغناء عنه في إيضاح الجزء.

ومن الباحثين - كذلك - الذين تطرقوا لموضوع الإحالة د. الأزهر الزناد في كتابه (نسيج النص) حيث ذكر تحت عنصر مفهوم الإحالة أن هذه التسمية تطلق على

(2) انظر: الزناد، الأزهر، "نسيج النص"، ط1، المركز الثقافي العربي، 1993م، (ص 121).

(3) الزناد، الأزهر، "نسيج النص"، (ص44).

(1) بحيري، سعيد حسن، "دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة"، ط1، مكتبة زهراء - الشرق القاهرة، د.ن، د.ت، (92).

في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولا حقة بها، والعلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواضع الألفاظ الدالة عليها في النطق⁽⁴⁾. وعلى هذا يصير اللفظ خادماً للمعنى ولا ينصرف عنه إذ إنه لا يصح أن يجتمع المعنيان في مدلول اللفظ الواحد، فقد أكد علماء البلاغة الأوائل على أن يكون اللفظ مطابقاً للمعنى، ومن هنا وجب أن يزال اللبس باقتزان اللفظ بالمعنى المخصوص المستقر في نفس المتكلم.

ج- المحال إليه : قد يكون المحال إليه موجوداً في النص أو خارجه، ويتم تفسيره من المتلقي (السامع) وفقاً لحضوره الذهني داخل النص، متتبّعاً لمراد المتكلم ومقصده للوضع اللفظي، وهذا ما يدخل في مفهوم السنن (الشفرة) ؛ إذ هو الإطار الذي تتم فيه المواضعة بين شخصين أو أكثر، أو هو الوعي بأشكال التخاطب اللغوي وغير اللغوي بين المتخاطبين ليتم التواصل بمفهومه الشامل، أو هو "نسق القواعد المشتركة بين الباث والمتلقي والذي بدونه لا يمكن للرسالة أن تفهم أو تؤول"⁽⁵⁾.

السنن "القانون المنظم للقيم الإخبارية والهرم التسلسلي الذي ينظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل

التي وُضع لها الخطاب أصلاً.

ومن الشروط التي وجب أن يراعيها المتكلم في خطابه أن تكون الإحالة واضحة الدلالة تتماشى وطبيعة اللغة التي يتكلمها المتكلم، ولذلك صار المتكلم (واضع النص) العنصر الأساسي في الإحالة.

ب العنصر المحيل⁽¹⁾:

لو سُئل عن تحديد موقع العنصر المحيل من دائرة التواصل لحدّد موقعه في الرسالة (النص) ؛ إذ إن الرسالة "الجانب الملموس في العملية التخاطبية حيث تتجسّد عندها أفكار المرسل في صورة سمعية، لما يكون التخاطب شفهيّاً"⁽²⁾.

ومن هذا يظهر أن الرسالة إما أن تكون كلاماً شفاهياً⁽³⁾ أو إيحائياً عن طريق الإشارة، وقد أشير - في ما سبق - إلى أهمية الإشارة في التواصل ولذلك فالعنصر المحيل يحتل موقعا بين المتكلم (الكاتب)

والسامع (المتلقي) لأجل أن الرسالة تتطلب أن تكون متسقة ينزل فيها المعنى دفعة واحدة ولا يتأخر فيها عن اللفظ، يقول عبد القاهر الجرجاني: "فإنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك فإذا تم لك ذلك أتبعته الألفاظ وقفوت بها آثارها، وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً

(4) الجرجاني، عبد القاهر، "دلائل الإعجاز"، ط1، دار الكتب

العلمية، لبنان، 2001م، تح: عبد الحميد هندواوي، (ص97).

(5) أوكان، عمر، "اللغة والخطاب"، دط، إفريقيا الشرق، المغرب، (ص49).

(1) يسميه بعض الدارسين (اللفظ المحيل) ونوثر أن نسميه (العنصر المحيل) فهو إما أن يكون لفظاً أو غيره من عناصر التواصل.

(2) الطاهر بومزير، "التواصل اللساني والشعرية"، ط1، منشورات الاختلاق، 2007م، (ص29).

(3) وقد تكون الرسالة نصّاً مكتوباً.

إليه أو بين الألفاظ وما تحمله من دلالات تظهر علاقتها من انضمام الكلام بعضه إلى بعض، وقد درسه النّحاة من خلال الإعراب؛ لأن هذا الأخير يقوم على أساس الفقه المعنويّ لدلالة اللفظ وعمله داخل الجملة أو النصّ.

المطلب الثاني: وظائف الإحالة النحوية والبلاغية:

ركز عبد القاهر الجرجاني عند تأسيسه لنظرية النّظم على الجانب التّحوي الذي يحكم الألفاظ ويجعلها سبباً منه؛ فلا يمكن أن نفصل هذا الجانب عن النّظم وهو قانونه وأساسه يقول عبد القاهر: "اعلم أن ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله فلا تخلّ بشيء منها"⁽³⁾.

فالكلام لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا إذا كانت تحكمه قوانين النّحو، فيخضع لأسراره، وينتظم بقواعده، وباعتبار أن الإحالة منبثقة عن الكلام فلا يمكن أن نفصلها عن النّحو الذي هو قانون الكلام ودستوره، وعماد الخطاب ونوره، ومتى أخللت به غيّرت من المعنى الذي تريد أن توصله إلى سامعك؛ لأن المعاني ما هي إلا بنيات الألفاظ ووليداتهما.

وإذا كانت الإحالة لها وظيفة نحويّة، ذلك لأنها وسيلة للربط، فلا يمكن أن يخلو منها نصّ من النّصوص، وتعد الضّمائر الوسيلة الإحالية الأكثر انتشاراً في

والمرسل إليه كل نمط تركيبّي، فمنه ينطلق الباث عندما يرسل رسالة خطائيّة معيّنة، حيث يعمل على الترميز"⁽¹⁾.

وبعد التّواضع المعجمي من أهم العناصر المساعدة على التّواصل بين المتخاطبين لأجل التباين الدّلالي الذي يحدث للفظ الواحد داخل البيئات المختلفة، كما أنه على مستوى النصّ يجب استيعاب طرائق التعبير والعناصر المساعدة على فهم ما ترمي إليه الألفاظ منفردة ومجمّعة وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة أشكال التّرابط التّحوي والأدوات النّاتجة عن هذا التّرابط، وإذا تمّ معرفة العناصر المذكورة آنفاً من المتلقّي (السّامع) فإنّه لا يجد صعوبة في تأويل المحال إليه من خلال العنصر المحيل.

د-التطابق بين العنصر المحيل والمحال إليه : حتى تكون الإحالة مقترنة بمسمّاها اللّساني لا بدّ من مراعاة العلاقة القائمة بين العنصر المحيل والمحال إليه، وكان لزاماً أن تكون هذه العلاقة واضحة لتمنح السّامع اليقين التام من مراد المتكلم، وعلى هذا فممنشئ الإحالة (المتكلم) وجب عليه مراعاة القيد الدّلالي الذي يمنح عنصر التّطابق؛ لأنّ الإحالة علاقة دلاليّة ومن ثمّ لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنّها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلاليّة بين العنصر المحيل والمحال إليه⁽²⁾ إلا أن التّرابط المعنوي بين العنصر المحيل والمحال

(3) خطابي، محمد، "لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب"، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، (ص113).

(1) أوكان، عمر، "اللغة والخطاب"، دط، إفريقيا الشرق، المغرب: (ص48).

(2) خطابي، محمد، "لسانيات النص"، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، (ص17).

عَدَلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٨﴾ [البقرة: ٤٨].

الجملة الموصولة بها الأسماء : وهذه الجملة أيضا تحتاج إلى ضمير يربطها بالموصول والضمير فيها إما مذكورا نحو قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِخَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١]، أو مقدرا كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَاتَّرفَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، فعمل الضمير العائد في الصلة إنما لأجل أن يعلق الصلة بالموصول ويتممها به؛ إذ لا يتم الموصول إلا بصلته بكلام بعده تام ليصير اسما بإزاء مسمى⁽³⁾ "ولا يتم الاتصال بين الصلة والموصول إلا بالرباط (الضمير) الذي يعود على الموصول؛ حيث لا بد في كل جملة من هذه الجمل من عائد يعود منها إلى الموصول، وهو ضمير ذلك الموصول ليربط الجملة بالموصول ويأذن بتعلقها به... فإذا أتيت فيها بما يتوقف فهمه على ما قبله أذن بتعلقها به"⁽⁴⁾.

الجملة الواقعة حالا: إن هذه الجملة تحتاج إلى رابط يربطها بصاحب الحال، والرباط في جملة الحال إما الواو والضمير معاً أو أحدهما ومثاله قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ

الكلام، فلا تكاد تظهر قاعدة نحوية إلا والضمير يشارك في الربط فيها؛ إذ إن ابن هشام (762هـ) قد أورد عشرة أبواب نحوية يكون فيها الضمير رابطاً⁽¹⁾. منها:

الجملة الواقعة خبراً : يرى النحاة أن الجملة الواقعة خبراً إن لم تكن مبتدأ في المعنى احتاجت إلى ضمير، والسبب في ذلك هو أن: "الجملة في الأصل كلام مستقل فإذا قصدت أن تجعلها جزء الكلام فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير إذ هو الموضوع بمثل هذا الغرض"⁽²⁾.

الجملة الموصوف بها : وهذه الجملة يربطها الضمير إما مذكوراً نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُخْرٍ أَوْ تَرَفَّى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣] الضمير في نقراه محيل إلى الكتاب، وحتى يستقيم معنى هذه الآية الكريمة كان لازماً أن الضمير يربط المعنى الأول ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [السجدة: ٢] بالمعنى الثاني (القراءة)؛ إذ لا تتم القراءة إلا بتنزيل الكتاب، وإما يكون الضمير مقدراً مرفوعاً كان، أو منصوباً، أو مجروراً نحو قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا

(1) انظر: ابن هشام، الأنصاري، "معني اللبيب عن كتب الأعاريب"، دط، د ن، تح: فيصل عيسى البابي، (502/2).

(2) الرضي الاسترأبادي، "شرح الكافية"، دط، جامعة قاروس، 1978م، (238/1).

(3) انظر: أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، "أسرار العربية"، دط، المجمع العلمي العربي، د ن، تح: محمد بحجة البيطار، (ص381).

(4) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ط 1، دار الكتب العلمية - لبنان، 2001م، تح: إميل بديع يعقوب، (289/2).

وهنا يستقرّ فهم الإحالة داخل الخطاب؛ لأن السّامع لا يستطيع أن يفسّر الإحالة إلا باستماعه الجيّد، ووعيه بمضامين الخطاب، هذا إذا كان النّص مسموعاً أما إن كان مكتوباً، فواجبٌ على المتلقّي أن يكون حاضر الذّهن، واسع الفكر، بحيث يتمكّن من استحضار مجاميع النّص حين تستدعي الضّرورة لتفسير الألفاظ المحيلة، وفهمها وفق مراد الكاتب.

إن الوعي بالنّص يتطلّب اهتمام المتلقّي بالعناصر المكوّنة له، والتي يتمّ من خلالها بيانه وفهمه، يتّضح بها انسجامه وسبكه، فلا ينبغي أن يغيب على السامع (القارئ) ترتيب الألفاظ وإيجاءاتها، والتراكيب ونسجها، والمعاني وصلاتها، لكي لا يكتنف النّص الغموض، ولا تعتوره مسالك يصعب الفهم دونها، فلا تتحقّق معها الأهداف التّواصلية والمقاصد المرجوة. والاهتمام بالمتلقّي يعدّ أمراً ضرورياً وشرطاً أساسياً في العمليّة التّواصلية، ركز عليه علماء البلاغة تركيزاً أكيداً؛ فنجد الجاحظ يقول: "ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقاتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم" (4).

المطلب الثالث: أنواع الإحالة:

للإحالة نوعان: إحالة نصية (داخلية)، وإحالة مقامية (خارجية)، وتنقسم النصية إلى قسمين: إحالة قبلية، وإحالة بعدية.

وفيما يلي تفصيل هذه الأنواع:

الإحالة النصية: وهي إحالة على العناصر اللغوية

الْقَيْمَةَ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ [الزمر: ٦٠].

فجملة (وجوههم مسودة) حال من (الذين كذبوا) والضمير في (وجوههم) أحال إلى (الذين كذبوا)، فأسهم هذا الضمير بربط جملة الحال بمتعلقها ولولا وجود هذا الضمير لما استقام معنى الآية ومراد الله سبحانه وتعالى.

ويشير ابن بعيش إلى أن الجملة الواقعة حالا لا بد لها من رابط يربطها بما قبلها، ولا يجوز أن لا يؤتى برابط يربط الجملة بأول الكلام، فإن جيء به دلّ على أن الكلام معقود (1).

أما الوظيفة البلاغية، فإن البلاغة لا تكون من المتكلم فقط؛ بل "ربما البلاغة في الاستماع، فإنّ المخاطب إذ لم يحسن الاستماع، لم يقف على المعنى المؤدى إليه المخاطب، والاستماع الحسن عون البليغ على إفهام المعنى" (2).

والستماع هو من يعطي الفرصة محدّثه كي يوصله المعنى الذي يجري لأجله التّخاطب؛ ف "الكلام يتعلّق بالمعاني والفوائد بالمواضعة، لا شيء من أحواله، وهو قبل المواضعة، إذ لا اختصاص له، لذا جاز في الاسم الواحد أن تختلف مسمياته لاختلاف اللغات، وبعد وقوع التّواضع، يحتاج إلى قصد المتكلم، واستعماله فيما قرّره المواضعة" (3).

(1) الفصاحة"، ط1، دار الكتب العلمية، 1402هـ _ 1982م،

د.ت، (ص 42-43).

(4) الجاحظ، "البيان والتبيين": (93/1).

(1) انظر: "المرجع السابق": (24/2).

(2) العسكري، أبو هلال، "الصناعتين": (ص25).

(3) الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت: 466هـ)، "سر

مرتبطة بمفهوم واحد بين السياق الخطي والمقام، ومتعلقة بمفهوم الإشارة، فلا يجد المتلقي صعوبة في فك شفرتها النصية يتجاذبها الملفوظ، وتتطلب حضوراً ذهنياً في أطراف النص لعدم الغلط في تحديد المحال إليه.

المطلب الرابع: السياقات التي ترد فيها الإحالة:

أولاً: السياق النصي:

يؤدي تعاقب الجمل في النصوص إلى خلق القيمة الفنية التي من خلالها يجري تتابع الجمل وتلاحم العبارات وتضافر البنى الدلالية والنحوية، فالنص هرم من المتتاليات المتعاقبة يخدم بعضها بعضاً وهذا ابتداءً من تركيب البنية الصرفية للألفاظ إلى البنية الإحالية، التي يرتبط فيها أول تركيب في النص بآخر تركيب (وهذا ما يدخل في مناسبة القول)، فباعتبار هذه البنى يجري النظم الذي تكلم عنه علماءنا الأوائل في حقب من الزمن.

والصفات التي نجدها في نص ما لا يمكن أن تتوافر بنفس الوتيرة في نص آخر، وإنما تكون بدرجة أقل أو أكثر وبطريقة تفوقها في نص آخر، وإنما تكون بدرجة أقل أو أكثر وبطريقة تفوق صاحبها في النظم لدى أديب آخر، كذلك لأن مستعمل اللغة قد يملك من المهارات ما لا نجده عند غيره، ويتقن من الأساليب التعبيرية ما لا يخطر ببال سواه.

والروابط الإحالية تعمل عملاً كبيراً في توظيف هذه المعاني التي لا وجود للنص دونها؛ لأنها تعمل عمل

الواردة في الملفوظ؛ سابقة كانت أو لاحقة، بمعنى: "العلاقات الإحالية داخل النص سواء كانت بالرجوع إلى سابق، أو بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النص" (1) وهي نوعان:

أ/ الإحالة القبليّة (السّبقية): وهي استعمال عنصر لغوي، يشار به إلى كلمة أخرى، أو عبارة سابقة في النص، أو المحادثة، وفيها يجري تعويض المفسر بما يحال إليه.

مثال: 1 (أنجز الطالب واجبه) فالضمير في (واجهه) أحال إلى الطالب المذكور، دون إعادة ذكره.

مثال: 2 وقد تكون الإحالة بإعادة الكلمة المقصودة دون إضمارها، وهذا كقولنا: (اشتدّ البرد، البرد قارس) فكلمة (البرد) الثانية، هي نفسها الأولى، ولكن لم نضمّرها بقولنا: (اشتدّ البرد، إنه قارس).

ب/ الإحالة البعدية (اللاحقة): وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو مفهوم آخر يتحدد من خلال السياق، وهذا الأمر نجده في الوظيفة التي يؤديها الضمير في العربية، وضمائر الإشارة - وكذلك الموصولات... وكل هذه العناصر محققة للاتساق النصي. الإحالة المقامية وهي عنصر لغوي بعنصر غير لغوي، وذلك كأن يحيل الضمير أو الإشاري... إلى ذات خارج النص (2).

ولو أحدثنا مقارنة بين الإحالتين (المقامية والنصية) نجد أنّ: النصية أكثر تعقيداً من الأولى ذلك لأنّ المقامية

(2) انظر: هالداي ورقية حسن، "الاتساق في الإنجليزية"، د. ط،

لندن، 1976م، (ص37).

(1) الفقي، صبحي إبراهيم، "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق"،

ط1، دار قباء، القاهرة، 2000م، (40/1).

لهذه الأخيرة بمنحها أكثر فاعلية في التواصل الإنساني، سواء داخل النص أو خارجه.

وبما أنّ الجملة المنطوقة أريد بها معنى ما، لأجل أن المتكلم أرسل رسالة لسامعه، يريد أن يخبره فيها بشيء ما، فلنتصور شخصين يسيران في سيارة معًا حيث قال الأول للثاني مندهشًا: الجو جميل!

فيقول الثاني للأول: بلى، والله إنه جميل! ثم يقول الأول للثاني: رأيت كيف أن الحقائق زاهية؟ فيجيبه الثاني: سبحان الله إن رحمة ربنا لواسعة! فيردّ الأول: إنما لكذلك، ونعمه علينا كثيرة لا تعدّ ولا تحصى.

فإذا تأملنا هذا الحوار البسيط وجدنا أنّ النص تشكّل في بداية الأمر من جملة بسيطة متكوّنة من مسند ومسند إليه: (الجو جميل)، فيأتي التركيب الثاني مكوّنًا من جملتين بسيطتين:

الجملة الأولى: (بلى والله).

والجملة الثانية: (إنه جميل).

والجملتان جاءتا لتأكيد خبر جملة (الجو جميل) وتعلّق الجمل مع بعضها ظاهر، لا غبار عليه فعندما قال الشخص الثاني (بلى والله) فهذا دلّ على تأكيد الخبر الأول، وإنّما أراد بالجملة الثانية (إنه جميل) للزيادة في التأكيد والضمير في (إنه) زاد في اتّساق الجمل.

ثم يأتي التركيب الثالث مؤسسًا على ما سبق، حيث قال الأول: رأيت كيف أن الحقائق زاهية؟!

السلك الذي يصل حبّات العقد مع بعضها البعض بتجانس جذّاب، لذلك فإنّ النّحاة درسوها من خلال الضّمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وعناصر معجميّة أخرى وهذا في مواضع متفرقة من كتبهم، كما كانت للمفسّرين إضافات ملحوظة إلى المقولات النظرية في مواضع عدة من تفسيراتهم للنص القرآني، "وقد تركز البحث على مستوى واحد، هو النص القرآني إذ أتاح شيوع هذه الروابط وتعدد دلالاتها، وبروز دورها في تحقيق الترابط بين أجزاء النص القرآني، إمكان دراستها في سياقات متباينة، وفي أبنية مختلفة في إطار وحده دون التّوسع في معالجة الربط في نصوص أخرى" (1).

ثانيًا: سياق الجملة:

إنّ تولّد البنية الإحالية في النص جعل من الجملة أساسًا من المنظور اللّساني لها، فالجملة باعتبارها الجزء الذي لا يتجزأ من النص؛ لأنها تحمل الدلالات الجزئية لتصوير بتركيبها مكونة الدلالة المركزية التي تأسس عليها النص. فمن اجتماع دلالات الجملة تظهر الدلالة المركزية المشتملة على هذه الدلالات التي تأسست في أكناف الجمل المتعاقبة، وبمحتوى الجملة الأولى تأتي الجمل اللاحقة وفق تسلسل منطقي لها.

ولئن كان النص هو المدار التأسيسي لعلم اللغة الحديث، فإن الذي عليه الأمر أن الجملة هي حلقة التي لا وجود للنص دونها، وعليه: فمراعاة البنية التركيبية

(1) بحيري، سعيد حسن، "دراسات لغوية تطبيقية": (ص 80).

والمخاطبين قبل حصول الخطاب وبعده ليتّم الفهم، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أحالت الكاف في (أعطيناك) إلى الرسول ﷺ لأنّنا نعلم أن الخطاب موجّه له، وهو من أعطاه ربّه نهر الكوثر.

د/بنية الكلمة : تأتي الكلمات عادة للتعبير عن معنى معيّن تختصّ به كلمة دون أختها، فيندفع الإبهام بمجرد مجيء الكلمة ببنية مخصّصة، والبنية إطار ذهني مفرد وليست هي الكلمة ذات المعنى المفرد⁽²⁾؛ وعلينا أن نفرّق بين الكلمات التي تحمل معنى في ذاتها والتي لا تحمل معنى إلا من خلال التّركيب الذي ترد فيه، ومع كون أنّ الكلمة تحمل معنى الإحالة، فمقصودنا الكلمات التي لها استقلال في المعنى.

وعدّ دكتور تمام حسان "المناسبة المعجمية" من عناصر التّضام "المعروف في نظام المعجم أنّ للكلم أقساماً، يمتاز كل قسم منها عمّا عداه بواسطة علامات ووظائف محدّدة وأن الكلام يبني على استعمال مفردات هذه الأقسام بوضعها في تتابع لا بدّ فيه من شروط سياقيّة وتركيبية معينة، من هذه الشروط: أن يكون بين عناصر الجملة مناسبة من حيث معناها المعجمي، ومعنى ذلك أنّ كل قسم من أقسام يشتمل على ألفاظ تتوزّعها حقول معجميّة مختلفة يضمّ كل منها طائفة من الألفاظ المفردة ذات الشّركة في الطّابع العام للمعنى

واقترضت هذه الجملة أن تكون أطول من الأولى لتفعيل الحوار، والتعلّق المعنويّ لهذه الجملة بما سبقها ظاهر، فكون أنّ: الجو جميل، لزم أن تكون الحقائق زاهية ليأتي "التّركيب الرابع" من أجل تقرير حقيقة أن: رحمة الله سبحانه وتعالى واسعة. لكون أن هذا المشهد أثر من رحمة الله، ودليل على قدرته سبحانه، ليحدث ذلك المشهد دهشة في نفس صاحبنا الذي لم يكن يتأمّل آيات الله لولا أن صاحبه قد ذكره بها.

أما كون الجملة منفردة خارجة عن نطاقها النصّي فالبنية الإحالية تفهم من خلال:

أ/السياق الخطّي: وهو الذي ترد فيه الجملة كقولنا مثلاً: (علي مات أبوه). فالمخبر عنه هنا هو: (موت الأب)، والهاء عائدة إلى (علي). إذن: يُفهم من خلال السياق أن: أبو علي هو الذي مات.

ب/المقام الحضوري: لا شك أنّ المقام يلعب دوراً أساسياً في عملية التّخاطب، ولذلك فالكلام تابع له وخارج منه، فلا نستطيع أن نفصل نصّاً ما عن مقامه الذي قيل فيه ففي قوله: "التّقوى ها هنا"⁽¹⁾ فمن خلال المقام يتّضح معنى هذه العبارة، ألا وهي أن التّقوى في القلب؛ لأنّ النبي ﷺ قد أشار إلى صدره الشّريف. ومنه فإنّ المقام يلعب دوراً متميّزاً في تفسير الظّواهر اللّغوية المبهمة من خلال سياقها الخطّي وفي تفسير البنية الإحاليّة.

ج/المعرفة الذهنية: وهي العلم بحال الخطاب

(2) انظر: حسان، تمام، "البيان في روائع القرآن"، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 1993م، (ص17).

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه"، (كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه)، برقم: (2442)، (128/3).

[البقرة: ٧٩].

جاءت لفظة (بأيديهم) لتأكيد وقوع الكتابة⁽³⁾، فلو قيل: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] لثوهم أنهم لم يكتبوا وإنما يكون النهي عن الكتابة، فبإيراد هذه اللفظة في هذا الموضع دفع هذا التوهم، وأحالتنا هذه اللفظة على أن الكتابة وقعت - والله أعلم - ومثال الإحالة.

السياق المقامي: جميع السياقات التي ترد فيها الإحالة خاضعة لسياق المقام الذي هو في الأساس زمرة الخطاب ومنبع منشأ الكلام، وقديماً قالت العرب: "لكل مقام مقال" لذلك فلا يمكن أن تتصور خطاباً ما دون وجود مقام يفعله ويوضح مقصده، إلا أن ارتباط العنصر اللغوي داخل الخطاب بالعنصر غير اللغوي هو الذي يمنح تفسير الرابط الجامع بينهما، وهنا تنشأ الإحالة خارج اللغة، التي هي في تصور الزناد إحالة عنصر لغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحب المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي بالمقام ذاته، في تفاصيله أو مجمله؛ إذ يمثل كائناً أو مرجعاً موجوداً مستقلاً بنفسه، ويمكن أن يحيل عليه المتكلم⁽⁴⁾.

تختلف في هذا الطابع عن كل طائفة أخرى⁽¹⁾.

ومع هذا فإن ورود لفظة ما في سياق معين، يجعلها الأحق في مجاورة صاحباتها؛ لأنها تؤدي المعنى المراد الذي لم يجز معه ورود غيرها، وهذا من الأبواب العجيبة في القرآن العظيم، بحيث نجد ألفاظاً قد جاءت بتركيب مخصوص لتأديتها معنى مخصوص، له اتصال بما بعده، أو بما قبله داخل النص القرآني، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

جاءت لفظة (يصطرخون) مبيّنة للمعنى الذي قبلها، حين صوّر لنا الخالق حال الكفار داخل جهنم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُونُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦] فأحالت هذه اللفظة عما كان من حال الكفار داخل جهنم، كما أن بناء (يصطرخون) جاء فريداً، وهذا للدلالة على الشدة في الصراخ بسبب الخوف والفرع الذي أصاب الكفار⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

(3) انظر: "المرجع السابق": (577/2).

(4) الزناد، الأزهر، "نسيج النص": (ص119).

(1) حسان، تمام، "اجتهادات لغوية"، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2007م، (ص50).

(2) انظر: ابن عاشور، الطاهر، "التحرير والتنوير"، دط، الدار التونسية للنشر، 1984م، (318/2).

الوداع⁽¹⁾.

جاء هذا الحديث وبه عدة إحالات نظرًا لاختلاف ألفاظه؛ وبنى الفقهاء على تلك الإحالات أحكامًا بعدما اختلفوا في إثباتها، ومن تلك الإحالات:

الإحالة الأولى: ما ورد في لفظ هذا الحديث من قولها: "إن فريضة الله ﷻ على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة"، فإن الإحالة في عبارتها: فريضة الله - وتعني: الحج - أدركت أبي لا يستطيع، ومعلوم أن الحج غير واجب على غير المستطيع؛ وعليه فإن الفقهاء وشرح الحديث قد اختلفوا في المراد من سؤالها الحج عنه بعد ذلك، وحول جواب النبي ﷺ لها بالجواز، فقال ابن بطال: "قالت: إنها نزلت وأبي شيخ. أي: فرضت في وقت أبي كبير لا يلزمه فرضها، فلم ينكر عليه السلام قولها، وقد يمكن أنها وهمت أن الذي فرض على العباد يجوز أن يدخل فيه أبوها غير أنه لا يقدر على الأداء، ولا يمتنع أن يتعلق الوجوب بشرطية القدرة على الأداء، فيكون الفرض وجب على أبيها ثم وقت الأداء كان عاجزًا؛ لأن الإنسان لو كان واجدًا للراحلة والزاد، وكان قادرًا ببدنه؛ لم يمتنع أن يقال له في الحرم: قد فرض عليك الحج، فإن بقيت على ما أنت عليه إلى وقت الحج لزمك الأداء وإلا سقط عنك، ونحن نعلم أنه فرض تراخى عن وقت الحج المضيق، وإنما سألته في وقت

ومثال الإحالة التي ترد في المقام قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] فاسم الإشارة (هذا) في هذه الآية الكريمة لا يفهم إلا بتحديد مراجع الكلمات الإحالية فيها، فاسم الإشارة يحيل إلى موجود خارجي يفسره المقام.

المبحث الثاني: تضافر الإحالات داخل النص الواحد

تعدد الإحالات يأتي من قابلية الضمير للإحالة على أكثر من مرجع في النص، دون أن يؤثر ذلك في الاتساق الدلالي العام، مما يكسب النص ثراء دلاليًا وبعدًا إيحائيًا، ما يجعل القارئ في حاجة إلى التأمل والتدبر، وتلك من خصائص النظم القرآني والنبوي، ومن تلك النصوص التي تعددت فيها الإحالات:

المطلب الأول: الإحالات الواردة في مسألة: النيابة عن الوالدين في الحج والعمرة:

روى عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله ﷻ على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال "نعم" وذلك في حجة

(1) الحج، باب الحج عن العاجز لزمانه وهم ونحوهما، أو للموت)، (كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله)، (3/ 18)، ومسلم في "صحيحه"، (كتاب

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري في "صحيحه"، (كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله)، (3/ 18)، ومسلم في "صحيحه"، (كتاب

الأداء عن ذلك" (1).

وحاول ابن الملقن سلوك ما سلكه ابن بطل وغيره من توجيه لفظ الحديث بدلاً من رده، فقال: "واعترض بأنها قالت: أدركت. ولم تقل: فرضت على أبي. وإنما قالت: إنها نزلت وأبي شيخ، أي: فرضت في وقت أبي شيخ كبير لا يلزمه فرضها، فلم ينكر قولها، أو أنها توهمت أن الذي فرض على العباد يجوز أن يدخل فيه أبوها، غير أنه لا يقدر على الأداء، ولا يمتنع أن يتعلق الوجوب بشرطة القدرة على الأداء، فيكون الفرض وجب على أبيها، ثم وقت الأداء كان عاجزاً؛ لأن الإنسان لو كان واجداً للراحلة والزاد وكان قادراً ببذنه لم يمتنع أن يقال له في الحرم: قد فرض عليك الحج، فإن بقيت كذلك إلى وقت الحج لزمك الأداء وإلا سقط عنك. ومعلوم أن فرض الحج نزل في غير وقت الحج المضيق، وإنما سألته في وقت الأداء عن ذلك" (2).

بينما خالف العلامة ابن العربي، وابتعد عن محاولة الجمع بين الحديث وظاهر القرآن، فقال: "لا حجة في هذا الحديث من أربعة أوجه: أحدها: إنه خبر واحد يخالف الأدلة القطعية في سقوط التكليف عن العاجز، والحديث إذا خالف قواطع الأدلة تؤوّل أو ردّ إن لم يمكن تأويله" (3).

ومعلوم أن هذا مذهب مالك، فقد قال محمد بن الحسن الشيباني: "أخبرنا مالك، أخبرنا أيوب السختياني، عن ابن سيرين، أن رجلاً كان جعل عليه أن لا يبلغ أحد من ولده الحلب، فيحلب فيشرب، ويستقيه إلا حج وحج به، قال: فبلغ رجل من ولده الذي قال: وقد كبر الشيخ، فجاء ابنه إلى النبي ﷺ فأخبره الخبر، فقال: "إن أبي قد كبر وهو لا يستطيع الحج أفأحج عنه؟ قال: نعم"، قال محمد: وبهذا نأخذ، لا بأس بالحج عن الميت وعن المرأة والرجل إذا بلغا من الكبر ما لا يستطيعان أن يحجا، وهو قول أبي حنيفة، والعمامة من فقهاءنا رحمهم الله تعالى، وقال مالك بن أنس: لا أرى أن يحج أحد عن أحد" (4).

وبره القرطبي بقوله: رأى مالك أن ظاهر حديث الخثعمية مخالف لظاهر القرآن: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وأن الأصل في الاستطاعة هي القوة بالبدن، قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، فرجح ظاهر القرآن، ولا شك في ترجيحه من جهة تواتره، ومن جهة أن القول المذكور قول امرأة ظنّت ظناً، ولا يقال قد أجابها النبي ﷺ - على سؤالها، ولو كان ظنها غلطاً لبيّنه لها؛ لأننا نقول: إنما أجابها على قولها:

الإسلامي، 1992م، تح: محمد عبد الله ولد كريمة، (543-544).

(4) مالك بن أنس (ت: 179هـ)، "الموطأ" برواية محمد بن الحسن الشيباني، ط 2، المكتبة العلمية، د ن، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، (ص163).

(1) ابن بطل، "شرح صحيح البخاري": (4/ 527).

(2) ابن الملقن، "التوضيح لشرح الجامع الصحيح": (12/ 470).

(3) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي (ت: 543هـ)، "القيس في شرح موطأ مالك بن أنس"، ط 1، دار الغرب

مخالفاً له لأنك زعمت أن من حج عنه ثم وجد قوة أنه لا يجزئه وليس الدين كذلك لأنه إذا أدي لم يحتج أن يؤدي ثانية وانفصل من ذلك أصحاب الشافعي بأنه إنما أمر بالحج عنه لعدمه الاستطاعة ببذنه فلما صح كان حينئذ قد توجه إليه فرض الحج ولزمه قضاؤه عن نفسه لقدرته على ذلك ببذنه ... وفي ذلك دليل على خلاف الحج للصلاة وأعمال البدن ولبعضهم على بعض تشغيب يطول ذكره⁽³⁾.

وعلى كل حال ففي الحديث جواز الحج عن الغير إذا كان عاجزاً، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، والثوري، والشافعي، وأحمد، وإسحاق. وقال مالك والليث والحسن بن صالح: لا يحج أحد عن أحدٍ إلا عن ميت لم يحج حجة الإسلام، وحاصل ما في مذهب مالك ثلاثة أقوال: مشهورها: لا يجوز، ثانيها: يجوز من الولد، ثالثها: يجوز إن أوصى به، وعن النخعي وبعض السلف: لا يصح الحج عن ميت ولا عن غيره، وهي رواية عن مالك وإن أوصى به⁽⁴⁾.

قال محمد بن الحسن الشيباني: "والآثار في هذا كثيرة وهذا الأمر المجتمع عليه لا اختلاف بين الفقهاء فيه إلا

أفأحج عنه؟ قال: "حُجِّي عَنْهُ"، لما رأى من حرصها على إيصال الخير والثواب لأبيها، وتعقب بأن في تقرير النبي ﷺ - لها على ذلك حجة ظاهرة. وأما ما رواه عبد الرزاق عن ابن عباس، فزاد في الحديث: "حُجَّ عَنْ أَبِيكَ، فإن لم يزد خيراً لم يزد شراً"، فقد جزم الحفاظ بأنها رواية شاذة، وعلى تقدير صحتها فلا حجة فيها للمخالف⁽¹⁾.

وتعقبه الحفاظ ابن حجر العسقلاني بقوله: "وتعقب بأن تقرير النبي ﷺ، لها على ذلك حجة ظاهرة"⁽²⁾. وزعم أصحاب مالك أن هذا الحديث خاص بالختعمية، فقال ابن عبد البر: "حجة أصحاب مالك في تشبيهه الحج بالدين أن ذلك أيضاً خصوص للختعمية كما خص أبوها بأن يعمل عنه ما لم يجب عليه وكذلك خصت بالعمل عنه لتؤجر ويلحقه ثواب عملها بدليل القرآن في الاستطاعة وبدليل الإجماع أنه لا يصلي أحد عن أحد فرضاً وجب عليه وقد يعمل عنه ما لم يجب عليه ويشركه في ثوابه هذا معنى قولهم، وجعلوا حج الختعمية عن أبيها كالحج بالصبي الذي أريد به التبرك لا الفرض، وأدخل بعض من يحتج لمالك على أصحاب الشافعي أن قال لو ثبت تشبيه الحج بالدين لكانت

(3) ابن عبد البر، "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد": (9/ 133 - 134).

(4) انظر: الشنقيطي، محمد الحَضَر بن سيد (ت: 1354هـ)، "كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري"، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ - 1995م، (11/ 13). القول الأول الاستذكار، (3/ 78) القول الثاني الذخيرة (4/ 150).

(1) القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر (ت: 656 هـ)، "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم"، ط 1، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 1417هـ - 1996م، تح: محيي الدين ديب ميسو وآخرين، (3/ 442)، بتصرف يسير، ونقله عنه ابن حجر في "فتح الباري": (4/ 70)، وانظر: "كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري": (13/ 13).

(2) ابن حجر، "فتح الباري": (4/ 70).

وقال ابن بطلال: "وأجازه جماعة الفقهاء إلا الحسن بن صالح؛ فإنه قال: لا يجوز. واعتل بأن المرأة تلبس الثياب في الإحرام والرجل لا يلبسها. قال ابن المنذر: وهذه غفلة وخروج عن ظاهر السنة؛ لأن النبي عليه السلام أمر المرأة أن تحج عن أبيها، وعلى هذا يعتمد من أجاز الحج عن غيره"⁽⁵⁾.

الإحالة الثالثة: في قولها: "أفأحج عنه؟ قال: نعم، هل ذلك في جواز حجها عنه قبل حجها عن نفسها؟

قال الأمير الصنعاني: "واستدل الكوفيون بعمومه على صحة حج من لم يحج نيابة عن غيره، وخالفهم الجمهور، فخصّوه بمن حج عن نفسه، واستدلوا بحديث "السنن" وصحيح ابن خزيمة وغيره من حديث ابن عباس وهو ... حديث شبرمة"⁽⁶⁾ (7).

الإحالة الرابعة: اختلف: هل تجب عليها النيابة أو يجوز لها فقط؟

قال الطيبي: " وفيه دليل على أن من مات، وفي ذمته

من قال برأيه ونبذ الآثار خلف ظهره "⁽¹⁾.

الإحالة الثانية: في قولها: "أفأحج عنه؟"، وعلى هذا القول منها وفي الضمير به اختلف الفقهاء في جواز حج المرأة عن الرجل، فقال العيني: "الهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على مُقَدَّرٍ بعد الهمزة، والتقدير: أُتُوْبُ عنه فَأَحْجُّ، وإنما قدّرنا هكذا لأن الهمزة تقتضي الصدارة، والفاء تقتضي عدمها"⁽²⁾، وقال الطيبي: "الفاء الداخلة عليها الهمزة معطوفة على محذوف، أي: أيسح مني أن أكون نائبة له فأحج عنه؟ ... فيه دليل على أن حج المرأة عن الرجل يجوز، وزعم بعضهم أنه لا يجوز؛ لأن المرأة تلبس في الإحرام ما لا يلبسه الرجل، فلا يحج عنه إلا رجل مثله"⁽³⁾.

وقال شمس الدين الكرمانى: "فإن قلت الهمزة تقتضي الصدارة والفاء تقتضي عدم الصدارة فأين المعطوف عليه؟ قلت: هي عاطفة على مقدر بعد الهمزة أي أنوب عنه فأحج له"⁽⁴⁾.

(5) ابن بطلال، "شرح صحيح البخاري": (4/ 527).

(6) أخرجه الصنعاني في "المصنف": (407/4)، وأبو داود في "السنن": (218/3)، وابن ماجه في "السنن": (147/4)، وابن الجارود في "المنتقى من السنن المسندة": (ص132)، وابن خزيمة في "صحيحه": (2/ 1423)، والطحاوي، أبو جعفر (ت: 321هـ) في "شرح مشكل الآثار"، ط 1، مؤسسة الرسالة - 1415 هـ، 1494م، تج: شعيب الأرنؤوط، (6/ 375).

(7) الصنعاني، محمد بن إسماعيل، "التحجير لإيضاح معاني التيسير"، ط 1، 1433 هـ - 2012م، مكتبة الرشد، الرياض، تج: محمد صبحي، (3/ 475).

(1) الشيباني، أبو عبد الله محمد بن الحسن (ت: 189هـ)، "الحجة على أهل المدينة"، ط 3، عالم الكتب - بيروت، 1403هـ، تج: مهدي حسن الكيلاني، (2/ 236).

(2) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت: 855هـ)، "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، د. ط، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ت، (9/ 125).

(3) الطيبي، الحسين بن عبد الله، "الكاشف عن حقائق السنن"، ط 1، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض، 1417هـ - 1997م، تج: د. عبد الحميد هندواوي، (6/ 1940).

(4) الكرمانى، محمد بن يوسف (ت: 786هـ)، "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري"، ط 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1401هـ - 1981م، (8/ 56).

علي "هل يجزئ عنه؟" قوله "قال نعم" الحديث فيه دلالة علي أنه يجزئ الحج عن الغير وأنه يصح الحج عن الحي إذا كان مأثومًا منه القدرة على الحج بنفسه مثل الشيخوخة فإنه مئوس زوالها، وأما إذا كان عدم القدرة لأجل مرض أو جنون يرجى زوالهما فلا يصح، فعلى هذا المعصوب الأصلي والشيخ الكبير، ومن أصابه علة أيس من برئها لهم الاستنابة في الحج، فإن حج من ظن اليأس ثم زالت العلة، فالمؤيد وأبو طالب والجمهور من العلماء قالوا: يجب الإعادة لانكشاف كذب ظنه، وذهب أحمد وإسحاق والمرتضى إلى أنها لا تجب الإعادة اعتبارًا بالابتداء، ولئلا يلزمه حجتان⁽⁵⁾.

الإحالة الخامسة: ما رواه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، قال: جاء رجل من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أبي أدركه الإسلام وهو شيخ كبير لا يستطيع ركوب الرجل والحج مكتوب عليه أفأحج عنه قال: أنت أكبر ولده؟ قال: نعم، قال: أرايت لو كان علي أبيك دين فقضيته عنه أكان ذلك يجزي عنه قال نعم قال فاحجج عنه⁽⁶⁾.

حق الله تعالى من حج، أو كفارة، أو نذر صدقة، أو زكاة فإنه يجب قضاؤها من رأس ماله مقدمًا على الوصايا والميراث، سواء أوصى به أو لم يوص، كما يقضي عنه ديون العباد⁽¹⁾.

وخالفه ابن الملقن⁽²⁾، والحافظ ابن حجر بقوله: "وليس في شيء من طرقه تصريح بالجوب وبأنها عبادة بدنية فلا تصح النيابة فيها كالصلاة وقد نقل الطبري وغيره الإجماع على أن النيابة لا تدخل في الصلاة قالوا ولأن العبادات فرضت على جهة الابتلاء وهو لا يوجد في العبادات البدنية إلا بإتعايب البدن فبه يظهر الانقياد أو النفور بخلاف الزكاة فإن الابتلاء فيها بنقص المال وهو حاصل بالنفس وبالغير وأجيب بأن قياس الحج على الصلاة لا يصح لأن عبادة الحج مالية بدنية معًا⁽³⁾.

وقال شمس الدين الكرمانى: "وفيه ... وجواز النيابة في الحج عن العاجز وحج المرأة عن الرجل"⁽⁴⁾. وقال الحسين بن محمد المغربي: "وقولها" أفأحج عنه؟ أي: أفيجوز لي أن أنوب عنه فأحج عنه، فالمعطوف عليه مقدر، وفي رواية "فهل نقضي عنه؟" وفي حديث

(5) المغربي، الحسين بن محمد (ت: 1119هـ)، "البدر التمام شرح بلوغ المرام"، ط 1، دار هجر، د.ن، تح: علي بن عبد الله الزين، (189/5).

(6) الحديث صحيح بشواهده: أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف": (8/535)، والإمام أحمد في "المسند": (47/26)، والدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، في "المسند": (595/1)، وأبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي، في "المسند"، ط 1، دار المأمون =

(1) الطيبي، "الكاشف عن حقائق السنن": (6/1940).

(2) قال: "لا يدل أن الأداء كان مقرراً عليه فسقط بفعلها، ولكنه أراد أنها إن فعلت ذلك نفعه ثواب ما يلحقه من دعائها في الحج، كما لو تطوعت بقضاء دينه". "التوضيح لشرح الجامع الصحيح": (12/470).

(3) "فتح الباري": (4/69).

(4) "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري": (8/56)، وانظر: الصنعاني، "التنوير شرح الجامع الصغير": (10/199).

نعم، قال فاحجج عنه" (3).

وفي تشبيه النبي ﷺ قضاء الحج عن غير المستطيع بقضاء الدين وذلك في عود الضمير في قوله: "فقضيته... عنه" اختلاف بين الفقهاء، فقال ابن العربي المالكي في معرض رده الحديث: "ولا خلاف بين العلماء أن دين الآدمي أحق من دين الله لأن الله تعالى هو الغني والخلق هم الفقراء؛ فيقدم حق العبد لفقره ويؤخر حق الله تعالى لغناه. فإن قيل: فما فائدة الحديث؟ قلنا: فائدته تركه لأنه لا يصح أن يقال بظاهره ومن قدر على تأويله بفضل علمه فليقل إنه خرج مخرج الحث على البر بالآباء في قضاء ديونهم عند عجزهم والصدقة عنهم بعد موتهم وصلة أهل ودهم" (4).

ولكن وجدنا الإمام الطحاوي يقول: إن هذا الدين مرجعه لغير المستطيع دون تأويل، فقال: "في هذا الحديث معنى يجب الوقوف عليه، وهو أن من قضى ديناً عن غيره بغير أمره إياه بذلك، برئ منه من كان عليه بغير وجوب مثله للذي قضاه عنه عليه، كما يقوله أبو حنيفة وأصحابه والشافعي في ذلك، لا كما

وهنا اختلف الفقهاء: هل النيابة في الحج محصورة في ولد العاجز عن الحج أم تتعدى لغيره، وهل بإذنه ووصيته أم بغير ذلك؟ فقال الغزالي: "لا يجوز الحج عن المعضوب بغير إذنه ويجوز عن الميت من غير وصيته يستوي فيه الوارث والأجنبي كما في قضاء دينه وقال أبو حنيفة إن لم يوص لم يحج عنه وإن أوصى نفذت وصيته بالحج من ثلث ماله" (1).

وقال جمهور الفقهاء: يجوز أن يحج عن الميت، عن فرضه، ونذره، وإن لم يوص به، ويجزئ عنه. واختلف قول الشافعي - رحمه الله - في الإجزاء عن الفرض، ومذهب مالك، والليث، والحسن بن حيي: أنه لا يحج أحد عن أحد إلا عن ميت لم يحج حجة الإسلام، ولا ينوب عن فرضه. قال مالك: إذا أوصى به. وكذلك عنده يتطوع بالحج عن الميت إذا أوصى به. وأجاز أبو حنيفة، والثوري وصية الصحيح بالحج عنه تطوعاً. وروي مثله عن مالك (2).

الإحالة السادسة: في قوله: "أرأيت لو كان على أهلك دين فقضيته عنه أكان ذلك يجزي عنه؟ قال:

ط 1، دار البشائر الإسلامية - ودار السراج، 1431هـ - 2010م، تح: د. عصمت الله عنایت الله وآخرين، (2/ 481)، ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد الحفيد (ت: 595 هـ)، "بداية المجتهد"، د. ط، دار الفكر، لبنان، 1415هـ - 1995م، تح: خالد العطار، (1/ 257).

(3) سبق تخريجه قريباً.

(4) ابن العربي، "القبس في شرح موطأ مالك بن أنس": (544).

للتراث - دمشق، 1404 - 1984م، تح: حسين سليم أسد، (12/ 185).

(1) الغزالي، أبو حامد، "الوسيط في المذهب"، ط 1، دار السلام - القاهرة، 1417هـ، تح: أحمد محمود إبراهيم، وآخرين، (2/ 592).

(2) انظر: الخطابي، "معالم السنن": (2/ 171)، القرطبي، "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم": (3/ 444)، الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي (ت: 370 هـ)، "شرح مختصر الطحاوي"،

النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج، ولا العمرة، ولا الطعن، قال: "حُجَّ عَنْ أَبِيكَ، وَاعْتَمِرْ" (5).

وفي هذا الحديث إحالة وضمير محذوف تقديره: "واعتمر عنه"، ما دفع الفقهاء للاختلاف حول النيابة في النوافل أيضاً، وهذا ما صوره أبو إسحاق الشيرازي بقوله: "وفي حج التطوع قولان: أحدهما لا يجوز لأنه غير مضطر إلى الاستنابة فيه فلم تجز الاستنابة فيه كالصحيح والثاني أنه يجوز وهو الصحيح لأن كل عبادة جازت النيابة في فرضها جازت النيابة في نفلها كالصدقة فإن استأجر من يتطوع عنه وقلنا لا يجوز فإن الحج للحاج وهل يستحق الأجرة؟ فيه قولان: أحدهما أنه لا يستحق لأن الحج قد انعقد له فلا يستحق الأجرة كالضرورة والثاني أنه يستحق لأنه لم يحصل له بهذا الحج منفعة لأنه لم يسقط به عنه فرض ولا حصل له به ثواب بخلاف الضرورة فإن هناك قد سقط عنه الفرض فأما الصحيح الذي يقدر على الثبوت على الراحلة فلا يجوز النيابة عنه في الحج لأن الفرض عليه في بدنه فلا ينتقل الفرض إلى غيره إلا في الموضع الذي وردت فيه الرخصة وهو إذا أيس وبقي

يقوله مالك ومن تابعه عليه من أهل المدينة أن ذلك الدين يرجع إلى الذي قضاه عن الذي كان عليه" (1).

ومثله قال الطيبي بأن هذه الأعمال كالديون حقيقة: "وفيه دليل على أن من مات، وفي ذمته حق الله تعالى من حج، أو كفارة، أو نذر صدقة، أو زكاة فإنه يجب قضائها من رأس ماله مقدماً على الوصايا والميراث، سواء أوصى به أو لم يوص، كما يقضي عنه ديون العباد" (2).

وخالفه ابن بطال فقال: "ولكنه أراد عليه السلام أنها إن فعلت ذلك لحقه ثواب ما من دعائها في الحج، كما لو تطوعت بقضاء دينه، لا أنه مثل الدين في الحقيقة" (3).

وسلك الإمام القرافي المالكي مسلك تشبيه الدين بحصول الثواب أيضاً، فقال: "وجوابه أن هذا لم يجب عليه الحج لما ذكرت من العجز فنقول بموجبه لأنه ينتفع بالدعاء وبالنفقة وتشبيهه بالدين من جهة حصول الثواب والقياس يعضدنا لأنه أفعال بدنية كالصلاة ولقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97] ولم يقل احتجاج البيت" (4).

الإحالة السابعة: روى أبو رزين العقيلي رحمه الله، أنه أتى

(5) الحديث صحيح بشواهده: أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (8/ 599)، وأحمد في "المسند" (26/ 104)، والترمذي في "الجامع الكبير" (2/ 430)، والنسائي في "المجتبى" (5/ 117)، وابن ماجه في "السنن" (4/ 149)، وابن الجارود في "المنتقى من السنن المسندة" (ص132)، ط 1، مؤسسة الكتاب الثقافية 1988م، وابن خزيمة في "صحيحه" (2/ 1424).

(1) الطحاوي، "شرح مشكل الآثار" (6/ 372).
(2) الطيبي، "الكاشف عن حقائق السنن" (6/ 1940).
(3) "شرح صحيح البخاري" (4/ 527).
(4) القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس (ت: 684هـ)، "الذخيرة"، ط 1، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1994م، تح: محمد حجي، وآخرين، (3/ 193).

فيما سواه⁽¹⁾.

ورجح النووي الإجازة في النيابة عن التطوع، فقال: "وفي حج التطوع قولان: أحدهما: لا يجوز لأنه غير مضطر إلى الاستنابة فيه فلم تجز الاستنابة فيه كالصحيح، والثاني: أنه يجوز وهو الصحيح لأن كل عبادة جازت النيابة في فرضها جازت النيابة في نفلها كالصدقة"⁽²⁾.

الإحالة الثامنة: وتكمن في اختلاف الروايات سنداً وممتناً بألفاظ مختلفة، فمرة جاء هذا الحديث فيه أن السائل رجل وأنه سأل عن أبيه، ومرة: إنه قال إن أمي عجوز كبيرة، وفي رواية إن أبي أو أمي، وفي أخرى أن امرأة سألت عن أمها، ولا شك أن تعدد الضمائر ينبني عليه تعدد الإحالات والأحكام، وأوجه ما جاء في توجيهه هو قول الحافظ ابن حجر: "واتفقت الروايات كلها عن بن شهاب على أن السائلة كانت امرأة وأنها سألت عن أبيها وخالفه يحيى بن أبي إسحاق عن سليمان فاتفق الرواة عنه على أن السائل رجل ثم اختلفوا عليه في إسناده ومتمنه"⁽³⁾.

ثم قال: "والذي يظهر لي من مجموع هذه الطرق أن السائل رجل وكانت ابنته معه فسألت أيضاً والمسئول

عنه أبو الرجل وأمه جميعاً ويقرب ذلك ما رواه أبو يعلى بإسناد قوي من طريق سعيد بن جبيرة عن بن عباس عن الفضل بن عباس قال كنت ردف النبي ﷺ وأعرابي معه بنت له حسناء فجعل الأعرابي يعرضها لرسول الله ﷺ رجاء أن يتزوجها وجعلت ألتفت إليها ويأخذ النبي ﷺ برأسه فيلويه فكان يلي حتى رمى جمرة العقبة فعلى هذا فقول الشابة إن أبي لعلها أرادت به جدها لأن أباهما كان معها وكأنه أمرها أن تسأل النبي ﷺ ليسمع كلامها ويراهما رجاء أن يتزوجها فلما لم يرضها سأل أبوها عن أبيه ولا مانع أن يسأل أيضاً عن أمه"⁽⁴⁾.

المبحث الثالث: اختلاف توجيه المعنى بناء على اختلاف الإحالة
أولاً: مسألة ثواب التطوع بالصوم.

الإحالة في قوله ﷺ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ حُتِمَ لَهُ بِهَا"⁽⁵⁾، وورد الحديث بلفظ آخر: "وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ حُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"⁽⁶⁾.

وفي هذا الحديث سنجد الضمير مرة يعود على مذكر؛ لأنه عائد على صيام اليوم، ومرة نراه أنث الضمير؛ لأنه أراد العبادة والخصلة الصالحة.

(5) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في "المسند": (38/350)، (حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه)، والحديث صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات.

(6) أخرجه البوصيري، أبو العباس أحمد بن أبي بكر (ت: 840هـ)، في "تحف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة"، ط 1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1420هـ - 1999م، تج: دار المشكاة للبحث العلمي، (6/420).

(1) الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت: 476هـ)، "المهذب في فقه الإمام الشافعي"، د.ط، دار الكتب العلمية د.ت، (1/365).

(2) النووي، "المجموع شرح المهذب": (112/7).

(3) "فتح الباري شرح صحيح البخاري": (4/68).

(4) "السابق": (4/68).

من شوال⁽⁴⁾، وقد أخذ بظاهر هذا الحديث جماعة من العلماء فصاموا هذه الستة إثر يوم الفطر منهم الشافعي وأحمد بن حنبل، وكره مالك وغيره ذلك، وقال: لم أر أحدًا من أهل العلم والفقه يصومها، ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف وأهل العلم يكرهون ذلك، ويخافون بدعته، وأن يلحق برمضان ما ليس منه أهل الجهالة والجفاء⁽⁵⁾، بينما ذهب غيرهم إلى جواز صومها في أي وقت من شوال، وقالوا: لا دليل على اختيار كونها من أول شوال إذ من أتى بها في شوال في أي أيامه صدق عليه أنه أتبع رمضان ستا من شوال وإنما شبهها بصيام الدهر؛ لأن الحسنه بعشر أمثالها فرمضان بعشرة أشهر وست من شوال بشهرين⁽⁶⁾.

أما مسألة تتابعها، فقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن الأفضل تتابعها وكونها متصلة بالعيد مبادرة للعبادة⁽⁷⁾، بينما ذهب آخرون إلى أن العبد إذا فرقها أو أخرها عن أوائل شوال إلى آخره حصلت فضيلة المتابعة لأنه

قال أبو البقاء: إنما أنث الضمير لأنه أراد العبادة أو الخصلة أو النية الصالحة⁽¹⁾، وهذا ما قاله محب الدين العكبري⁽²⁾.

ثانيًا: مسألة: اتباع صيام رمضان بست من شوال:

روى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»⁽³⁾.

والإحالة في هذا الحديث متمثلة في لفظة: "أتبعه"، فالضمير إما عائد على صيام الشهر؛ وعليه فمقصد الحديث إلحاق صوم الست من شوال بصوم رمضان المنصرم، وإما يعود على شهر رمضان نفسه؛ وعليه يجوز تأخير صوم الست من شوال عن أول الشهر، لأن الصوم في أي وقت من شوال متابع لشهر رمضان. وبناء على الاختلاف في فهم هذا الحديث اختلف الفقهاء في صيام الست من شوال، هل تكون في أوله ومتابعة أم لا؟

ذهب عبد الله بن المبارك إلى اختيار صوم أول ستة أيام

(6) انظر: ابن رسلان، أبو العباس أحمد بن حسين (ت: 844 هـ)، "شرح سنن أبي داود"، ط 1، دار الفلاح للبحث العلمي - مصر، 1437 هـ - 2016 م، تح: دار الفلاح، (10/ 546).
الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت: 790 هـ)، "الموافقات"، ط 1، دار ابن عفان، 1417 هـ - 1997 م، تح: مشهور بن حسن، (3/ 199).

(7) انظر: القسطلاني، أحمد بن محمد (ت: 923 هـ)، "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، ط 7، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1323 هـ، (3/ 424).

(1) السيوطي، جلال الدين، "عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد": (1/ 343).

(2) أبو البقاء، عبد الله بن الحسين العكبري (ت: 616 هـ)، "إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي"، ط 1، مؤسسة المختار - مصر، 1420 هـ - 1999 م، تح: د. عبد الحميد هندراوي، (ص77).

(3) أخرجه مسلم في "صحيحه": (822/2).

(4) الصنعاني، محمد بن إسماعيل، "سبل السلام"، د. ط، دار الحديث، د. ن، د. ت، (1/ 582).

(5) انظر: "المرجع السابق": (1/ 582).

الخاتمة:

الحمد لله الذي هداني لهذا، وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله، وصلى الله على نور الهدى وبقين الحق محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنه بعد أن تمّ هذا البحث، وهياً الله لصاحبه أن تعيش مع دواوين التراث العربي والحديثي والفقهية، بغية إخراج هذا العمل على وجه ترتضيه كاتبته، ويسمح بالقول إنه قد أسهم ولو بقليل في ردّ شيء من الجميل لمكتبة التراث اللغوي العربي والإسلامي، فإن وفقت فذلك فضل الرحمن، وإن كانت الكبوة والضعف فهذا عجز الإنسان، وخاصة تلك الطالبة الباحثة والتي تحتاج مع كل ما بذلته إلى التوجيه والنصح والإرشاد.

وقد وقفت الباحثة على بعض النتائج رأت إثباتها في هذه الخاتمة:

كان من نتائج الخلاف النحوي عند نحائنا القدماء أن ظهرت لهم آراء جيدة، ونظرات ثاقبة امتلأت بها كتبهم ومؤلفاتهم، وقد كان لهذه الآراء والنظرات أثر كبير ومؤثر في تطور الدرس النحوي في العصر الحديث، وقد تمثل هذا التطور في استفادة علماء اللغة المعاصرين في دراستهم العربية بما قاله نحائنا القدماء، إذ استوعبوا ما قاله المتقدمون، وطوروه بما يتوافق وطبيعة اللغة في هذا

يصدق أنه أتبعه ستاً من شوال⁽¹⁾.

وتفرعت عن هذه الإحالة مسألة صيام المرأة لهذه الست من شوال قبل قضائها ما عليها من رمضان بسبب حيضها، فذهب الجمهور إلى أنه لا نافلة مع الفرض حتى تأتي بالفرض، خلافاً للأحناف، فإنهم قالوا: بأن لها أن تتنفل ما دام الواجب موسعاً⁽²⁾!

ويظهر أن المرأة ليس لها إلا أن تقضي أولاً ثم تصوم الست من شوال، لكي تحصل على الثواب المذكور بالحديث، فصيام المرأة ستة أيام قبل أن تقضي لا يندرج في قول النبي ﷺ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَالٍ) لأن قوله: (صَامَ رَمَضَانَ) يعني: كل رمضان، هذا ظاهر اللفظ، وهي الآن لم تتم الشهر، إذاً: لا تندرج تحت الحديث لأن النبي ﷺ قال: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ) ولفظة: "رمضان" هنا نكرة في سياق الإثبات، وهذا يفيد الإطلاق، يعني: من صام كل رمضان من أول يوم إلى آخر يوم، ثم أتبع رمضان بست من شوال، فكأنما صام الدهر كله، وهي لم تصم رمضان، فعليها أولاً: أن تقضي الأيام التي أفطرتها من رمضان بسبب الحيض، فإذا قضت هذه الأيام فلها أن تصوم الست من شوال.

السبكي، تقى الدين علي بن عبد الكافي وولده تاج الدين عبد الوهاب، "الإبهاج في شرح المنهاج"، د.ط، دار الكتب العلمية - بيروت، 1416هـ - 1995م، (93/1 - 99).

(1) انظر: العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير (ت: 1329هـ)، "عون المعبود شرح سنن أبي داود"، ط 2، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ، (63/7).

(2) انظر: الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي (ت: 631هـ)، "الإحكام في أصول الأحكام" د.ط، المكتب الإسلامي، لبنان، تج: عبد الرزاق عفيفي، (1/105).

616هـ)، "إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي"، ط 1، مؤسسة المختار - مصر، 1420هـ - 1999م، تح: د. عبد الحميد هندأوي.

7. البوصيري، أبو العباس أحمد بن أبي بكر (ت: 840هـ)، في "إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة"، ط 1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1420هـ - 1999م، تح: دار المشكاة للبحث العلمي.

8. الجرجاني، عبد القاهر، "دلائل الإعجاز"، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001م، تح: عبد الحميد هندأوي.

9. الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي (ت: 370هـ)، "شرح مختصر الطحاوي"، ط 1، دار البشائر الإسلامية - ودار السراج، 1431هـ - 2010م، تح: د. عصمت الله عنايت الله وآخرين.

10. حسان، تمام، "اجتهادات لغوية"، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 2007م.

11. حسان، تمام، "الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب"، د. ط، عالم الكتب، القاهرة، 2000م.

12. حسان، تمام، "البيان في روائع القرآن"، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 1993م.

13. الحموز، عبد الفتاح، "التأويل النحوي في القرآن الكريم"، ط 1، مكتبة الرشد، الرياض، 1984م.

العصر، فأسهموا بجهد لا يستهان به، تمثل في آراء ونظرات أصيلة استطاعت أن تفسر لنا كثيراً من مشكلات الدرس العربي، ولعل من أهم هذه الإسهامات التي أسهم بها علماء اللغة المعاصرون ما قدمه الدكتور تمام حسان، فقد قدم الدكتور حسان في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" بناءً جديداً للدرس النحوي، اعتمد فيه على المنهج الوصفي في ضوء نظرية السياق والقرائن.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي (ت: 631هـ)، "الإحكام في أصول الأحكام" د.ط، المكتب الإسلامي، لبنان، تح: عبد الرزاق عفيفي.
2. أوكان، عمر، "اللغة والخطاب"، د.ط، إفريقيا الشرق، المغرب.
3. بحيري، سعيد حسن، "دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة"، ط 1، مكتبة زهراء - الشرق القاهرة، دن، د.ت.
4. بحيري، سعيد حسن، "دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة"، ط 1، مكتبة زهراء - الشرق القاهرة، دن، د.ت.
5. أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، "أسرار العربية"، د.ط، المجمع العلمي العربي، دن، تح: محمد بهجة البيطار.
6. أبو البقاء، عبد الله بن الحسين العكبري (ت:

14. خطابي، محمد، "لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب"، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.
15. الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت: 466هـ)، "سر الفصاحة"، ط1، دار الكتب العلمية، 1402هـ - 1982م، د.ت.
16. دي بوجرانند، روبرت، "النص والخطاب والإجراء"، د.ط، عالم الكتب، القاهرة، 1998م، ترجمة: تمام حسان.
17. ابن رسلان، أبو العباس أحمد بن حسين (ت: 844هـ)، "شرح سنن أبي داود"، ط1، دار الفلاح للبحث العلمي - مصر، 1437هـ - 2016م، تح: دار الفلاح.
18. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد الحفيد (ت: 595هـ)، "بداية المجتهد"، د.ط، دار الفكر، لبنان، 1415هـ - 1995م، تح: خالد العطار.
19. الرضي الاسترأبادي، "شرح الكافية"، دط، جامعة قاروس، 1978م.
20. الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني، "تاج العروس"، ط1، المطبعة الخيرية - مصر، 1306هـ.
21. الزناد، الأزهر، "نسيج النص"، ط1، المركز الثقافي العربي، 1993م.
22. السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي وولده تاج الدين عبد الوهاب، "الإبهاج في شرح المنهاج"، د.ط، دار الكتب العلمية - بيروت، 1416هـ - 1995م.
23. الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت: 790هـ)، "الموافقات"، ط1، دار ابن عفان، 1417هـ - 1997م، تح: مشهور بن حسن.
24. الشنقيطي، محمد الخضر بن سيد (ت: 1354هـ)، "كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري"، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ - 1995م.
25. الشيباني، أبو عبد الله محمد بن الحسن (ت: 189هـ)، "الحجة على أهل المدينة"، ط3، عالم الكتب - بيروت، 1403هـ، تح: مهدي حسن الكيلاني.
26. الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت: 476هـ)، "المهذب في فقه الإمام الشافعي"، د.ط، دار الكتب العلمية د.ت.
27. الصنعاني، محمد بن إسماعيل، "التحبير لإيضاح معاني التيسير"، ط1، 1433هـ - 2012م، مكتبة الرشد، الرياض، تح: محمد صبحي.
28. الصنعاني، محمد بن إسماعيل، "سبل السلام"، د.ط، دار الحديث، دن، د.ت.
29. الطاهر بومزبر، "التواصل اللساني والشعرية"، ط1، منشورات الاختلاق، 2007م.
30. الطحاوي، أبو جعفر (ت: 321هـ) في "شرح مشكل الآثار"، ط1، مؤسسة الرسالة - 1415هـ، 1494م، تح: شعيب الأرنؤوط.

- ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1952م.
40. القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس (ت: 684هـ)، "الذخيرة"، ط1، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1994م، تح: محمد حجي، وآخرين.
41. القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر (ت: 656هـ)، "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم"، ط1، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 1417هـ - 1996م، تح: محيي الدين ديب ميستو وآخرين.
42. القسطلاني، أحمد بن محمد (ت: 923هـ)، "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، ط7، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1323هـ.
43. الكرماني، محمد بن يوسف (ت: 786هـ)، "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري"، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1401هـ - 1981م.
44. مالك بن أنس (ت: 179هـ)، "الموطأ" برواية محمد بن الحسن الشيباني، ط2، المكتبة العلمية، د. ن، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف.
45. مجمع اللغة العربية، "المعجم الوسيط"، ط1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1927م - 1392هـ.
46. مسلم، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تح: محمد فؤاد عبد الباقي.
47. المغربي، الحسين بن محمد (ت: 1119هـ)، "البدر التمام شرح بلوغ المرام"، ط1، دار هجر، د.ن، تح: علي بن عبد الله الزبن.

31. الطيبي، الحسين بن عبد الله، "الكاشف عن حقائق السنن"، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض، 1417هـ - 1997م، تح: د. عبد الحميد هنداي.
32. ابن عاشور، الطاهر، "التحرير والتنوير"، دط، الدار التونسية للنشر، 1984م.
33. عبد العزيز عبد الله محمد، "العدول في العربية"، رسالة دكتوراة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، 1420هـ - 2000م.
34. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي (ت: 543هـ)، "القبس في شرح موطأ مالك بن أنس"، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1992م، تح: محمد عبد الله ولد كريم، (543 - 544).
35. العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير (ت: 1329هـ)، "عون المعبود شرح سنن أبي داود"، ط2، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ.
36. العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت: 855هـ)، "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، د.ط، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت.
37. الغزالي، أبو حامد، "الوسيط في المذهب"، ط1، دار السلام - القاهرة، 1417هـ، تح: أحمد محمود إبراهيم، وآخرين.
38. الفقي، صبحي إبراهيم، "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق"، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000م.
39. الفيروز آبادي، مجد الدين، "القاموس المحيط"،



48. هالداي ورقية حسن، "الاتساق في الانجليزية"، د.ط، لندن، 1976م. ابن هشام، الأنصاري، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، د.ط، د ن، تح: فيصل عيسى البابي.
49. أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي، في "المسند"، ط 1، دار المأمون للتراث - دمشق، 1404 - 1984م، تح: حسين سليم أسد.
50. ابن يعيش، "شرح المفصل"، ط 1، دار الكتب العلمية - لبنان، 2001م، تح: إميل بديع يعقوب.

اللغة جواهر الهوية (دراسة وصفية تحليلية)

هند وليد غفوري السامرائي د. محمد شحاتة عبد الحميد الشرقاوي د. محمد إبراهيم بخيت
طالبة دكتوراه – كلية اللغات قسم اللغة أستاذ مشارك بكلية اللغات قسم اللغة أستاذ مشارك بكلية اللغات قسم اللغة
العربية – جامعة المدينة العالمية العربية – جامعة المدينة العالمية العربية – جامعة المدينة العالمية
h.m622014@yahoo.com dr.shrkawy@mediu.my mohamed.bakhet@mediu.my

الملخص

تواجه لغتنا العربية نوعًا آخر من التغريب مغطى بشعارات العولمة الثقافية، إذ تنشر وسائل الإعلام العربي برامجها بصبغة الثقافة واللغة الغربية، فترى الشباب العربي يتطلع إلى الثقافة الغربية بوصفها النموذج الحضاري الذي يُقتدى به، وإلى لغة الغرب بوصفها اللسان الذي لا يصح التعبير إلا به. ذلك لأن تعلم الناس للغة أجنبية بذاتها لا يعني مجرد أن تألف ألسنتهم وآذانهم الصوت المعبر عن مفردات تلك اللغة، بل يعني انفتاح عقولهم وقلوبهم على الأفكار والرؤى والنظريات الأجنبية، وبما يؤدي بالتالي إلى فتح بلد واستعمار اهله بواسطة اللغة وبدون جهد عسكري أو خسارة اقتصادية، وهذا يمثل بحذ ذاته انسلاخ للهوية العربية. "واليوم يمكن لأي أحد أن يلحظ طوفان الكلمات الدخيلة التي يستملحها البعض ويرددونها على ألسنتهم، بينما يوجد لها مقابل أجمل وأوضح في التعبير تتمتع به لغتنا، ولا يعرف أحد على وجه اليقين لماذا يفضلون الدخيل على الأصل: أهى هجمة «التفرنج» عادت من جديد؟ أم هي اتجاه إلى نبذ أصالتنا وهجر انتمائنا؟". إذ بينت الدراسة مدى تطور وتأثر لغة الشباب العربي على وسائل التواصل الاجتماعي فأصبحت لغة مستقلة تعكس هويتهم وثقافتهم.

Abstract

The Arabic language is currently experiencing a new form of Westernization, veiled under the rhetoric of cultural globalization. Arab media channels now broadcast their content with noticeable Western cultural and linguistic influences. As a result, many Arab youth regard Western culture as the ideal civilizational model and consider Western languages as the primary, if not exclusive, means of expression. Learning a foreign language, however, goes beyond mere familiarity with its vocabulary and sounds; it involves a cognitive and emotional openness to foreign ideas, perspectives, and theories. This, in turn, considered as a form of colonization—achieved through language—without the need for military intervention or economic expense. Such a process constitutes a gradual detachment from Arab identity. As the study notes: “Today, anyone can observe the influx of foreign words that some individuals find appealing and frequently repeat, despite the existence of more elegant and precise equivalents in our own language. No one can say for certain why these foreign terms are preferred over authentic ones. Is it the resurgence of Westernization? Or a growing tendency to reject our cultural authenticity and abandon our sense of belonging?” The study further reveals the extent to which Arab youth language has evolved under the influence of social media, forming an increasingly independent linguistic style that reflects their distinct identity and culture.

المقدمة:

إن اللغة سرٌّ من أسرار الخالق المودعة في خلقه من بني آدم، حين علّم سبحانه أباهم الاسم والمسمى لفظاً ومعنى. وتُمثل اللغة أرقى وسائل التواصل بين بني البشر. يجمع علماء اللغة على أن أصل اللغة هو أصوات استخدمها الإنسان بدءاً للتعبير عن حاجاته الأساسية وتباين أحاسيسه في مختلف الأصقاع وعلى امتداد الأزمنة المتباينة، وتنفرد بني البشر عبر الأجيال المتعاقبة؛ اختلفت هذه الأصوات المعبرة عن معاني المسميات لفظاً ودلالة بين مجتمع ومجتمع آخر. يواجه مجتمعنا العربي المسلم اليوم تحديات كثيرة منها؛ طمس الهوية والثقافة العربية، من خلال أساليب متعددة ووسائل كثيرة يبرز من بينها العبث باللغة العربية وبأشكال متعددة ومتنوعة تظهر في لغة التواصل -رسماً ونطقاً ودلالة- على الشبكة الرقمية. فالعولمة والإعلام السلبي الموجه يؤثران تأثيراً بالغاً في تشويه اللغة العربية ونشر ممارسات وتراكيب لغوية ركيكة ومغلوبة لا تمت إلى اللغة العربية بصلة، تلك التراكيب الناتجة عن هفوات الترجمة والتداخل اللغوي غير السليم، لتأتي منصات التواصل الاجتماعي المنتشرة على الشبكة الرقمية، فتوظف ذلك بظواهر وممارسات لغوية فاضت منها الكأس وجعلت السيل يبلّغ الزبي.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في كون الدراسة تبحث: في دراسة وتحليل واستقصاء الوضع الإيجابي والسلبي لاستخدام لغتنا العربية على هذه المنصات من عدمه،

أسبابه ومظاهره ونتائجه، معطياته وتداعياته، وأثر ذلك على لغتنا العربية، وانسحابه على الواقع الاجتماعي للأمة العربية، هويتها ووجودها وشخصها بين الأمم، وخطر كل ذلك على الحالة العلمية نموها وتطورها، ركودها ثم اضمحلالها.

أسئلة البحث:

يسعى البحث للإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. ما المقصود بالهوية اللغوية العربية، وكيف تشارك اللغة في تشكيل الهوية الثقافية والفكرية للأفراد والمجتمعات؟

2. ما أثر التعريب في الحفاظ على الهوية اللغوية والثقافية، وإلى أي مدى يمثل التعريب تحديداً للهوية اللغوية العربية؟

3. كيف تؤثر وسائل التواصل الاجتماعي في أنماط استخدام اللغة العربية، وما انعكاسات ذلك على الهوية العربية؟

أهداف البحث:

يسعى البحث للوصول إلى أهداف، من أهمها:

1. توضيح مفهوم الهوية اللغوية العربية وعلاقتها بالانتماء الثقافي.

2. تحليل أثر التعريب والتغريب على اللغة العربية وهوية المتحدثين بها.

3. تحليل التحولات اللغوية في سياق وسائل التواصل الاجتماعي، وتقييم انعكاساتها على الهوية العربية.

منهج البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث

والنبرة، وبناء الجملة وبالتالي؛ فإن استكشاف العلاقة بين اللغة وتشكيل الهوية من خلال التحليل عبر الثقافات يمكن أن يوفر رؤى قيمة ومستدامة حول كيفية تشكيل اللغة لشعورنا بالذات.

إن اللغة هي الوسيلة الرئيسة التي يستطيع بنو البشر من خلالها التواصل فيما بينهم، لفهم ماضيهم، وتلبية حاجاتهم الحياتية الحاضرة، والتطلع لأهدافهم المستقبلية، وهي ظاهرة اجتماعية فريدة تنشأ وتنمو داخل المجتمع، وكما عرفها ابن جني⁽¹⁾ هي "أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁽²⁾، فكما تعكس اللغة هوية الفرد، فإن لها دور حاسم في تحديد من هو (الأنا)؛ وكيف يتفاعل أثرًا وتأثيرًا في العالم من حوله.

فاللهجة واللكنة التي يستخدمها الفرد تشير إلى حيزه المكاني وتُعبده الزماني، والثقافة التي نشأ عليها، وهذا يمكن أن يكون دليلاً واضحاً وهاماً على جذور أصوله، وماهية انتماءاته الثقافية. هذا فضلاً عن أن الأسلوب اللغوي سواءً أكان فصيحاً أم شعبياً مبسطاً، يمكنه أن يعكس شخصية الفرد، وطرائق تفكيره وكيفية وسائل التواصل. كذلك اختيار الفرد للكلمات والعبارات يُظهر تفضيلاته واختياراته، وقد يكون دليلاً على تعدد وتنوع مجالات اهتمامه وخلفيته الشخصية؛ فبعض الأشخاص قد يستخدمون مصطلحات خاصة بهم

يتم رصد الظاهرة قيد البحث وجمع المعلومات عنها، ثم تحليلها للكشف عن أبعادها الثقافية والاجتماعية ومدى تأثيرها على الهوية.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: العلاقة بين اللغة والهوية.

الحدود الزمنية: الحدود الزمنية: ١٤٣١ - ١٤٤٤ هـ / ٢٠١٠ - ٢٠٢٣ م.

الفصل الأول: دور اللغة في حفظ الهوية

اللغة عامل مهم، وعنصر فاعل، وأصل حاضر في تكوين هوية وانتماء الفرد، وارتباطه وجدانياً وفكرياً، معنوياً وواقعياً، ووسيلة أساسية وأداة أصيلة موروثه للتعبير سلباً وإيجاباً عن ثقافته وقيمه ومعتقداته وعاداته الاجتماعية؛ إذ يُفرضي تطويع اللغة وحُسن توظيفها واستخدامها بصورة صحيحة ويعمل بوضوح وسلاسة على إبراز الأنماط الظاهرة لسمات خصائصنا الشخصية وخصالها. فمن ذلك وعلى سبيل المثال وليس الحصر؛ قد يختار الأشخاص ولأسباب كثيرة تعلم لغة جديدة أو اعتماد لهجة مختلفة للتعبير والإفصاح عن مقومات هويتهم اعتماداً على طرائق معينة. هذا فضلاً عن أنه يمكن لاستخدام اللغة أن يكشف عن مناحي جوانب عديدة للهوية من خلال السمات اللغوية وخصائصها مثل اختيار الكلمات،

رجال الحماسة، و (المحتسب) في شواذ القراءات، و(الخصائص)

ثلاثة أجزاء في اللغة. الزركلي، كتاب الأعلام، ط15، 204/4.

(2) جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط1، ج1، ص11.

(1) ابن جني: هو عثمان بن جني الموصل، المعروف بأبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة 392 هـ، عن نحو 65 عاماً. من تصانيفه رسالة في (من نسب إلى أمه من الشعراء) و (شرح ديوان المتنبي) و (المبهم) في اشتقاق أسماء

يقول الفيلسوف العربي الفارابي⁽⁴⁾: الهوية هي الشيء عينيته، وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له كل واحد. وقولنا إنه إشارة الى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه إشراك⁽⁵⁾. إذن الهوية مجموعة من العوامل الثقافية واللغوية التي تصنع السمات والعلامات، والتي تميز فردًا أو مجتمعًا عن غيره من الأفراد والمجتمعات، فيرتبط مفهوم الهوية بالبعد الثقافي أو الاجتماعي واللغوي ارتباطًا وثيقًا يكاد يكون كالمرآة العاكسة له، ومن أبرز مصادر الهوية:

1. الجانب الثقافي: تعتبر اللغة الجزء الأهم في هذا الجانب فمن خلالها يتشكل الإطار الثقافي للمجتمع والفرد والذي يشمل كل ما له صلة وتماس بحياة الإنسان، إبداعاته، وخبراته، ومهاراته، ومعارفه.
2. البعد الديني: فيؤثر في المعتقدات، والمبادئ والقيم، والأخلاق والسلوكيات التي يتبناها الفرد، وهذا له دور هام وفاعل في تشكيل الهوية الشخصية وتركيبها.
3. النشاط الاقتصادي: يشكل وضع الفرد المادي ومركزه الاقتصادي والوظيفي، أو المهنة والحرفة

تُظهر تجاربهم النوعية وتفاصيل حياتهم الفريدة، وقد يكون الفرد ثنائي اللغة فتُظهر ثنائية اللغة عنده جوانب مختلفة من شخصيته، قد تكون تلك الجوانب متعددة ومتنوعة ومتباينة، في كل الأحوال مجتمعة أو منفردة، إذ يبقى للغة دورها الفاعل في حفظ الهوية.

ويراد بالهوية في عُرف حضارتنا العربية الإسلامية: "الحقيقة المطلقة المشتمة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"⁽¹⁾ أي؛ جوهر الشيء وحقيقته، فهو الهوية الإنسان أو الهوية الثقافية والحضارية تعني: جوهرها وحقيقتها وهذا ما قصده الباحثة في هذا البحث، "واستعملت الكلمة حديثًا للبطاقة التي يُثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله"⁽²⁾. ويجب التمييز هنا بين لفظين يخلط بينهما عامة الناس، اللفظ الأول: (هُويّة) بضم الهاء؛ والذي وضعناه معناه أعلاه، واللفظ الثاني (هُويّة) بفتح الهاء؛ والذي يُقصد به "الحفرة البعيدة القعر"⁽³⁾.

تتباين وجهات النظر وتعدد الرؤى عند بعض المفكرين قديمًا وحديثًا أثناء تصديهم لشرح مفهوم الهوية وتحليل أبعاده ومن ذلك:

فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب. محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، د. ط، ص ٣٨. الزركلي، كتاب الأعلام، ط ١٥، ٢٠ / ٧.

(5) محمد الجابري، الموسوعة الفلسفية العربية، فصل (هوية)، ط 1، م 1، ص 821.

(1) مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المختصين، باب: هوا، د. ط، ج 40، ص 333.

(2) احمد عمر، كتاب معجم الصواب اللغوي، ط 1، ج 1، ص 782.

(3) مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المختصين، باب: هوا، د. ط، ج 40، ص 334.

(4) الفارابي: (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٥٠ م)، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر

تتجلى هذه الظاهرة في تحولات لغوية عديدة نتيجة للترحال، أو الغزو، أو التجارة، أو الثقافة المشتركة، أو التقارب المكاني بين الشعوب. وتولد الاختلافات بين اللغات وتزيد من الحاجة إلى مصطلحات جديدة ومفردات مستحدثة مستوحاة من لغات أخرى، سواء لسد الحاجات اللغوية أو للاستفادة من التنوع اللغوي. واللغة العربية مثل غيرها من اللغات شهدت تاريخاً طويلاً من التأثيرات اللغوية المتباينة، واستقبال مصطلحات من مختلف اللغات الأخرى. شارك ذلك في زيادة ثراء وغنى اللغة العربية وتنوعها في المفردات اللغوية وتراكيبها، وقد تم توثيق هذه العمليات وتنظيمها في كتب عديدة وأعمال كثيرة لتحديد القواعد والأسس والمبادئ التي تصون وتحمي تطور اللغة العربية وتثريها. ومن هذا الجهد اللغوي ظهرت مصطلحات جديدة ومفردات لمفاهيم عديدة إذا بحثنا في جوانبها الإيجابية وماهية معطياتها، نجد أنها ساعدت اللغة العربية ومكنتها من أن تصبح لغة حديثة، مواكبة لتطورات العصر واحتياجاته الثقافية والتقنية، أُطلق على هذا الاقتراض اللغوي مصطلح التعريب. فما المقصود بالتعريب؟

التعريب لغة:

"هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها، وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول: عربيه العرب وأعربه أيضاً"⁽¹⁾.

التي يمارسها سعيًا للحصول على دخل منتظم، مصدرًا يؤثر في نظرتهم لذاته -هويته- وللمجتمع الذي يعيش فيه.

4. الحالة الاجتماعية: تتأثر الهوية بالعلاقات والطبقات والتفاعلات الاجتماعية في المجتمع ومن ذلك الشخصية والجنس والسلالة، مما يشارك في تشكيل هوية خاصة لكل فرد في المجتمع، وبما يُعزز قدرات الأفراد ويزيد من طاقاتهم للمشاركة في بناء لبنات المجتمع وتجديد استقراره.

وإذا ما أردنا التعمق في الدراسة والتحليل والبحث عن أبعاد ومقومات هويتنا العربية الثقافية، يتبين لنا أن دين الإسلام واللغة العربية فضلاً عن تاريخنا العربي الإسلامي المجيد وأعماقه الحضارية يكونون مجتمعين هويتنا الثقافية، والتي أساسها القوي وقاعدتها الصلبة اللغة العربية، ومرجعها القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة.

الفصل الثاني: اللغة العربية بين التعريب والتعريب

تُبنى المجتمعات على ثقافات مختلفة وهذا ما يسمى بالتنوع الثقافي، ذلك التنوع الناتج في أعماقه عن تباين اللغات واختلاف اللهجات في المجتمعات، عمل هذا التباين وشجع على ظهور ما يعرف بـ — التبادل اللغوي — بين تلك المجتمعات؛ وهي ظاهرة لغوية تاريخية وثقافية فريدة تمتد عبر الزمن وتنعكس فيها تأثيرات متعددة للتواصل الثقافي بين مجتمعات تلك الشعوب.

الحياة وانفتاح الأمم والشعوب وفق سنن التعارف والتآلف قد حال دون ذلك، فاختلطت أمة العرب واحتكت قبائلها وشعوبها بالأمم والأجناس الأخرى. ومن أهم العوامل التي شاركت وبفاعلية أقوى وأثر أمضى نذكر الآتي:

أ. رحلتا الشتاء والصيف، والتي ذكرها القرآن الكريم في سورة "قريش"، هذه الرحلات التي عملت عملها في الاحتكاك مع شعوب بلاد الشام وظهرها الاجتماعي والاقتصادي صيفاً، وكذا عملت رحلة الشتاء إلى بلاد اليمن وظهرها الاقتصادي والاجتماعي بالاحتكاك مع شعوبها، وما نتج عن هذا الاحتكاك من اختلاط وتداخل بين اللغة العربية واللغات واللهجات الأخرى، أفرز ذلك عن مصطلحات جديدة كثيرة، ومفاهيم دخلت على اللغة العربية.

ب. الغزوات والاعتداءات التي تعرضت لها أرض الجزيرة وبلاد اليمن من الفرس والأحباش وما نتج عنها من اختلاط وتداخل في اللغة العربية.

ج. ظهور آليات ووسائل وأدوات مستحدثة غير مألوفاً ولا معروفة عند قبائل العرب شاعت وانتشرت بينهم مما عجل بالحاجة إلى ما يعبر عنها في لغتهم.

د. حاجة "وسيلة الإعلام" الرئيسة والأكثر انتشاراً آنذاك، ألا وهم الشعراء والأدباء إلى الاستعانة باللفاظ واصطلاحات ومفاهيم لم تكن شائعة في مجتمعاتهم مما

إذن فيمكن القول بأن اللفظة المعربة؛ هي الكلمة الأعجمية التي قبلت مقاييس كلام العرب، أو إن التعريب هو صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية.

التعريب اصطلاحاً:

"هو ما تكلم به العرب من الألفاظ الأعجمية، والعامل الأساسي في دخول المفردات الأجنبية إلى اللغة العربية يرجع إلى الاحتكاك بين العرب والشعوب الأخرى وما نتج عن هذا الاحتكاك من ظهور ألفاظ لم يكن للعرب عهد بها من قبل في ميادين الاقتصاد، والصناعة، والزراعة، والتجارة، والعلوم والفلسفة ومختلف مناحي الحياة، فلا بد إذن من دخول مفردات أجنبية إلى لغتنا العربية نتيجة هذا الاحتكاك"⁽¹⁾.

كما يعرفه آخرون بأنه: "نقل الكلمة الأجنبية ومعناها إلى اللغة العربية سواء تم هذا النقل دون تغيير في الكلمة أم بعد إجراء تغيير وتعديل عليها، وإذا تم نقل اللفظ الأجنبي إلى اللغة العربية من دون تغيير سُمي (دخلاً) وإذا وقع عليه التغيير سُمي (معرباً)"⁽²⁾.

ترجع عملية التعريب قديماً إلى أزمان مختلفة في تاريخ اللغة العربية، فعلى الرغم من حرص العرب ومنذ القدم على فصاحة ألسنتهم والحفاظ على نقاوة لغتهم بحمايتها من الاختلاط وتداخل اللغات الأخرى واللهجات العامية الدارجة حينئذ، إلا أن عجلة تطور

(2) السيد غنيم، اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، د. ط، ص

(1) احمد عبد الرحمن حماد، عوامل التطور اللغوي، ط1، ص 102.

وقد لجأت العربية إلى هذه الوسائل لمواصلة نجاحها وهيمتها على اللغات الأخرى في الأقاليم الإسلامية، تلبية لحاجات النجاح إلى رافد لغوي يستجيب لعوامل التطور مما لم تألفه اللغة العربية في جزيرتها، وكان لها ما أرادت إذ عُرِّبَت بعض الألفاظ الأعجمية، وأدخلتها في لسانها.

إن عملية التعريب تتطلب فهماً عميقاً للغات أولاً ومن ثم الثقافات والحضارات التي تمخضت عنها، ويعتبر التعريب عامة؛ عملية حيوية في عالمنا المعاصر فمن خلاله يتحقق التواصل الثقافي الهادف والعلمي الجاد والنافع. ويتمثل التعريب الثقافي والفكري في تعزيز اللغة العربية وتحقيق سيادتها في مختلف ميادين الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية. أما التعريب اللغوي والذي هو محل بحثنا فيراد به؛ تحويل كلمات أو مصطلحات أجنبية إلى نسخة باللغة العربية؛ ويتضمن ذلك ترجمة المصطلحات والمفاهيم أو تغييرها بحيث تُصبح مناسبة للاستخدام في اللغة العربية. يُعد التعريب اللغوي ويمثل حاجة ماسة للغتنا العربية، أكثر من كونه مشكلة بحد ذاته، ذلك لأنه يُغني اللغة العربية بالكثير من المفردات المعبرة عن الحقائق والقوانين والرؤى ووجهات النظر العلمية القديمة والحديثة والمعاصرة، والتي لا غنى لنا عنها ونحن نساير مسيرة النهوض العلمي العالمي ونلحق بالركب الحضاري، ونضيق الهوة بيننا وبين

شارك في تعريبها ونشرها بين الناس وتداولها عبر الأجيال اللاحقة، ومن ذلك المفردات الفارسية في قول الشاعر "الأعشى الكبير":

وشاهسفرم والياسمين ونرجس

يصبحنا في كل دجن تغيما

ومتسق سينين وون وبربط

يجاوبه صنج إذا ما ترغما⁽¹⁾

على أن البداية الكبيرة والفاعلة لهذه العملية " التعريب " كانت قد ترادفت مع مطلع القرون الأولى للهجرة الإسلامية، حيث كانت هناك حاجة إلى تحويل سجلات الدواوين كما ذكرنا سابقاً؛ "كديوان الخراج مثلاً من اللغات الأجنبية التي كانت تكتب بها مثل الفهلوية في العراق وبلاد فارس، واليونانية في بلاد الشام إلى اللغة العربية، كما شهدت عملية التعريب النقود من دراهم ودنانير وذلك من أجل تأكيد استقلال وسيادة الدولة العربية الإسلامية في الإدارة المالية"⁽²⁾.

وبانتشار الإسلام في أصقاع المعمورة واتساع رقعة العربية احتاج مستخدمو اللغة العربية إلى مواجهة متطلبات هذا التوسع والتطور ومواكبة الحدث بتطوير لغتهم وتوسيعها. فاخترعوا وسائل يرجعون إليها عند وضعهم لمصطلحاتهم الطارئة في العلوم العقلية والنقلية، من تلك الوسائل: الاشتقاق والنحت والتعريب والمجاز،

المفردات فارسية الأصل. محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله

ومسائله، د.ط، ص ٣٢١.

(2) تاريخ النظم الإسلامية، فاروق عمر فوزي، ط1، ص216.

(1) الشاهسفرم والياسمين والنرجس: أنواع من الرياحين. المستقته: آلة

يضرب عليها. الون: ضرب من الآلات الوترية. البربط: العود.

الصنج: دوائر من النحاس تثبت في أطراف الأصابع. وكل هذه

الهاتف النقال، فهذا التعريب غير الموحد يدخل المستخدم العربي بدوامه، وحلاً لذلك فقد يلجأ البعض منهم إلى استخدام الكلمة الأجنبية كما هي (موبايل) ويترك الكلمة المعربة.

2. تواجه عمليات التعريب تحدي استبدال أصوات الحروف الأجنبية في اللغة العربية مثل؛ أصوات الحروف (G, V, P)، وذلك من خلال تعريب المصطلحات العلمية التي يمكن كتابتها باللغة العربية بشكل أو بناء يتوافق معه ويطابقه، مع الحفاظ على معناه ونطقه قدر الإمكان، "والإبدال لازم لئلا يُدخلوا في كلامهم ما ليس في حروفهم وربما غيروا البناء من كلام الأعجمي في أبنية العرب"⁽¹⁾. ويشمل ذلك الإبدال الحركات والحروف كإبدال حرف الباء في اللغة العربية بحرف ال (P)، وحرف الفاء بحرف ال (V).

3. قد تخلق عملية التعريب تشويش للمعنى الأصلي للكلمة الأجنبية كان يكون التعريب الصوتي للكلمة مشابهاً لمعنى كلمة عربية، لذلك يعتبر اختلاف الثقافات تحدي كبير يواجه علمية التعريب.

4. فضلاً عن أن عملية التعريب تحتاج إلى الدقة العلمية اللغوية وهذا يتطلب جهداً ووقتاً، فيتم مراجعة واختيار الكلمات بما يناسب المجتمع العربي. ولعل المثال الأبرز على ذلك هو محاولات مجامع اللغة العربية في التعريب، إذ تبذل المجامع جهوداً كبيرة للحفاظ على

الآخرين. ويمثل التعريب اللغوي صورة ناصعة ومظهر من مظاهر التجدد والنشاط الحيوي في اللغة، لمسايرة التطور والتقدم والذي يُعد سمة بارزة من سمات العصر، من هنا فهو لا يقلل من شأن لغتنا العربية ولا يحط من قدر مكانتها ومنزلتها بين اللغات الأخرى.

يهدف التعريب اللغوي إلى تسهيل إدراك وفهم استخدام المفاهيم والمصطلحات الأجنبية في الثقافة العربية وضمان استمرارية استخدام اللغة العربية في مختلف المجالات بما يتلاءم مع التطورات الحديثة، على سبيل المثال؛ في المجال التقني، تم تعريب مصطلح "كمبيوتر" ليصبح "حاسوب" و"موبايل" لهاتف نقال أو جوال، هذا فضلاً عن عمل دؤوب للمؤسسات والشركات لتعريب الحواسيب والهواتف الذكية وتطبيقاتها؛ وذلك لجعلها متاحة وميسورة الفهم والاستخدام للمتحدثين باللغة العربية. من هنا يمكن لعملية التعريب أن تكون مهمة وضرورية للحفاظ على الهوية اللغوية والثقافية في وجه التأثير الثقافي والمد الحضاري العالمي واستيعاب التقنيات والمفاهيم الجديدة.

تحديات التعريب اللغوي ومعطيائه

تواجه عملية التعريب اللغوي تحديات كثيرة نذكر منها:

1. أن التعريب اللغوي اللفظي له خيارات وأوجه متعددة وهذا ما نلاحظه في الكلمات المعربة حديثاً ككلمة (جوال، خلوي، نقال، محمول) المقصود بها

(1) علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية،

- الأجيال وانتمائها لأمتها.
2. يمثل تعريب المحتوى التعليمي الأجنبي عملية مهمة وحيوية مطلوبة، تهدف إلى ترجمة وتحويل المصطلحات الأجنبية وجعلها عربية الصياغة واللفظ؛ وبذلك يسهل على الطلبة في مختلف المراحل فهم تلك المصطلحات وحسن تصور أبعاد معانيها فيشارك في رفع جودة الاستعدادات الذهنية للاستنباط والاستقراء بشكل أدق وأفضل؛ مما يعمل على رفع مستوى التعليم وتحسين ادائه منهجاً، ووسيلة وطرائق.
3. ان تعريب التطبيقات المنتشرة على الهواتف النقالة وتقنياتها الحديثة وأجهزة الحاسوب بكل أنواعها يجعلها أكثر سهولة في الاستخدام والمتابعة إذا تمت عملية التعريب بشكل سليم.
4. يعزز التعريب التواصل بين الثقافات المختلفة النابعة والمعبرة عن سلسلة طويلة من الحضارات الأصيلة والمتباينة، فضلاً عن فعله الفاعل على تجسير الروابط وتقوية التفاهم الثقافي والاجتماعي، وتبادل الآراء والأفكار ووجهات النظر المختلفة.
5. تشارك عمليات التعريب وبشكل دؤوب في فتح أسواق جديدة للأموال والبضائع وتنشيط الخبرات واكتساب المهارات، مما يفتح الباب على مصراعيه لزيادة فرص نشاط الأعمال التجارية للشركات والمؤسسات، وذلك عن طريق تعريب الإعلانات بما يتناسب مع المجتمعات العربية المقصودة لفتح مثل تلك الأعمال التجارية.
6. أخيراً وليس آخراً، أن الهدف من عملية التعريب

- اللغة العربية من الدخيل اللغوي ومن اندثار المفردات اللغوية في التداول الحياتي لأبناء العروبة.
5. اما بالنسبة لتعريب التقنيات الحديثة كالتطبيقات الخاصة بالهواتف النقالة، والحاسوب الآلي فيواجه التعريب تحدي التحديثات سواء تحديثات التطبيقات والمواقع أو التحديثات الخاصة بالقوانين والأنظمة التابعة لها، فيتم تحديث وتعديل التعريب بناءً على التحديثات المعمول بها.
- ان تجاوز كل هذه التحديات يتطلب جدية القوى السياسية الفاعلة والقائمة على إدارة الدفة في المجتمع العربي، وذلك من خلال حشد وتوجيه وتهيئة الموارد وبخاصة العاملة منها في مؤسسات التعليم والتربية والبحث العلمي، وكذا العاملين في مجالات الإعلام والمؤسسات الثقافية. ونؤكد هنا على الدور الهام والخطير للقائمين على عملية التعريب والذي يتطلب منهم تخطيطاً جيداً، واهتماماً علمياً، ومتابعة للتطورات، ومواكبتها لغوياً، وذلك لضمان تقديم محتوى مُعرب ذو جودة لغوية عالية ومناسب لما يشهده مجتمعنا العربي من تطور وتقدم للحاق بالركب العالمي.
- التعريب كما ذكرنا سلفاً هو عملية صبغ الكلمات الأجنبية بطابع عربي ولهذه العملية معطيات نذكر منها الآتي:
1. يمكن للتعريب أن يشارك في الحفاظ على تراث حضارة الأمة وثقافتها المميزة من خلال توثيقها ونقلها بين الأجيال بتعاقب الزمان وتباين المكان وعبر الحدود اللغوية والثقافية المختلفة، وبما يحافظ على هوية هذه

على نحو يتناسب مع تلك اللغات الأجنبية⁽¹⁾.

التغريب لغة:

"غربه، اغربه: نحاه... والتغريب: النفي والابعاد عن البلد. وغرّبه، وأغرّبه: نحّاه، والتغريب: النفي عن البلد، ومنه الحديث: أنّه أمر بتغريب الزاني عن البلد الذي وقعت فيه الجناية، يقال أغرّبه وغرّبه إذا ابعده، وغرّبه وغرّب عليه إذا تركه بعيداً"⁽²⁾ وتغريب هو مصدر على وزن (تفعيل)، وكل ذلك مأخوذ في المعاجم من مادة (غ - ر - ب). ويوحي مصطلح "التغريب" من خلال دلالة صيغته الصرفية مارة الذكر (غرب)، بأنه لا يمكن أن يكون إلا بفعل فاعل واستدراج مستدرج يغرس بذوره في نفوس غير منسجمة مع واقع الحال الذي تعيشه، يُسقيها من حنظل الماء وعكره، فتنبت سموماً تجري على الأمة الويلات.

التغريب اصطلاحاً:

أما معنى التغريب في الاصطلاح فيقصد به؛ "حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية، والأخذ بالقيم والنظم وأساليب الحياة الغربية؛ بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع العربي المسلم الذي له هذا الموقف أو الاتجاه غربياً في ميوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة"⁽³⁾. وبذلك يمثل التغريب واحداً، إن لم يكن

هو بناء شخصية عربية مبدعة قادرة على مواكبة التقدم السريع للتطور العلمي التجريبي والتطبيقي الحديث، واحتضان العلوم من خلال تعلّمها وتعليمها، والبحث فيها والدراسة والتحليل بلغتها العربية، وبما يُفعل الهوية العربية ويدعمها.

اذن: لا مفر ولا هروب من التغريب مهما حاولنا اعتماد طرائق ووسائل أخرى، أو خلقنا الحجج والذرائع الواهية لأن ذلك يُعد بمثابة هروب من مواجهة الحقائق وواقع الحال الذي عليه أمتنا العربية ولغتها. فتغريب الشيء هو أن يصبح عربي اللغة والثقافة والهوية، وعلى خلاف ذلك فإن تغريب الشيء يعني سلخه وجعله يبتعد عن جذوره العربية فيصبح غربياً في اللسان والهوية. هكذا يتقابل مفهوم التغريب مع التغريب ويعاكسه تماماً في المحتوى، والوسيلة والطريقة، والغاية والهدف، تلك الغاية الكامنة وراء كل ذلك، "فالتغريب هو جعل اللغة الأجنبية - كالإنجليزية، والفرنسية وغيرها من اللغات الأجنبية العالمية - اللغة الأساسية والرئيسية في مختلف مجالات التعليم، وإعداد المناهج والبحث العلمي، والتداول الأكاديمي، والتخاطب اليومي، والتبادل المعرفي والتواصل الاجتماعي في داخل المؤسسات التعليمية والجامعية

ص ٤١٠. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، د. ط،

ج 2، ص ٦٤٧.

(3) عمر التومي الشيباني، التغريب والغزو الصهيوني، مجلة (الثقافة

العربية) ليبيا، د. ط، ع 10، ص 162.

(1) علي اسعد وطنه، في مفهومي التغريب والتغريب، مجلة نصف

سنوية تصدر عن المركز العربي للتغريب والترجمة، ع 47، ص ٧٧.

(2) ابن منظور، لسان العرب، د. ط، ج ١، ص ٦٣٨-٦٣٩. الجوهري،

الصحاح، د. ط، ج ١، ص ١٩١. ابن أبي بكر الرازي، مختار

الصحاح، د. ط، ص ٤٧٠. الزبيدي، تاج العروس، د. ط، ج ١،

تُعدّ جديدة، متحدية أنظمة المعتقدات والعادات ونُظم القيم التقليدية السائدة، أدى ذلك إلى تحول كبير في المشهد الفكري للمجتمعات والمجتمع العربي جزء منها. كما أحدثت التقنية الغربية الحديثة -الآلات الصناعية وأنظمة النقل- ثورة في الاقتصادات المحلية والبنية التحتية، فتطورت وقفزت قفزات متسارعة، وتقدمت وسائل وآليات نقل وتحليل وقدرات تخزين وحفظ واسترجاع المعارف والمعلومات، انعكس كل ذلك بشكل أو بآخر على جميع مناحي الحياة البشرية وبكل مجالاتها، كان لهذه التطورات تأثير عميق على الثقافات والمجتمعات التقليدية، فتوسعت الفجوة وتعاضمت بين الدول المتقدمة والنامية.

ومن أبرز آثار التغريب تحول الأعراف الاجتماعية والثقافية؛ فمع تغلغل الأفكار والقيم الغربية في المجتمعات غير الغربية، كان هناك تحول تدريجي في الممارسات والسلوكيات الثقافية، فأصبح اعتماد أنماط الملابس الغربية واتجاهات الموضة رمزًا للحدثاء والمكانة الاجتماعية. وأمسى من الضرورة عند البعض استخدام اللغات الغربية -وخاصة الإنجليزية- والذي راح يزداد مع زيادة شراسة الهجمة وبشكل أدى إلى تهميش اللغات المحلية، وركود استعمالها؛ مما يُعجل بموتها واندثارها. فأدركت القوى الاستعمارية الغربية أن تغريب اللغة كان الوسيلة الأكثر فعالية، والأداة

الأول والأكثر خطورة على الفكر والثقافة العربية والإسلامية لأنه أبْنُ الحركة الاستعمارية وثمرتها، وريبُ الاستشراق والحركات التبشيرية المقيتة، ترعرعَ في أكناف الحركة الصليبية، واشربَ برعاية وعناية الحركة الصهيونية.

"ان اصطلاح التغريب ليس من ابتكارنا في الشرق، ولكنه ظهر في المعجم السياسي الغربي باسم (Westernization)، وكانوا يعنون به نشر الحضارة الغربية في البلاد الآسيوية والأفريقية الواقعة تحت سيطرتهم عن طريق إزالة المقومات المضادة الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية التي تحفظ هذه البلاد كيائها وشخصيتها، أفكارها وقيمها، عاداتها وتقاليدها، والأهم في كل ذلك الدين واللغة، وفي زوال هذه المقومات ضمان لانهايار الأسُس، وتفكك القواعد الداعمة لكيان المجتمع واستمرار السيطرة الغربية الفكرية، والسياسية، والاقتصادية حتى بعد إعلان استقلال هذه البلاد وتحريرها من نير الاستعمار الغربي ظاهرياً"⁽¹⁾. وهذا ما حصل بالفعل خلال السيطرة الاستعمارية الغربية. واليوم تساعد التقنية الحديثة التي يمتلك الغرب زمام أمرها وقدرات تسييرها وتوجيهها، وانتشار التعليم الغربي الرقمي على نطاق واسع، وأنظمة الحكم الغربية دورًا حاسمًا في توجيه واستثمار عملية التغريب. فالتعليم الغربي، على سبيل المثال وليس الحصر؛ أدخل معارف وأساليب وطرائق تفكير

(1) محمد مصطفى هدارة، التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث،

مجلة (الادب الإسلامي)، د.ط، ج 1، ع 2، ص 8.

مكانة اللغة العربية، واتجاه الناس إلى النطق باللغات الأجنبية في عصره، يقول: "فإنني لم أقصد بتأليفه سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها؛ وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى أصبح اللحن في الكلام يعد لحنًا مردودًا، وصار النطق بالعربية من المعايير معدودًا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير العربية. فجمعته هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعتهم كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون"⁽³⁾ وصدق المثل العربي القائل "ما أشبه الليلة بالبارحة!"

إن مواكبة التقدم التقني والحضاري لا تعني بالضرورة تغريب الفكر واللسان العربي أو تغريب التعليم؛ فعلى العكس من ذلك تمامًا نقول: أن لغتنا العربية هي لغة حية تستطيع مواكبة العصر بمفرداتها المتطورة، وقادرة على تلبية الاحتياجات اللغوية للمجتمعات العربية بكل طبقاتها وفي مختلف جوانب الحياة، الفكرية والثقافية والسياسية، والأدبية والاجتماعية، والعلمية والفنية. واعتماد لغتنا على التعريب بصورته الصحيحة يعدّ واحدًا من أبرز الوسائل التي تعتمد عليها اللغة العربية في نقل المصطلحات والمفاهيم والمفردات الحديثة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وحفاظًا على التراث

الناجحة لتحقيق الهيمنة الشاملة في المجتمعات والبلدان العربية. ومن هذا المنطلق، تم وضع خطط وبرامج تغريب اللغة كبدائية لتغريب الأفكار والهوية، فانتشار ما يعرف بالمدارس العالمية - المدارس الإنجليزية ومن ثم المدارس الأمريكية وغيرها - في البلاد العربية والإسلامية، "كانت في البداية سبيلًا لتنصير المسلمين، وهذا كان هدفهم الأولي، وعلى هذا نصت بعض مؤتمرات التبشير، والغرض من إنشاء الكلية الانجيلية في بيروت، وإنشاء الجامعة الأمريكية في مصر، لكن بتطور المشهد لم يعد مطلوبًا إدخال المسلمين إلى المسيحية؛ بل يكفي إخراجهم من الإسلام، وازدراء لغتهم العربية، وتمجيد اللغة الأجنبية، وما يترتب على كل هذه الأمور من آثار سلبية خطيرة في اللاشعور"⁽¹⁾، والتي تدمر جزء لا يُستهان به ولا يتجزأ من الوجود الإنساني والثقافي في المنطقة العربية.

إن الإنسان الذي يتحدث لغة غيره دون ضرورة هو إنسانٌ مستعمر، إنسانٌ محتل، وليته محتلٌ في أرضه أو داره، بل هو محتل في عمق أعماق وعيه، وقُدس أقداس روحه، وإذا وجدت أمةً تتباهى بالحديث بلغة غيرها فاعلم أنها شاخت، وهانت على نفسها، وصارت على غيرها أهون. ويشير ابن منظور⁽²⁾ في مقدمة معجمه (لسان العرب) إلى شيوع الخطأ على الألسنة، وتراجع

(لسان العرب)، وهو الإمام اللغوي الحجة. الزركلي، كتاب الأعلام،

ج ٧، ص ١٠٨.

(3) عادل مصطفى، مغالطات لغوية، د. ط، ص 211.

(1) علي جريشه/ محمد الزبيق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ط 3، ص 66.

(2) ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ / ١٢٣٢ - ١٣١١ م): محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، صاحب معجم

بواسطة الحاسوب الآلي، فأثبتت اللغة العربية جدارتها كلغة عالمية، فبفضل توسطها اللغوي؛ يسهل تطويع النماذج البرمجية المصممة للغة العربية لتلبية مطالب اللغات الأخرى وعلى رأسها اللغة الإنجليزية⁽¹⁾.

يشهد عالمنا المعاصر اهتمامًا واسعًا وعناية ومتابعة كثيفةً وحرصًا كبيرًا على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، هذا الاهتمام وذاك الحرص أصبح بمثابة المرآة العاكسة للإنجازات التي حققتها اللغة العربية في سبيل إنجاز أتم لتواصل جماهيري على امتدادات واسعة لجمهور مولع شغوف متحمس لذلك. فأصبحت اللغة في ظل هذا التطور الهائل للتقنيات والاتصالات ذات سلطان عظيم وأهمية بالغة، فاللغة وعاء الثقافة، والثقافة قاعدة وأساس الحضارة، والحضارة خير مترجم معبر عن الهوية، هذا فضلًا عما لها من تأثير على تفكير الأفراد والجماعات وانعكاسه على شعورهم وسلوكهم أفرادًا وجماعات؛ أي أن اللغة هي التي تحدد للأفراد والجماعات طرائق رؤاهم للعالم وتجربتهم فيه، فهي بالتالي تعمل عملها في تحديد وجهات نظرهم ومواقفهم منه وأساليب وآليات تعاملهم معه.

لقد شاركت الشبكة العنكبوتية عبر مواقعها في دفع العلاقات الاجتماعية من الواقع المعاش إلى الواقع الافتراضي، "والشبكات الاجتماعية مصطلح أُطلق في عام ١٩٥٤م من قبل (جون بارنز)⁽²⁾ للدلالة على

العربي والهوية العربية تُدون تلك الكلمات المعربة في القواميس الحديثة؛ حتى تتمكن الأجيال القادمة من فهم معانيها واستخدامها بشكل الصحيح الذي من أجله تم تعريبها وإدخالها إلى اللغة العربية.

الفصل الثالث: تحليل الاستخدام اللغوي للعربية في وسائل التواصل الاجتماعي وأثره على الهوية العربية
إن ما نعيشه اليوم من قطافٍ لثمار الثورة المعلوماتية من سرعة التطور وتوالي التقدم في كل مناحي الحياة ومجالاتها؛ هذا التطور التقني الهائل الذي له علاقة مباشرة أو غير مباشرة باللغات. فطبيعة عصر المعلومات تفرض على لغتنا العربية التي يتحدث بها قرابة المليارين على امتداد المعمور من البسيطة، تفرض عليها تحديات جسيمة لثباتها وجدارتها الفعلية وقدرتها باعتبارها الوعاء الحاضن لكل التفاعلات الحضارية، هذا فضلًا عن متابعتها ومواكبتها لكل مستجدات العصر.

وتُعد اللغة العربية اليوم واحدة من اللغات العالمية الحية؛ ذلك بفضل امتلاكها للعديد من الخصائص والسمات التي تؤهلها لتكون لغة حوار فعالة، ولتُلعب دورًا عالميًا متميزًا. "ومن منظور فقه اللغة، فاللغة العربية تجمع بين كثير من خصائص اللغات الأخرى، على مستوى جميع فروعها اللغوية: كتابية، وأصواتًا، وصرفًا، ونحوًا، ومعجمًا. وأما من منظور معالجة اللغات الإنسانية آليًا

(2) جون بارنز (١٩١٨-٢٠١٠): عالم أنثروبولوجيا اجتماعية، استرالي

بريطاني، وهو أول من استخدم مفهوم الشبكات الاجتماعية.

(1) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، د.ط، ص ٢٤٢.

منصات الشبكة وخارجها تلك اللغات الخليط والمهجين بين اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية الإقليمية والمحلية واللغة العربية العامية واللغات الأجنبية؛ كاللغة الإنجليزية والفرنسية والإسبانية بالإضافة إلى الرموز والأرقام.

ولما كانت شبكات التواصل الاجتماعي مفتوحة على مستويات متباينة في المستوى اللغوي العربي، فإن الشباب العربي اليوم لا سيما الذين يعيشون في كنف الحضارة الغربية -بلدانها- يستخدمون لغة ركيكة المفردات، والدلالات، والألفاظ من منظور أنها لغة عامية دارجة تُعبر عن واقع وحال، وهي في الحقيقة انعكاس للواقع العربي الذي يعاني ضعفاً وتفككاً، انعكس ذلك سلباً على الأداء اللغوي لأفراده والجماعات، وهذا ثابت واضح ومُلاحظ في الكثير من وسائل الإعلام العربية وشبكات التواصل الاجتماعي.

يُمثل التوجه اللغوي الحديث المتداول بين الشباب العربي والمنتشر على مواقع التواصل الاجتماعي تحدياً سافراً وخطيراً للسلامة اللغوية العربية الفصحى، حيث يُعرض بنيتها اللغوية لتشويهات ناتجة عن مفارقات متعددة، إذ يأخذ النسق اللساني الشبابي العربي شكلاً غامضاً وغير محدد، فلا تنطبق عليه قواعد لغوية أو نحوية أو صرفية أو حتى إملائية، فنلاحظ أنتشار شكلاً من المفردات التي لا تتوافق ولا ترتبط باللغة العربية إلا برسم

أنماط من العلاقات تشمل المفاهيم التي يستعملها الجمهور بشكل تقليدي⁽¹⁾. وتعتمد تلك المواقع على الشبكة الرقمية كوسيلة وأداة للاتصال، وسميت اجتماعية لأنها أتت من مفهوم بناء المجتمعات عبر علاقات وارتباطات؛ فمن خلالها يستطيع المستخدم التواصل والتفاعل مع أشخاص لديهم اهتمامات مشتركة ومشاركتهم نشاطاته وفعالياته. وتقوم الفكرة الرئيسة لعمل الشبكات الاجتماعية على جمع بيانات الأعضاء المشتركين في تلك المنصات ومن ثم نشر هذه البيانات بشكل علني، حتى يجتمع الأعضاء ذوي المصالح المشتركة على معالجة أبعادها وما له علاقة بها سعياً لتحقيق الجدوى والمنفعة والاستفادة منها. إن هذه العلاقات التي تجمع هؤلاء الأعضاء -المرسل والمتلقي - في تلك الشبكة الضخمة تقوم على أساسات متعددة وتستخدم وسائل متباينة تساعد على تحقيق الوضوح وبلوغ المعنى والملائمة ومن أبرزها اللغة، فمن خلال اللغة يتم التواصل بينهم وتبادل المعلومات.

تعد الشبكة الرقمية المشارك الأكبر في القفزة الهائلة لجميع حقول العلم والمعرفة والعلاقات الاجتماعية والتواصل، إذ شاركت في تبادل الثقافات المختلفة ونشر العديد من اللغات على اختلافها وتباينها، وساعدت على ظهور لغات جديدة تُستخدم على

(1) عثمان محمد الدليمي، مواقع التواصل الاجتماعي نظرة عن قرب،

الخاتمة:

أن التحليل اللغوي للغة العربية على مواقع التواصل الاجتماعي يُعاني من ضعف الأداء اللغوي ناهيك عن "شيوخ الأخطاء اللغوية والنحوية والاملائية واللجوء إلى العامية، وعدم سلامة النطق وازدواجية اللغة في وسائل الإعلام، وقد أصبحت هذه الازدواجية مشكلة حقيقة تواجه اللغة العربية في عصر وسائل التواصل الاجتماعي"⁽¹⁾. كما تبين لنا من خلال التحليل اللغوي العربي على تلك الوسائل، ان الفئة المستخدمة للمنصات الاجتماعية هي فئة الشباب، والغالبية العظمى من هذه الفئة هم من المنبهرين المخدوعين بما ران على قلوبهم وغش أبصارهم من حضارة الغرب واللغات الأجنبية، انعكس ذلك واضحًا جليًا على هوية الشباب العربي من خلال كتابتهم وما يستعملون فيها من مفردات ومصطلحات، سارعت وعجلت بتداخل لغات أخرى مع لغتهم العربية سواء في الكتابة

[illegible]

(1) فيصل عبد الحسين، لغة الضاد أسوأ حال بين وسائل الاعلام الاجتماعية، صحيفة العرب، العدد 9986.

الطريق تنير للمخطط والمبرمج الحريص على أن تمتلك بلاده وتمسك بقوة ودون تفريط بزمam العلم وتقنياته الحديثة. وتقع المسؤولية الأكبر في الحفاظ على اللغة العربية من الضياع والاندثار على المؤسسات الحكومية العربية؛ وذلك من خلال التركيز والتأكيد على استخدام اللغة العربية الفصحى في كل المؤسسات التعليمية والتربوية و بكافة مراحلها، هذا فضلاً عن باقي المؤسسات والدوائر الرسمية وغير الرسمية، كما ان من مسؤوليتها الإشراف والمراقبة الدؤوبة لبرامج الأطفال حفاظاً منها على صفاوة لغة الأجيال الناشئة ولغتهم المستقبلية، و تأسيس مجامع للغة العربية وحث ودعم القائم منها على نشر الوعي بضرورة الاهتمام والعناية باستخدام اللغة العربية الفصحى في شتى مناحي الحياة، وتقريب اللهجات العامية من اللغة الفصحى قدر الإمكان، وتعريب ما لم يُعرب من المصطلحات المستجدة في مختلف العلوم الحديثة لا سيما المنتشرة والمتداولة على وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك بالعودة الى ما تمتاز به اللغة العربية من خصائص مثل: الاشتقاق والمشارك اللفظي والتوليد. وبهذا تشارك هذه المؤسسات الحكومية العربية وتساعد بقطع الطريق على الثنائية اللغوية وبقاء لسان الضاد سليماً خالياً من التشوهات اللغوية.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أو الصوت، مما زاد لغتهم العربية ضعفاً وركة في المفاهيم والمعاني والدلالات.

وقد توصلت الباحثة من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

بينت الدراسة كيف تطورت لغة الشباب على وسائل التواصل الاجتماعي فأصبحت لغة مستقلة تعكس هويتهم وثقافتهم وتحمل تأثيرات من مختلف اللغات. وان مواقع التواصل الاجتماعي ليست وحدها السبب المباشر في تدني المستوى اللغوي للغة العربية، فغني عن البيان أن هناك نسبة لا يستهان بها من السكان العرب في البلدان العربية نستطيع القول والحكم على لغتهم العربية الفصحى وتقييم أدائها وقياسه بأنه ضعيف ضئيل مخفق. قد يكون واحداً من أهم الأسباب المؤدية الى هذا الضعف والسقم اللغوي هو عدم توفر مناهج تربوية تعليمية حديثة مواكبة للتطورات الهائلة التي تحدث اليوم وعدم قدرة هذه المناهج وفشلها في معالجة ضعف اللغة عند المتحدثين بها، هذا الضعف اللغوي الذي يقف حاجباً مانعاً وحاجزاً بين اللغة العربية الفصحى واندماجها بالعصر الرقمي الحالي.

وبناء على ما تملبه هذه الدراسة على الباحثة فإنها توصي بالآتي:

الحفاظ على اللغة العربية الفصحى وديمومة وحسن استخدامها، وليس من باب التعصب القومي ولا إثارة الشعور العاطفي وتخفيفه نحو الذات العربية والإسلامية، إنما استناداً الى حقائق موضوعية ثابتة، علمية ودقيقة، لا بد من وضع أصول وقواعد تكون بمثابة معالم في

المصادر والمراجع:

د.ت، الخصائص، ط4، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

9. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، تحقيق: فؤاد علي منصور، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

10. حمّاد، د. أحمد عبد الرحمن، 1983م، عوامل التطور اللغوي (دراسة في نمو وتطور الثورة اللغوية)، ط1، بيروت، دار الأندلس.

11. انيس، إبراهيم، 1966م، من أسرار العربية، ط3، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

12. غنيم، كرم السيد، 1990م، اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، د.ط، القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع.

13. علي اسعد وطفه، في مفهومي التعريب والتعريب، مجلة نصف سنوية تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة، العدد47.

14. عريشي، يحيى بن أحمد، 1425هـ، أثر التوجيه الشرعي في الدلالة اللغوية لبعض المناهي اللفظية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 128.

15. دايفيد جاسبر، مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة: وجيه قانصو، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون.

16. بشر، كمال، 1998م، دراسات في علم اللغة، د.ط، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر.

17. عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، 1996م،

1. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، تحقيق: فؤاد علي منصور، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

2. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، 2001م، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، د.ط، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

3. أحمد عمر، 2008م، كتاب معجم الصواب اللغوي، ط1، عالم الكتب، القاهرة.

4. جمعة، محمد لطفي، 2013م، تاريخ فلاسفة الإسلام، د.ط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

5. الزركلي، 2002م، كتاب الاعلام، ط 15، دار العلم للملايين.

6. مجموعة مؤلفين، 1986، الموسوعة الفلسفية العربية المجلد الأول (الاصطلاحات والمفاهيم)، رئيس التحرير: معن زيادة، ط1، د.م، مكتبة مؤمن قريش.

7. الكرمل، الأب أنستاس ماري، 1938م، نشوء اللغة العربية ونموها واكتماها، د.ط، القاهرة، المطبعة العصرية.

8. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي،

العصر الأموي (40-132هـ) من موسوعة سفير
للتاريخ الإسلامي، د.ط، القاهرة، شركة سفير للطباعة
والنشر.

18. النادري، محمد أسعد، 2009م، فقه اللغة
مناهله ومسائله، د.ط، صيدا-لبنان، شركة أبناء
شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع.

19. فاروق عمر فوزي، 2010م، تاريخ النظم
الإسلامية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع.

20. علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية
وتطبيقاته العملية، ط1، مكتبة ناشرون.

21. ابن منظور الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي،
1414هـ، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر.

22. الجوهرى، الصحاح، تحقيق: احمد عبد الغفور
عطار، د.ط، دار العلم للملايين.

دور العناصر اللغوية ومهاراتها في التنمية اللغوية لدى الناطقين بغيرها

د. عبد الرشيد أولاتنجي عبد السلام

أستاذ المناهج وطرق التدريس المشارك

جامعة برليس الإسلامية ماليزيا

salam@kuip.edu.my

الأستاذ الدكتور داود عبد القادر إيليغا

الأستاذ بكلية اللغات قسم اللغة العربية

— جامعة المدينة عالمية

daud.elega@mediu.edu.my

زبيدة بنت غزالي

طالبة دكتوراه — كلية اللغات قسم اللغة

العربية — جامعة المدينة العالمية

zubaidah.ghazali@yahoo.com.sg

الملخص

تكمن مشكلة هذا البحث في أنّ الناطقين بغير اللغة العربية يبذلون جهودهم وأوقاتهم كثيرة وطويلة في تعلم اللغة ليحصل أغراضهم المختلفة، وبعضهم لا يعرفون من أين يبدأون دراستهم وقراءتهم. وهذه الدراسة ترشد الناطقين بغيرها إلى طريقة تعلم اللغة العربية بكفاءة وميسرة. وقد هدف البحث إلى: دراسة العناصر اللغوية لدى الناطقين بغيرها، ودراسة المهارات اللغوية في التنمية اللغوية لدى الناطقين بغيرها، وبيان دور العناصر اللغوية ومهاراتها في التنمية اللغوية لدى الناطقين بغيرها، وتوصّل البحث في نهايته إلى أهداف من أهمّها: إن العناصر اللغوية ومهاراتها يتلاصقان بعضهما مع بعض ولا يتجزآن عن الآخر ولهما دور مهم وكبير في التنمية اللغوية. وأن الناطقين بغير العربية بحاجة إليهما لتطور اللغة وتنميتها. ومن لديه قدرة لغوية يعرف أنه لا بد أن يستوعب العناصر اللغوية ومهاراتها في استخدام اللغة، وكذلك يعرف أنه بحاجة إلى تنميتها.

الكلمات المفتاحية: العناصر اللغوية، المهارات اللغوية، الناطقين بغيرها.

ABSTRACT

This study addresses a common challenge faced by non-native speakers of Arabic: despite investing significant time and effort in learning the language to achieve various goals, many learners remain uncertain about how and where to begin their studies. The research aims to provide structured guidance for non-native speakers in acquiring Arabic with both efficiency and clarity. Specifically, the objectives of this study are to: Examine the linguistic elements relevant to non-native speakers, Analyse the role of linguistic skills in their language development, and Highlight the interconnectedness and impact of both linguistic elements and skills in facilitating language acquisition. The study concludes that linguistic elements and skills are inseparable and mutually reinforcing components of language development. Both are essential for the effective acquisition and advancement of Arabic among non-native speakers. A learner with linguistic aptitude recognizes the necessity of mastering these components for effective language use and acknowledges the importance of their continuous development.

Keywords: linguistic elements, linguistic skills, non-native speakers

مقدمة:

اللغة هي وسيلة التفاهم والتواصل بين البشر. واللغة العربية هي أداة التكامل والتفاهم لدين الإسلام. أراد الناطق بغير العربية أن يتكلم مثلما تكلم أهل اللغة فيحاول أن يتعلم ويبدل جهده وقدرته ليتعلم العربية جيداً، وأحياناً يحاولون بطريقة غير صحيحة ويبدلون جهداً ووقتاً طويلاً بدون استعمال طرق صحيحة في تعلمهم.

هذه الدراسة حاولت بحث طرق تعليم اللغة للناطقين بغيرها عن دور العناصر اللغوية ومهاراتها في تنمية لغوية لدى الناطقين بغيرها ولعل هذه الدراسة تنفع جميع الناطقين بغير العربية الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية.

مشكلة البحث

حاول الناطقون بغير اللغة العربية في تعلم اللغة لحصول على أغراضهم المختلفة. ويجعلهم يبدلون جهداً ووقتاً طويلاً ليحصل عليها بطريقة غير صحيحة وبعض آخرين لا يعرفون من أين يبدأون دراستهم وقراءتهم. وهذه الدراسة ترشد الناطقين بغيرها طريقة تعلم اللغة العربية بكفاءة وميسرة.

أسئلة البحث

تتلخص أسئلة البحث فيما يأتي:

١. ما العناصر اللغوية المطلوبة لدى الناطقين بغيرها؟
٢. ما اللغوية المطلوبة في التنمية اللغوية لدى الناطقين بغيرها؟
٣. ما دور العناصر اللغوية ومهاراتها في التنمية اللغوية

لدى الناطقين بغيرها؟

أهداف البحث

من الأهداف الأساسية التي يرمي إليها هذا البحث ما يأتي:

١. دراسة العناصر اللغوية المطلوبة لدى الناطقين بغيرها.
٢. دراسة المهارات اللغوية في التنمية اللغوية لدى الناطقين بغيرها.
٣. بيان دور العناصر اللغوية ومهاراتها في التنمية اللغوية لدى الناطقين بغيرها.

منهج البحث

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على المنهج الوصفي لمعرفة ووصف المشاكل المتعلقة بالعناصر والمهارات اللغوية في تنمية لغوية لدى الناطقين بغيرها.

حدود البحث:

العناصر اللغوية ومهاراتها في تنمية لغوية لدى الناطقين بغيرها.

مصطلحات البحث:

١. العناصر اللغوية: هي المادة الحقيقية التي تُعين المتعلم على تعلم مهارات اللغة، ومن يسيطر عليها يتمكن من السيطرة على مهارات اللغة بمستوياتها المتعددة. وتكون من: الأصوات، والمفردات، والتراكيب⁽¹⁾.
٢. الأصوات: جمع لصوت وهي وسيلة من وسائل التواصل عند الكائنات الحية على اختلافها. وهو

(1). انظر: عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، إضاءات لمعلمي اللغة

العربية لغير الناطقين بها، د. ط، ص 168.

وجدت أنّ بعض الدراسات ذات صلة مباشرة بموضوع البحث، وبعضها ذات صلة غير مباشرة. وكذلك وجدت أنّ هناك أوجه التشابه بين الدراسات السابقة ودراسة الباحثة وهي كما يلي:

دراسة عمران أحمد علي مصلح⁽⁵⁾

العنوان: استراتيجيات تنمية المهارات اللغوية لدى المتعلم: دراسة وصفية هدفت الدراسة إلى التعرف على الاستراتيجيات التي يمكن استخدامها في تنمية مهارة الاستماع والكلام والقراءة والكتابة لدى المتعلم، وسعت إلى دراسة الطرق والاستراتيجيات التي يمكن من خلالها تنمية المهارات اللغوية الأربع: الاستماع والكلام والقراءة والكتابة لدى المتعلم، واستقراء أثر التدريب عليها في تنمية تلك المهارات وتطويرها. واستخدمت المنهج الوصفي الاستقرائي في الوصول إلى أهم الطرق والاستراتيجيات التي يمكن استخدامها في تنمية المهارات اللغوية الأربعة، ومن ثم استقراء نتائج بعض الدراسات السابقة في التوصل إلى أثر التدريب على المهارات اللغوية لدى المتعلمين. وأظهرت النتائج وجود طرق واستراتيجيات مختلفة لتنمية المهارات اللغوية الأربعة تم استعراضها وفقاً لكل مهارة، كما تبين بأن للتدريب أثراً فعالاً في تنمية تلك المهارات

ظاهرة فيزيائية وسمعية ينتج عن اضطراب مادي في الهواء تتولد منه تغيرات تتمثل في ضعف أو قوة الضغط المحرك من جسم معين (المصدر) وتنتقل إلى الأذن في موجات متلاحقة⁽¹⁾.

٣. المفردات: جمع لمفردة. وهي صوت أو مجموعة أصوات متصلة من خصائصها الدلالة على معنى. وقد اصطلح فقهاء اللغة قديماً على أن الكلمة قابلة للتقسيم إلى وحدات غير دالة على معان في حد ذاتها كالحروف ومقاطع الكلمات، أما الوحدة الدالة في علم اللغة الحديث فهي ما يسمى بالوحدة اللغوية morpheme أي: الوحدة ذات المعنى الدلالي أو النحوي⁽²⁾.

٤. التركيب: مجموعة منسقة من الوحدات اللغوية تؤدي معنى في الكلام كالجملة الاسمية أو الفعلية أو الجزء من الجملة الذي يؤدي دلالة ما⁽³⁾.

٥. المهارات اللغوية: هي مجموعة الأداءات الصحيحة المتصلة باللغة والتي نمت تدريجياً بالتعلم؛ فمارسها الفرد بحذقة وسهولة. وهي تتكوّن من الاستماع والتحدّث والقراءة والكتابة⁽⁴⁾.

الدراسات السابقة

من خلال استطلاع الباحثة على الدراسات السابقة

(4). انظر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المهارات اللغوية

للسنة الثالثة الثانوية، د.ط، ص 6.

(5). انظر: عمران أحمد علي مصلح، استراتيجيات تنمية المهارات

اللغوية لدى المتعلم: دراسة وصفية، قسم المناهج وطرق التدريس،

(ماليزيا: جامعة المدينة العالمية، 2016 م).

(1). ملوك عبد الزهرة عيدان، الأصوات العربية، د.ط، ص 165.

(2). مجدي، هبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة

والأدب، ط2، ص309.

(3). مجدي، هبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة

والأدب، ط2، ص96.

تستهدف إلى الوقوف على أهم الصعوبات اللغوية عند الدارسين الناطقين لغيرها، بينما تختلف معها من حيث إن هذه الدراسة تدرس المهارات اللغوية فقط ولا تدرس العناصر اللغوية.

دراسة ذو الهادي (2)

العنوان: تعليم عناصر اللغة العربية لطلاب الجامعة بإندونيسيا (دراسة تحليلية علاجية)

يقدم الباحث في هذه المقالة القصيرة بعض الطريقة لعلاج مشاكل الطلاب في تعلم عناصر اللغة العربية؛ من أصواتها، ومفرداتها، وتركيبها. ويحتوي هذا البحث على النظام الصوتي في اللغة العربية. ويعرض الباحث بعض الأخطاء الشائعة ومشكلة الطلاب عند تلفظهم ونطقهم في المفردات العربية خصوصا في نطق أسماء الأنبياء والمرسلين، ويقدم الحلول والعلاج من تلك المشكلة. ويقدم الباحث طرقا لحل مشكلة الطلاب في تعلم عناصر اللغة العربية ببعض التدريبات والاجراءات. إن من أبرز مشكلات التي تعاني بها الطلاب بالجامعة الإسلامية الحكومية سومطرة الشمالية في تعلم اللغة العربية هي مشكلة في النظام الصوتي وفي تركيب المفردات. يفضل الباحث في أساليب تعلم عناصر اللغة العربية لدى طلاب الجامعي خصوصا الطلاب في الجامعة الإسلامية الحكومية سومطرة الشمالية مقارنة ذلك كلها من الأصوات والمفردات والتراكيب بالقرآن الكريم. هذه الأساليب تساعد

لدى المتعلم تبعاً لما أظهرته نتائج بعض الدراسات السابقة في كل مهارة

ووجه الاتفاق بين هذه الدراسة ودراسة الباحثة في دراسة المهارات اللغوية الأربع في تنمية لغوية لدى المتعلم، بينما تختلف معها في أن هذه الدراسة تركز على استراتيجيات تنمية المهارات اللغوية ولا تركز على العناصر اللغوية.

دراسة مريم مت داود ونورمه حسين ونور أزهان نور العزم (1)

العنوان: تعليم المهارات اللغوية لأغراض اتصالية

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أهم الصعوبات اللغوية عند الدارسين في برامج تعليم العربية لغير الناطقين، والبحث يشتمل على بعض الدراسات المتعلقة بمجال المهارات اللغوية الأربع، وهي القراءة والكتابة والاستماع والكلام، وتستهدف الحديث عن المهارات اللغوية التي ينبغي أن يكتسبها الدارس في ضوء الدراسة الميدانية استنادا إلى اجتهادات ذاتية، وآراء شخصية، وكذلك مناقشة الجوانب الخاصة للمدخل الاتصالي وطرح القضايا المتصلة بإعداد المواد التعليمية في ضوءها، بالإضافة إلى أنها تستهدف عرض مهارات الأداء الصوتي التي يجب أن يتقنها الدارس في برامج تعليم العربية لغير الناطقين بها.

وتتفق الدراسة الحالية مع دراسة الباحثة في أن الدراسة

(2). انظر: ذو الهادي، تعليم عناصر اللغة العربية لطلاب الجامعة بإندونيسيا (دراسة تحليلية علاجية).

(1). انظر: مريم مت داود ونورمه حسين ونور أزهان نور العزم، تعليم المهارات اللغوية لأغراض اتصالية، (2021 م)

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يمكن من خلاله الاستنتاج والاستنباط، ومن النتائج الدراسة أن مهارة الاستماع من أهم الفنون اللغوية، وكما أن مهارة التحدث هي مهارة إنتاجية تظهر قدرة المتعلم على توظيف اللغة بشكل عملي كما تعد الرغبة في التحدث باللغة هو الدافع الأكبر لتعلم اللغة وإتقانها. وتتفق الدراسة الحالية مع دراسة الباحثة في أن هذه الدراسة تتقن المهارات اللغوية في تنمية لغوية لدى الناطقين بغيرها، بينما تختلف معها أن الدراسة لا علاقة بالعناصر اللغوية في تنمية لغوية.

المطلب الأول: العناصر اللغوية

العناصر اللغوية هي المادة الحقيقية التي تُعين المتعلم على تعلم مهارات اللغة، ومن يسيطر عليها يتمكن من السيطرة على مهارات اللغة بمستوياتها المتعددة. وتتكون من: الأصوات، والمفردات، والتراكيب. (2) فالمهارات اللغوية تتكون من مهارة الاستماع، ومهارة المحادثة أو الكلام، ومهارة القراءة، ومهارة الكتابة. وأما العناصر اللغوية فتتكون من الأصوات، والمفردات، والتراكيب، والكتابة. (3) يقول بشر: "قمة الدراسات اللغوية، وهو تجسيد لقواعد اللغة في عمومها، من قواعد صوتية، وصرفية، ونحوية". (4)

الطلاب في تعلم الأصوات العربية ومفرداتها وتراكيبها بشرط أن يستطيع الطلاب تلاوة القرآن تلاوة صحيحة.

وتتفق الدراسة الحالية مع دراسة الباحثة في أن هذه الدراسة بحثت عن بعض الطريقة لعلاج مشاكل الطلاب في تعلم عناصر اللغة العربية. وبينما تختلف معها في أن الدراسة تختص بتعليم عناصر اللغة العربية لطلاب الجامعة بإندونيسيا.

دراسة أميمة حمدني محمد حبيبة، أمل محمود إبراهيم⁽¹⁾

العنوان: إتقان المهارات اللغوية الأربع وتنميتها لدى الناطقين بغير العربية

تكمن مشكلة الدراسة في وجود قصور في فهم المهارات اللغوية الأربع وكيفية تنميتها لدى الناطقين بغير العربية، وتهدف الدراسة إلى توضيح المهارات العربية، وبيان أهميتها، وطريقة تنميتها لدى الناطقين بغيرها، وتمثل أهمية الدراسة من الناحية النظرية في تقديم إطاراً نظرياً للمهارات اللغوية اللازمة لتعليم العربية، وتمثل أهمية الدراسة من الناحية التطبيقية في مساعدة مراكز تعليم اللغة العربية والجهات المتخصصة في هذا المجال على تنمية وتطوير أدائها من خلال توضيح المهارات وكيفية تنميتها؛ لتعلم اللغة العربية،

(3). انظر: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية،

100 سؤال عن اللغة العربية، ط1، ص 83-84.

(4). محمد العارف، عبد الرحمن بن حسن، اتجاهات الدراسات اللغوية

المعاصرة في مصر 1932-1985 م، رسالة مقدمة لنيل درجة

الدكتوراه في اللغة، ص 161.

(1). انظر: أميمة حمدني، أمل محمود إبراهيم، إتقان المهارات اللغوية

الأربع وتنميتها لدى الناطقين بغير العربية، المجلة العلمية للغة

وثقافة، يونيو 2021م، المجلد 6، العدد 1.

(2). انظر: عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، د.ط، ص 168.

أقسام العناصر اللغوية

تتكون العناصر اللغوية من ثلاثة أقسام:

أولاً: الأصوات

الصوت هو وسيلة من وسائل التواصل عند الكائنات الحية على اختلافها. وهو ظاهرة فيزيائية وسمعية ينتج عن اضطراب مادي في الهواء تتولد منه تغييرات تتمثل في ضعف أو قوة الضغط المحرك من جسم معين (المصدر) وتنتقل إلى الأذن في تموجات متلاحقة.⁽¹⁾ يتكون الصوت اللغوي من عدة حروف والتي تصدر عن أعضاء النطق الإنساني ومنها يعرف بالمخرج الصوتي.

أ. الحروف العربية وحركاتها

إن الحروف والحركات متلاصقان في النطق إذ بدون الحركات لا يكون صوتاً واضحاً. والحركات العربية الأصلية حالتان: الطول والقصر. والقصر هو الفتحة، والكسرة، والضمّة. وأما الطول فهو الألف، والواو، والياء.⁽²⁾

ب. الجهاز الصوتي ومخارجه وصفاته

وتتكون أعضاء الجهاز الصوتي⁽³⁾ من الشفتين، والأسنان، واللثة، والحنك الصلب، والحنك اللين،

واللهة، وطرف اللسان، ومقدم اللسان، ومؤخر اللسان، والبلعوم، ولسان المزمار، وموقع الأوتار الصوتية، وطرف اللسان.

المخارج: هي المواضع التي يتكون فيها الصوت. وقد تشترك بعض الأصوات في مخرج واحد وتفرق بينها الصفة، واختلفت بعض الأصوات في المخرج واتحدت في الصفة.⁽⁴⁾ فهي تلتقي فيها عضوان من أعضاء النطق أحدهما ثابت والآخر متحرك في أقصى نقطة.⁽⁵⁾

وأما الصفة فمجموعتها هي: الجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، وبين الشدة والرخاوة، والإطباق، والانفتاح، والاستعلاء، والتفخيم، والترقيق، والقلقلة، والصفير، واللين، والغنة، والخفاء، والضعف، والقوة، والطلاقة، والنغث، والنفخ، والهتة، والانحراف، والتأفيف، والتفشي، والتكرير، والاستطالة، والجانبية، والجرس، والحافية، والرجوع.⁽⁶⁾

ج. فروع علم الأصوات

ينقسم علم الأصوات إلى الفوناتييك والفلولوجيا. الفوناتييك والفلولوجيا كلاهما يبحث في أصوات اللغة⁽⁷⁾

(5). انظر: محمد العارف، عند الرحمن بن حسن، اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر 1932-1985 م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة، 1414 هـ - 1994 م، ص 70.

(6). انظر: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ط1، ص 89-186.

(7). انظر: محمد العارف، عند الرحمن بن حسن، اتجاهات الدراسات

(1). ملوك عبد الزهرة عيدان، الأصوات العربية، د.ط، ص 165.

(2). انظر: سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية - فلولوجيا العربية، ط1، ص 38.

(3). انظر: صلاح حسنين، المدخل في علم الأصوات المقارن، د.ط، ص 23-24.

(4). انظر: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ط1، ص 50.

الهواء بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في جهاز النطق المصاحبة لحركات أعضاء هذا الجهاز.

وعلم الأصوات السمعي: وهو ذو جانين: الجانب العضوي أو فسيولوجي فوظيفته دراسة الذبذبات الصوتية، والجانب النفسي أو العقلي والذي يهتم بدراسة كيفية انتقال الأصوات من الأذن الداخلية إلى عقل الإنسان وإدراك دلالتها المعنوية. (5)

د. الوحدة الصوتية

هناك علاقات بالوحدات الصوتية في دراسة الأصوات كالمقطع والنبر والتنغيم وتعدّ من الوظائف المهمة في تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية وتحديد قواعدها من النحوي والصرفي والبلاغي وما إلى ذلك. وتبين هذه العلاقة فيما يلي:

المقطع: يتكون الصوت من حروف وحركات وله مقاطع يحدد الكلمة في نطق الحروف (6)

والمقطع في اللغة العربية ستة أنماط وهي: س ح، س ح س، س ح ح، س ح ح س، س ح ح س، س ح ح س س.

فمرمز لجميع السواكن بالحرف (س) وللحركات القصيرة بالحرف (ح) وللحركات الطويلة بالحرفين (ح ح).

وينقسم علم الصوت اللغوي من حيث الهدف والمنظار إلى علم الأصوات العام وعلم وظائف الأصوات.

فعلم الأصوات العام: هو الذي يدرس الصوت اللغوي من حيث النطق وكيفية انتقال الصوت وإدراكه (1) وهو يدرس ويحلل ويصنف الأصوات الكلامية بالإشارة إلى كيفية الإنتاج والانتقال والاستقبال. (2)

وعلم وظائف الأصوات: لا علاقة له بدراسة طبيعة الصوت ومخرجه وصفته وإنما يدرس وظيفة الصوت في داخل السلسلة الكلامية، وكيفية تفاعل بعضها ببعض، وتأثير بعضها ببعض. (3)

وعلم الأصوات عند اللغويين المعاصرين يتفرع إلى ثلاثة فروع وهي: (4) علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي، وعلم الأصوات الفيزيائي أو الأوكستكي أو الفيزيقي، وعلم الأصوات السمعي.

فعلم الأصوات النطقي: هو الذي يدرس ويهتم بدراسة حركات أعضاء النطق، وتحديد مخارج الأصوات وبيان صفاتها.

وعلم الأصوات الفيزيائي: هو العلم الذي يدرس التركيب الطبيعي للأصوات بين فم المتكلم وأذن السامع، ويحلل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في

(4). انظر: محمد العارف، عند الرحمن بن حسن، اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر 1932-1985م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة، ص 62، 60.

(5). انظر: غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، ط 1، ص 20-23.

(6). انظر: المرجع السابق، ص 193.

اللغوية المعاصرة في مصر 1932-1985م، رسالة مقدمة

لنيل درجة الدكتوراه في اللغة، ص 62، 60. (1). انظر: ملوك عبد الزهرة عيدان، الأصوات العربية، د.ط، ص 165 - 166.

(2). انظر: أحمد مختار عمر، أسس علم اللغة، ط 8، ص 46.

(3). انظر: ملوك عبد الزهرة عيدان، الأصوات العربية، د.ط، ص 165 - 166.

الثاني: الفعل

تعريف الفعل: هو الكلمة التي تدل على معنى وعلى زمن مقترن به مثل: "كتب ويكتب، اكتب".⁽⁶⁾

الثالث: الحرف

الحرف هو ما يدل على معنى غير مستقل بالفهم، أو هو كلمة تدل على معنى في غيرها، مثل: "هل" و "لم" و "في"، و "أن"، فتقول: "هل تسمح لي أن أكل".⁽⁷⁾

ثالثاً: التركيب

التركيب: مجموعة منسقة من الوحدات اللغوية لتؤدي معنى في الكلام كالجملية الاسمية أو الفعلية أو الجزء من الجملة الذي يؤدي دلالة ما.⁽⁸⁾

أ. أنواع التركيب

أولاً: جملة

للغة العربية جملتان أساسيتان هما: الاسمية، والفعلية. الجملة الاسمية: هي التي تبتدئ عادة باسم مرفوع مبتدأ، وقد تبدأ بمصدر صريح، وقد يكون المصدر مؤؤلاً.⁽⁹⁾

الجملة الفعلية: هي التي تبتدئ بفعل ماض أو مضارع أو أمر مثل: "كتب محمد، ويكتب، واكتب" ويلي

ويعتبر الحرفان (ح ح) صوتاً واحداً دائماً.⁽¹⁾

النبر: وضوح نسبي لصوت أو مقطع ما يغلب بقية أصوات أو مقاطع الكلمة.⁽²⁾ ويساعد النبر على تحديد الوحدات النحوية في سلسلة الأصوات المنطوقة.⁽³⁾

التنغيم: التنغيم في اصطلاح اللغويين المعاصرين هو: "ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام".⁽⁴⁾

ثانياً: المفردات

المفردات هي: الثمرات اللغوية التي تعتمد على الاتصال والاستماع؛ فمن الاتصال أنها تساعد على الكلام والقراءة والكتابة، وأما الاستماع فيساعد على فهم الكلام المسموع.

أ. أنواع المفردات

تقسم المفردات إلى ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف. ولكل قسم توضح الباحثة فيه ما يلي:

الأول: الاسم

الاسم هو: ما دل على معنى في ذاته غير مقترن بالزمن الماضي أو المضارع أو الأمر، مثل: "بيت"، "شجرة"، "كلب"، "ولد"، "صدق"، "وفاء"، "سليم"...⁽⁵⁾

(1). انظر: سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية -

فونولوجيا العربية، ط1، ص 133.

(2). وليد حسين، الظواهر الصوتية فوق التركيبية في العربية، د.ط، ص 659.

(3). صلاح حسنين، المدخل في علم الأصوات المقارن، د.ط، ص 93.

(4). انظر: محمد العارف، عبد الرحمن بن حسن، اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر 1932-1985 م، رسالة مقدمة لنيل

درجة الدكتوراه في اللغة، ص 113-115.

(5). عرميزة فزال بالبي، المعجم المفصل في النحو العربي، ط1، ص 91.

(6). نفس المرجع، ص 762.

(7). نفس المرجع، ص 453.

(8). مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، ص 96.

(9). محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر والنحو، د.ط، ص 23.

اكتساب لغته الأم، ويمر بها متعلم اللغة الأجنبية. (5)

أهمية الاستماع:

تُعد مهارة الاستماع مهمة جدا في تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية وذلك من جوانب عدة نذكر منها: الجانب الأول: انتقال الحضارات والثقافات من القدماء عبر الأجيال عن طريق الرواة والقصاصين.

الجانب الثاني: الحصول على المعلومات التي تصقله بالخبرة والثقافة والعلوم في شتى الأفرع عن طريق الوسائل الحديثة من راديو، وتلفاز، وتلقي المحاضرات والمؤتمرات والندوات، وقاعات البحث.

الجانب الثالث: الحصول على نتائج إيجابية في الدراسة وتنمية مهاراته الاستماعية.

الجانب الرابع: أن الاستماع أساس فنون اللغة في التعليم والتعلم.

الجانب الخامس: أنه سبيل إلى الحفظ. فكان صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسمعون من الرسول الله صلى الله عليه وسلم فيُحفظ القرآن والحديث عن طريق الاستماع والإنصات للنبي - صلى الله عليه وسلم - قبل كتابته. (6)

الجانب السادس: أنه وسيلة للاتصال.

الفعل دائما فاعل مرفوع، وإذا حذف الفاعل قام مقامه نائب فاعل، وقد يلي الاسم المرفوع اسم منصوب، وقد تلى الفاعل جملة تصفه. (1)

صور التركيب قد تتعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما. (2)

المطلب الثاني: المهارات اللغوية

أولا: مهارة الاستماع

مهارة الاستماع هي أهم المهارات اللغوية حيث تساعد على إدراك الذهن في أذن السامع وتتميز بهذا الإدراك بحديث السامع. وبإتقان هذه المهارات يساعد المتعلم في تعلمه اللغة العربية بوصفها لغة ثانية.

مهارة الاستماع هي المهارة التي تتطلب قيام المستمع بإعطاء المتحدث أعلى درجات الاهتمام والتركيز لفهم الرسالة المتضمنة في حديثه مع التحليل والتفسير والتقييم وإبداء الرأي فيه. (3) وعلى المستمع أن يتابع المتكلم متابعة سريعة تحقيقا للفهم والتحليل والتفسير والنقد وهذه العمليات معقدة لا تتيسر إلا لمن أوتي حظا وافرا من التعليم والتدريب على مهارة الاستماع (4) ومن المعلوم أن من لا يسمع لا يتكلم. فمهارة الاستماع هي أولى المهارات التي يمر بها الطفل في

(4). عبد المنعم أحمد بدران، مهارات ما وراء المعرفة وعلاقتها بالكفاءة اللغوية، ط1، ص 80.

(5). انظر: عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، د.ط، ص 204.

(6). أحمد فخري هاني، تعلم فن الاستماع، د.ط، ص 180.

(1). نفس المرجع، ص 61.

(2). خان محمد، الأدوات النحوية - بنيتها ووظيفتها -، د.ط، ص 5.

(3). انظر: عبد الرحمن بن سعد الصرامي، تقييم مواقع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على الشبكة العالمية في ضوء المهارات اللغوية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم اللغة التطبيقي، ص 71.

لمن لديه قدر كافٍ من الثقافة والوعي والتخصص. (4)

ثانياً: مهارة الكلام

الكلام هو النظر الشخصي الظاهر للإنسان، إذا تكلم الإنسان بكلام جيد وهذا بداية من أبواب شخصيته الجيدة. فمهارة الكلام من المهارات التي يحتاج المتعلم أن يتعلمها لحسن كلامه مع الآخرين.

قال إدوارد ساير "الكلام هو وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان، وغير غريزية فيه، تمكنه من تبادل الأفكار والوجدانات والرغائب، بوساطة رموز صوتية اصطلاحية، على وجه التغليب والتعميم، تصدرها أعضاء النطق إرادياً، باندفاع الهواء خلالها من الداخل إلى الخارج". (5)

أنواع الكلام

ينقسم الكلام عامة إلى نوعين:

النوع الأول: الكلام الوظيفي هو الذي يكون فيه الغرض منه: التعبير واتصال للناس بعضهم ببعض ولتنظيم حياتهم وقضاء حوائجهم.

النوع الثاني: الكلام الإبداعي وهو ما كان غرضه التعبير عن الأفكار والخواطر النفسية مع نقلها إلى الآخرين بطريقة إبداعية مشوقة ومثيرة. (6)

والاتصال الشفوي في حياة يومية يدور على صورتين:

الجانِب السابع: أنه وسيلة لاكتساب ونمو مهارات اللغة الأخرى. (1)

الجانِب الثامن: المساعدة في الإقناع بوجهات النظر.

الجانِب التاسع: التعرف على الناس بوضوح ودقة.

الجانِب العاشر: الإيحاء للمتحدث بذكاء. (2)

أنواع الاستماع

للاستماع نوعان: الاستماع لجلب المعلومات والاستماع الناقد.

النوع الأول: الاستماع لجلب المعلومات

وهي العناية بالتحدث في كل مستويات الحديث: السهلة والمتوسطة والمعقدة. ولا بد من التركيز العقلي المتبادل بين كل من المستمع والمتحدث وخصوصاً من المستمع على مضمون التحدث بغض النظر عن الطريقة؛ بمعنى أن يكون هنا مستويان: أحدهما استماع مركز، وآخر هامشي أو ثانوي. (3)

النوع الثاني: الاستماع الناقد

وهو الاستماع الذي لا يقف المرء من ورائه على الفهم، والتحليل، والتفسير بل يتعدى ذلك إلى مقارنة ما سمعه بما يراه ويعتقده من خلال الأسس والمبادئ الكامنة فيه، ثم يصدر الحكم له أو عليه، وقد يكون بعد المقارنة مناقشة. وهذا النوع من الاستماع لا يتأتى إلا

(5). انظر: حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة،

ط 2، ص 28، 31، 36، 40.

(6). انظر: عبد الرحمن بن سعد الصرامي، تقييم مواقع تعليم اللغة العربية لغير

الناطقين بها على الشبكة العالمية في ضوء المهارات اللغوية، رسالة مقدمة

لنيل درجة الماجستير في علم اللغة التطبيقي، ص 74.

(1). المهارات اللغوية للسنة الثالثة الثانوية، د.ط، ص 16.

(2). عادل صالح، مهارات الاتصال الفعال، د.ط، ص 23.

(3). عبد المنعم أحمد بدران، مهارات ما وراء المعرفة وعلاقتها بالكفاءة

اللغوية، ط 1، ص 82.

(4). دوني أحمد رمضان، مهارة الاستماع والكلام، د.ط، ص 6.

أنواع القراءة

وتنقسم القراءة الأساسية إلى نوعين، هما:
النوع الأول: القراءة الصامتة: هي إدراك القارئ من المعنى المقصود بنظر العينين إلى رموز مطبوعة. وهي من أسرع أنواع القراءة وأسرع وسيلة لسرعة الفهم.
النوع الثاني: القراءة الجهرية: هي انتقاء القارئ المعاني والألفاظ من الرموز المكتوبة إلى المستمع مستعينا بجهاز النطق. وهي أصعب من القراءة الصامتة، لأنها تستغرق وقتاً أطول مما تستغرق الصامتة. (5)

رابعاً: مهارة الكتابة

الكتابة: هي الرموز المكتوبة التي تحولت من الأفكار الذهنية لشخص ما. (6) وتتكون الكتابة من مهارتين: مهارة عقلية وجدانية أو شعورية ومهارة عقلية يدوية. (7) يقول عبد الحميد الكاتب: "القلم شجرة ثمرتها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة". (8)
وللكتابة أمران تتصلان فيما بينها:
أ. الأمر العقلي الوجداني الذي يتصل بتكوين الأفكار أو ابتكارها، والرغبة في التعبير عنها.
ب. والأمر العقلي الوجداني اليدوي الذي يضع

الصورة الأولى: الحديث إلى مستمعين.

والصورة الثانية: المناقشة بين طرفين أو أكثر. (1)

ثالثاً: مهارة القراءة

مهارة القراءة هي المهارة الثالثة بعد مهارة الاستماع والكلام. وهي المهارة التي يحتاج المتعلم أن يتقنها وذلك لغرض الحصول على الثقافة العلمية من خلال القراءة من الكتب والمجلات والصحف وغير ذلك.
مهارة القراءة هي مهارة التعرف على الرموز الكتابية والفهم والتفسير والنقد والتوظيف وما تدل عليه هذه الرموز. (2) وهي تعد ركناً أساسياً من أركان الاتصال اللغوي، واعتبارها الفن الثالث من الفنون اللغوية، وأنها وسيلة لمواكبة التطور.

وللقراءة جانبان: الجانب الآلي والجانب الإدراكي. فالجانب الآلي هو الذي يتعرف على أشكال الحروف وأصواتها والقدرة على تشكيل كلمات وجمل منها، والجانب الإدراكي الذهني هو الذي يؤدي إلى فهم المادة المقروءة. (3) إن مهارة القراءة في المرحلة الأساسية الأولى تتضمن ثلاث مهارات رئيسية: مهارة التعرف ومهارة النطق ومهارة الفهم. (4)

شهادة الماجستير في الأدب العربي، ص 55 - 56.

(4). انظر: المرجع السابق، ص 57.

(5). انظر: زنازل نور الهدى، تدريس مهارة القراءة في ضوء المقاربة بالكفاءة - السنة الثانية ابتدائي أمودجا -، مذكرة تخرج لنيل

شهادة الماجستير في الأدب العربي، ص 59 - 60.

(6). انظر: المرجع السابق.

(7). ملوك عبد الزهرة عيدان، الأصوات العربية، د.ط، ص 80.

(8). محمد بن إبراهيم الحمد، الارتقاء بالكتابة، د.ط، ص 7.

(1). انظر: أبو السعود سلامة أبو السعود، المنجد في التعبير، د.ط، ص 47.

(2). انظر: عبد الرحمن بن سعد الصرامي، تقييم مواقع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على الشبكة العالمية في ضوء المهارات اللغوية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم اللغة التطبيقي، ص 76.

(3). انظر: زنازل نور الهدى، تدريس مهارة القراءة في ضوء المقاربة بالكفاءة - السنة الثانية ابتدائي أمودجا -، مذكرة تخرج لنيل

ويمكن الإشارة إلى ما يترتب على القرارات والمناقشات والناتج. والحرص على الارتباط بالأدلة والحجج التي وردت في متن الموضوع.⁽⁵⁾

أنواع الكتابة:

تنقسم الكتابة إلى نوعين مختلفين:
النوع الأول: الكتابة الاتصالية أو الوظيفية.
الكتابة التواصلية أو الوظيفية هي الكتابة التي تقوم على لغة التواصل المباشرة لنقل الأفكار على نحو مباشر بين المرسل والمتلقي، شريطة وجود لغة معيارية مشتركة بينهما، صوتا ونحوا ودلالة.
وتهدف الكتابة إلى نقل الأفكار في وضوح وشفافية، وتهدف إلى تحقيق وظيفة اتصالية أو تواصلية في القارئ لغايات محددة، وغايتها توصيل الأفكار والمعلومات والمضامين إلى القارئ بلغة محايدة.

النوع الثاني: الكتابة الإبداعية

الكتابة الإبداعية هي الكتابة التي تقوم على لغة الأدب وتتجلى في أنواع أو أشكال بنائية مختلفة كالشعر والمقالة الأدبية، والقصة القصيرة، والرواية والمسرحية والملحمة... إلخ. وهي تتشكل عن وعي وقصد في صياغتها، أو بالأحرى في توظيفها للغة نفسها توظيفا جماليا.⁽⁶⁾

الأفكار على الصفحة البيضاء يتسم بالسلامة والصحة، من التهجي، والتنظيم، والجمال.⁽¹⁾

مراحل الكتابة

للكتابة ثلاثة مراحل:

أ. مرحلة التدريب على رسم الحروف.

ب. مرحلة التعبير المقيد.

ج. مرحلة التعبير الحر.⁽²⁾

عناصر الكتابة

تتألف الكتابة التقريرية أو المقالة أو البحثية في الغالب من ثلاثة عناصر أساسية وهي: المقدمة ومتن الموضوع والخاتمة.

أ. المقدمة: وتتكون من خلفية عن الموضوع، وفكرته الرئيسة، والنقاط الأساسية لعرضها، والمنهج في معالجة الموضوع. وإذا كان الموضوع قد صيغ في سؤال ففكرته الأساسية هي الإجابة عن السؤال.⁽³⁾

ب. متن الموضوع: وهو يتكون من عرض النقاط الأساسية، وتقديم الأدلة والبراهين لتدعيمه. ويجب أن يكون في فقرات، ولكل فقرة فكرة رئيسية مستقلة عن غيرها، وأن تكون الفقرات مترابطة منطقية وواضحة وتسلسلية بدون تفاصيل مملة أو قلية غير متبعة.⁽⁴⁾

ج. الخاتمة: هي تلخيص مفيد عن إجمال الموضوع، أو إعادة صياغة مكثفة وواضحة للمتن،

(4). المرجع السابق، ص 67.

(5). المرجع السابق، ص 68.

(6). محمد رجب النجار، الكتابة العربية مهاراتها وفنونها، د.ط، ص

20 - 21.

(1). ملوك عبد الزهرة عيدان، الأصوات العربية، د.ط، ص 80.

(2). انظر: د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، إضاءات لمعلمي اللغة

العربية لغير الناطقين بها، د.ط، ص 238 - 239.

(3). عادل صالح، مهارات الاتصال الفعال، د.ط، ص 66.

المطلب الثالث: دور العناصر اللغوية ومهاراتها في

التنمية اللغوية لدى الناطقين بغيرها

إذا أراد الناطق غير العربية في التنمية اللغوية فعليه أن يراعي الأمور التالية:

أولاً: العناصر اللغوية

أ. الأصوات

١. أن يدرس "كيفية إنتاج تلك الأصوات. ويعرف خصائص كل صوت. (1)
٢. التركيز على تدريبات الأصوات الثلاثة (تعرف، تمييز، تجريد).
٣. دون ربط الأصوات بالمرسوم قراءة وكتابة.
٤. أن ينطق بعد التعرف على الصوت وتمييزه عند سماعه. (2)

ب. المفردات

١. أن يتعلم أنواع المفردات من أبواب الأسماء والأفعال.
٢. أن يتعلم مواصفات الاسم.
٣. أن يتعلم مواصفات الأفعال المتصرفة.
٤. أن يتعلم مواصفات الحروف.
٥. أن يتعلم معاني الحروف.

ج. التراكيب

١. أن يتعلم تركيباً أو تركيبين في التدريب الواحد.

٢. أن يتعلم نواة التركيب الأولية والأساسية ثم تفرعاته.

٣. أن يهتم بالجانب الوظيفي.

٤. أن يقدم التراكيب الأكثر شيوعاً على غيره مثلاً المذكور قبل المؤنث. (3)

٥. أن تكون التراكيب شائعة.

٦. أن يكون التركيب عدداً محدوداً.

٧. أن يستعمل المفردات القديمة وأن يكون التركيب جديداً.

٨. احتفاظ التركيب فيه جذع الكلمة دون تغيير. (4)

ثانياً: المهارات اللغوية

أ. مهارة الاستماع

- أ. التعرف على أغراض المتكلم حينما يسمعه ومعرفة الأفكار الرئيسية من المتكلم ومتابعة التفاصيل.
- ب. الخيال من واقع المتكلم والتمييز بين العناصر الأساسية في الموضوع مع التذوق والابتكار من مادة الاستماع.
- ج. تحليل مادة الاستماع واستخلاص النتائج مع تلخيص ما استمع إليه. (5)

ب. مهارة الكلام

- أ. اختيار نغمة الصوت المناسب لموضوع الحديث

(1). انظر: غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، ط1، ص 43-44.

(2). انظر: عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، د.ط، ص 175-176.

(3). انظر: عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، إضاءات لمعلمي اللغة

العربية لغير الناطقين بها، د.ط، ص 200.

(4). انظر: المرجع السابق، ص 194 - 197.

(5). دوني أحمد رمضان، مهارة الاستماع والكلام، د.ط، ص 10 - 11.

هـ. استراتيجية تخمين المعنى: من شكل الكلمة وسياقها على مستوى الجملة وموضوع النص، إضافة إلى استخدام المعاجم العربية - العربية والعربية مع لغة يعرفها الطالب.⁽³⁾

د. مهارة الكتابة

أ. حفظ القرآن الكريم والإكثار في تلاوته وتديره، والإكثار من مطالعة كتب الحديث ودواوين العرب من الشعر وحفظ ما تيسر منها.

ب. استيعاب علم النحو والصرف وفقه اللغة، والوقوف على أسرار البيان العربي في علم البلاغة، ومعرفة الإملاء العربية وعلامات الترتيم، والاطلاع على الكتب التي تُعنى بصناعة الكتابة وكتابات أرباب البيان، والوقوف على أمثال العرب ومعرفة أيامه ووقائعه.

ج. الحرص على الأخذ بالطرف الآخر والبعد عن حال الخصوم وأتباعهم، والتثبت في نقل المعلومات والتروي في إبداء الرأي، ومراعاة مقتضيات الأحوال وسلامة الذوق والقصد، ونبذ الهدف، والاعتدال بين الأفكار في توظيف الثقافة والمعارف لخدمة الموضوع.

د. معرفة موطن الشاهد وكيفية نقله في مواطن مناسبة، والاهتمام بحسن الافتتاح، وجودة المطلع، وبراعة الاستهلال مع العناية بحسن الختام، واختيار الأدوات الكتابية المناسبة والمقنعة، والتأكد من الكتابة

والتحكم في أسلوب نطق الكلمات والألفاظ عند الكلام.

ب. التأمل في موضوع الحديث والتعمق فيه والتركيز على مضمون الحديث وجوهره وتنقيته من المعاني الصعبة التافهة والفارغة أو المعقدة.

ج. مراعاة تعابير الوجه وحركة اليدين والجسم التي تتلائم مع سياق الحديث.

د. التكيف بعاطفية ومنطقية وفقاً لطبيعة الجمهور المستهدف ومستواه الثقافي والاجتماعي.

هـ. تقديم الحجج المؤيدة للكلام أو المعارضة لأفكار المتحدث بأسلوب مناسب.⁽¹⁾

ج. مهارة القراءة

أ. استراتيجية (SQ3R): تتكون هذه الاستراتيجية من خمس عناصر وهي: تصفح، واسأل، واقرأ، واسمع، وراجع.

ب. استراتيجية (PQ4R) تتكون هذه الاستراتيجية من ست عناصر وهي: النظرة العامة، والتساؤل، والقراءة، والتأمل، والتسميع أو السرد، والمراجعة.

ج. استراتيجية (أتقن) وتتكون هذه الاستراتيجية من أربع عناصر وهي: اقرأ، وتفكر، وقوم، وناقش.

د. الاستراتيجية التي أشار ميلر وهي: المخططات العقلية، وعمل صور ذهنية، التفكير بعمق في المقروء، الاستنتاج، طرح الأسئلة، تجميع المعلومات.⁽²⁾

(3). انظر: المرجع السابق، ط1، ص108 - 110.

(1). انظر: المرجع السابق، ص 47 - 49.

(2). انظر: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية،

100 سؤال عن اللغة العربية، ط1، ص108.

1990 م).

4) خان محمد، الأدوات النحوية - بنيتها ووظيفتها -، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 4، جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)، 2009 م.

5) دوني أحمد رمضان، مهارة الاستماع والكلام (دراسة علم اللغة النفسي)، د.ت، بحث مقدم لاستيفاء بعض الشروط الدراسية بقسم تعليم اللغة العربية، (مالانج: جامعة مولنا مالك إبراهيم).

6) زنازل نور الهدى، تدريس مهارة القراءة في ضوء المقاربة بالكفاءات - السنة الثانية ابتدائي أنموذجا -، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، (د.م: جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، 2015 م - 2016 م).

7) سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية - فونولوجيا العربية، مترجم: ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، ط 1، (جدة: المملكة العربية السعودية، 1403 هـ / 1983 م).

8) صلاح حسين، المدخل في علم الأصوات المقارن، منتدى سور الأزيكية، (د.م: مكتبة الآداب، 2005 م / 2006 م).

9) عادل صالح، فريدريش أليكسندر، مهارات الاتصال الفعال، د.ت، د.ط، (د.م: ألمانيا).

قبل عرضها على الآخرين.

هـ. مراعاة الأغراض الكتابية والتأليفية وأدب النفس، والبعد عن الاستسلام والتشبيط، وتخمين الكتابة، والحذر من الإملاءات في الأحوال الخاصة، والظروف العامة مع العناية بوضع التاريخ، وانشرح الصدر للنقد بعد عرض الكتابة على الآخرين.⁽¹⁾

خاتمة

إن العناصر اللغوية ومهاراتها يتلاصقان بعضهما مع بعض ولا يتجزآن عن الآخر، وأن لهما دورا مهم وكبير في تنمية اللغوية. والحقيقة أن الناطقين بغير العربية بحاجة إليهما لتطور اللغة وتنميتها. ومن لديه قدرة لغوية يعرف بأنه يستوعب العناصر اللغوية ومهاراتها في استخدام اللغة، وبالعكس يعرف أنه بحاجة إلى تنميتها.

المراجع

- 1) أبو السعود سلامة أبو السعود، المنجد في التعبير، السلسلة المتكاملة للغة العربية، د.ط، (منتدى سور الأزيكية: العلم والإيمان، 2007 م).
- 2) أحمد فخري هاني، تعلم فن الاستماع، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 24، 2009 م.
- 3) حسن ظاها، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، ط 2، مكتبة الدراسات اللغوية، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، 1410 هـ -

(1). محمد بن إبراهيم الحمد، الارتقاء بالكتابة، د.ط، ص 13 -

- د.ط، (د.م: د.ن، 1427 هـ).
- 18) محمد رجب النجار، سعد عبد العزيز مصلوح، أحمد إبراهيم الهواري، الكتابة العربية مهاراتها وفنونها، د.ط، (د.م: مكتبة دار العروبة، 1422 هـ / 2001 م).
- 19) محمد العارف، عند الرحمن بن حسن، اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر 1932-1985 م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة، (د.م: د.ن، 1414 هـ - 1994 م).
- 20) محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر والنحو، د.ط، (القاهرة: دار الطلائع، 1417 هـ / 1996 م).
- 21) مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، 100 سؤال عن اللغة العربية، سلسلة الأدلة والمعلومات 2، ط1، (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، 1436 هـ / 2015 م).
- 22) ملوك عبد الزهرة عيدان، الأصوات العربية، د.ت، د.ط، (د.م: د.ن).
- 23) المهارات اللغوية للسنة الثالثة الثانوية، المعاهد العلمية الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1427 هـ).
- 24) وليد حسين، الظواهر الصوتية فوق التركيبية في العربية، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، ج 10 (د.م: د.ن، 1427 هـ).
- 10) عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، د.ط، (د.م: د.ن، 1431 هـ).
- 11) عبد الرحمن بن سعد الصرامي، تقييم مواقع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على الشبكة العالمية في ضوء المهارات اللغوية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم اللغة التطبيقي، (المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1433 هـ / 1434 هـ).
- 12) عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ط1، (دمشق: دار الفكر، 1427 هـ / 2007 م).
- 13) عبد المنعم أحمد بدران، مهارات ما وراء المعرفة وعلاقتها بالكفاءة اللغوية، ط1، (د.م: العلم والإيمان، 2008 م).
- 14) عزمينة فزال البتتي، المعجم المفصل في النحو العربي، ط1، (بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، 1413 هـ - 1992 م).
- 15) غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، ط1، (د.م: دار عمار، 1425 هـ / 2004 م).
- 16) مجدي، هبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، (بيروت: مكتبة لبنان: 1984 م).
- 17) محمد بن إبراهيم الحمد، الارتقاء بالكتابة،

- 36، ع 3، (د.م: د.ن، 2009 م).
- 25) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،
المهارات اللغوية للسنة الثالثة الثانوية، د.ط، ص 6.
- 26) عمران أحمد علي مصلح، استراتيجيات تنمية
المهارات اللغوية لدى المتعلم: دراسة وصفية، قسم
المناهج وطرق التدريس، (ماليزيا: جامعة المدينة العالمية،
2016 م).
- 27) مريم مت داود ونورمه حسين ونور أزهان نور
العزم، تعليم المهارات اللغوية لأغراض اتصالية، (2021 م).
- 28) ذو الهادي، تعليم عناصر اللغة العربية لطلاب
الجامعة بإندونيسيا (دراسة تحليلية علاجية).
- 29) أميمة حمدني، أمل محمود إبراهيم، إتقان
المهارات اللغوية الأربع وتنميتها لدى الناطقين بغير
العربية، المجلة العلمية للغة وثقافة، يونيو 2021م،
المجلد 6، العدد 1.